

يتجاذب الشرق العربي اليوم تياران . فعلى أثر غزو الحضارة الغربية له نشأ فيه حيالها اتجاهان رئيسيان ، يتميز أحدهما بروح المحافظة ، والثاني بروح الطفرة .

اما الاتجاه الاول فيحمل لواء المعارضة والوقوف في وجه هذه الحضارة . ويصدر انصار هذا الاتجاه عن اعتقاد بان هذه الحضارة مادية الصبغة ، وان المادة هي كل شيء فيها ، وهي التي تسير جميع القوى العاملة عند الشعوب المنصهرة فيها ، في حين ان الشرق روحي ويجب ان لا يفرط بروحيته . ولم يمنع التطرف بعض هؤلاء من تبرير موقفهم بقولهم ان هذه الحضارة مفعمة بوسائل الحروب وبواعثها ، وذلك دليل على اغراقها في المادية ؛ وقولهم ايضا انها جاءتنا مع الاستعمار ، فهي تمثله وتستهدف خدمته ، وينبغي اذاً نبذها والاعراض عنها ؛ وقولهم ان جل ما تحويه هو من صنع الصهيونيين ، وان الصهيونية تتسرب في ثناياها وتوجهها ، ولذا يجب الحذر من مساوئها ومفاسدها . وليس يخفى انتفاء العلاقة بين عناصر كل من هذه الاستنتاجات وبطلانها .

واما الاتجاه الثاني فيحدو باصحابه الاعجاب بهذه الحضارة الى المناداة بالاقبال الكلي عليها . غير ان دعوتهم هذه صادرة عن ذلك الاعتقاد اياه حول مادية هذه الحضارة وروحية الشرقيين ، بحيث ان الاعجاب لم يدعهم يتمالكون من اعلان خيبة امل مريرة في الروحية ، وتعشق سافر للمادية .

يقوم بين هذين الاتجاهين أو قل التيارين النهائيين المتضادين ، تيار آخر هو تيار الاجتزاء ، وهو يدعو دعوة وسطا ترمي الى الاعتدال في الاقتباس . فقادة هذا التيار يرون اجتزاء الحضارة الغربية ، بمعنى اقتباس جانب واحد منها هو الجانب العلمي ، لثبوت ضرورته للتقدم ، والصدوف عن جوانبها الاخرى ، وبخاصة منها الجانب الاخلاقي . ودعوة هؤلاء ترتكز ايضا في أساسها الى الاعتقاد بمادية هذه الحضارة وروحية الشرق .

ونحن اذا عمدنا الان الى النظر في آراء اصحاب هـــذه التيارات الثلاثة ، نجد انهم جميعا متفقون على أمر واحد ، هو ان الحضارة الغربية مادية ، وأن الفكر الشرقي روحي . ولعمري ، لست أدري كيف كان لهذا الاجماع أن يتم ، وعلى اي أساس من المنطق استقر في النفوس . الان حضارة الغرب تزخر بالنتاج المتمثل في اشكال مادية ، مع ان ما عنه صدر هذا النتاج ليس الا قوة روحية ؟ وما مفهوم الروحية ان لم يكن التجاوب الوثيق مع القيم المطلقة بسبيل اخضاع المادة واستخدامها ، بدلا من الهروب والفرار منها الى سلبية اللغو بالعاطفة والخيال ؟ وأية أخلاق هي أخلاق الشرقيين وما هي روحيتهم ، بازاء ما يعمر به سلوك الرجل الغربي من حب نزيه للحقيقة ، وكلف شديد بأداء الواجب ، واحترام عميق لحرية الآخرين ؟

ليس اي من هذه التيارات ما يمشي بجانب الصواب ، لانها جميعا تقوم على اساس باطل . فليس اليوم من روحية في الشرق ، وانما الروحية ماثلة في الغرب ، واما عنصر الرقي فهو هذه الروحية عينها . ولئن كنا نرى انعدام القيمة صفة لهذه التيارات ، فان منها ما يحمل علاوة على ذلك صفة الخطورة ، ونعني به تيار الاجتزاء . فهذا التيار المتسم باعتدال هو الزيف بعينه ، أسوأ من سابقيه أثرا في النفوس ، لان له فيها قابلية اشد في الاقناع ، بفضل سمته المنسوبة الى الحكمة ، وذلك بالرغم من قيامه على تناقض جوهري : فما بحضارة الغرب من علم لم ينشأ ولم يزدهر الا على اساس الاخلاق ، ولا معنى لتبني العلم منها دون هذا الاساس . وهذا ما يؤكد ان هذه الحضارة وحدة لا تتجزأ ، وان سائر اجزائها تغتذي بروح واحدة ، بحيث ان البتر يذهب بكل ما لها من قيمة او فائدة . والمعنى الوحيد لدعوة كهذه ما هو في الواقـــع الا الجبن والقصور ، لانها تنبثق عن عجز عن تبين الحقائق ، ترتمي في أحضان الخوف والتردد .

الواقع انه سواء أرضينا باتباع ما يوصي به هذا الفريق او ذاك من اصحاب هذه التيارات الثلاثة ، فان ذلك لن يغير مجرى الامور ، لان التأثر بالحضارة الغربية حاصل فعلا وتلقائيا، بنتيجة الاحتكاك المستمر الذي فرضته ظروف الحياة العصرية وكثرة وسائل الاتصال . غير أن هناك حقيقة هامة لا تقبـــل الجدل ، وهي انه لا قيمة لهذا التأثر العفوي ، لا بل انه يشكل ضررا على الفكر العربي ، ان هو ظل مقترنا بتصور خاطـىء لروح هذه الحضارة . فلو ابقينا على مثل هذا التصور ، فلن نفيد مما نتأثر به شيئا على الاطلاق ، وانما نجني التأثر المعكوس الوخيم العواقب ، لاننا اذ نقبع بعيدين اقصى البعد عن روح ما نكتسب ، نكتب على انفسنا الخسران بالانزواء والبقاء ضمن الدائرة الهزيلة التي نجول فيها اليوم ، وتوحي لنا بشتـــى الافكار والاراء الواهمة .

ان تصحيح تصورنا للحضارة الغربية من الاهمية بمكان ، وهو الكفيل من بعد باقناعنا بضرورة الاخذ الكامل بهذه الحضارة ، وعلى نحو ارادي صريح . ذلك الى انها حضارة العصر في العالم اجمع ، ولا محيص لاي شعب من أن يقبل عليها ويندمج بها كلية ، اذا كان يبغي الحياة ولا يود أن يجمد على القديم الفاني .

محمد وهبي

وقفة حيال الارز

*

ليس عند الايام من اقوال غير رجع السؤال حين السؤال
رب صمت في النفس ابلغ وقعا من بيان منمق ومقال
وكثير من الكلام فضول غير مغن ولوثة من خبال
يعظ الدهر بالرموز فيأتي ببليغ الآيات والامثال
لم أجد كالزمان يفصح بالصمت ويأتي بمعجز الاقوال

*

شجر الارز يا لدات الزمان ما وراء البقاء غير الزوال
هل حديث عن غابر أو بيان عن حياة تردي بغير نبال
ما تحدثن سائلا والرزايا ألجمت كل ناطق بعقال
لعب الدهر يافعا وصبيا في حماكن سادرا بالضلال
وشهدتن مولد الملك الامثل (حيرام) سليل الامجاد والابطال
ساد عرض البحار دون شريك فله المنشآت شبه الجبال
أسلس العاصف الهبوب اليه بزمام من دون ما اجفال
وأتته الملوك من كل حدب تطلب العون في ذليل السؤال
غره بهرج فأخلد للامن وأغفى من نشوة الآمال
نقض الدهر ملك (حيرام) حتى عاد ما طال حفنة من رمال
وتداعت الى الحضيض حصون كن في العين رفعة كالهلال
زال ما شاد وانطوى كل عال خلف ستر النسيان والاهمال
وتكر الايام في لجج الغيب وتطوى كسانح من خيال
وعصور تكر اثر عصور في بطون الاحقاب والاجيال
انما الناس ـيرة بفم الدهر وطيف سرى بجفن الليالي

*

قمت والصبح باسم يتهادى بازدهاء دون الربى واختيال
والنسيم العليل يهمس للغصن بغنج وينثني من دلال
راعني ما قرأت اثر الرمال من عظات عن كل رسم بال
جئت استنطق العصور لاجلو صفحات تخفى على الجهال
فرأيت التاريخ فيكن حيا يتهادى باليمن والاقبال
وأراني لمست فيكن دنيا من فتون وعالما من جمال
ولمست العصور لمس يقين بيميني والدهر بات حيالي
ورأيت التاريخ ينطق حيا ببيان من غير ما اشكال
عظة للزمان طالعها الناس فاغضوا بالطرف من اجلال

*

ونشرتن اذرعا من غصون كذراع الكريم عند النوال
ليس تطوى على المدى من عياء هي أو تنثني لفرط كلال
وأراكن شامخات بأنف للثريا في عزة المختال
تتطلعن من حنين وترمقن فسيح الجوزاء كالعذال
والسكون العميق ران على الافق فأغفت نسائم الآصال
رب معنى جلوت من صامت البؤس كمستطرف الشبيبة غال

*

ليت شعري والكون لغز معمى ما وراء المنون من اهوال
أمل الناس في الحياة بقاء وبقاء الانسان صعب المنال
ليس بدعا والناس مذ وجد الناس عبيد الالقاب والاموال
صرفتهم زخارف عن يقين فاستعاضوا عن راهن بمحال
وأشادوا الحصون في طلب الخلد وأين الخلود من صلصال
أمل خلب وكاذب حلم لا يرد القضاء عن آجال

*

شجر الارز مالكن حيارى تتطلعن في أسى وخبال
أهو الخلد مبعث الضجر المر وعبء السنين والاجيال
أملال والخلد ما نشد الناس وتاقت له نفوس الرجال

دمشق — **عدنان مردم بك**

مصرع محمد بن احمد حنطي

قصة

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

فتح محمد بن احمد حنطي عينيه فامتلأتا بمنظر بقع تلمع امامهما وضاءة على رقعة قاتمة الازرقاق داكنة . فكان اول ما خطر ببال محمد بن احمد حنطي ان هذه البقع الوضاءة هي نجوم الليل وان الرقعة القاتمة فوقها ليست غير السماء المظلمة . ولكن لم كانت النجوم امام عينيه وليست فوقهما ، وكيف امست تبدو لعينيه بمثل هذا القرب ، ثم ، اذا كانت هذه البقع الوضاءة نجوما ، فلم تركض مبتعدة عنه كأنها تفر من سوط مطارد ؟

وفي الحق ان الحيرة تملكت محمد بن احمد حنطي اول ما فتح عينيه على هذه البقع الوضاءة ولكنه قد لا يكون قد عبر ، ولو بالخواطر ، عن حيرته بالجمل التي كتبناها في اول هذا الكلام . فان محمد بن احمد حنطي رجل بسيط النشأة والمدارك ، وحسبك انه كان قبل ان تبدأ حوادث القصة قيما على العنابر في خان للحبوب في حي باب النيرب بحلب ثم اضطرته الظروف ، الظروف التي ستجد أثرها في هذه القصة ، الى ان يصبح بائعا متجولا في بادية الزيدي في شمال الفرات وشمالي سوريا . اذن فان محمد بن احمد حنطي اعجز من ان يحلل اسباب الحيرة التي تملكته لمرأى بقع وضاءة تشبه النجوم تفر امام ناظريه وان يرد هذه الحيرة الى عناصرها . لذلك فقد تولينا نحن ذلك عنه ، كما سنتولى عنه فيما يأتي رواية بعض الاحداث التي مرت بحياته وتحليل هذه الحوادث ووضعها في الترتيب الذي نراه مناسبا كي تصبح قصته مفهومةمقبولة مستطابة.

لقد استبدت الحيرة بمحمد بن احمد حنطي حين فتح عينيه على النجوم الهاربة من امام بصره . وكان ظنه في البدء انه مصاب بدوار ، بدوخة . الا انه كان يعلم ان النجوم

°°°

في الدوخة تدور حول راسه دورانا ويختلط بعضها ببعض ثم ترتفع الارض التي تحتها وتنحط السماء التي فوقها فتتداخل هذه وتلك . اما هنا فان السماء لا تنحط والارض لا ترتفع بل ان كل ما يراه هو انسحاب السماء والنجوم معها بسرعة امام عينيه . ولذا فقد حاول ان يديرراسه ليتثبت من ان هذه الظاهرة تحدث حقا امام عينيه ، وحاول كذلك ان يحرك بدنه ليتثبت من موضعه على الارض تحت السماء ، ولكنه لم يقدر على هذا ولا على ذاك . لم يطاوعه عنقه حينما اراد ادارة راسه ، اما بدنه فقد شعر وهو يبدأ بتحريك قدمه بألم حاد ، الم يشبه انغراس نصل في امعائه ، يتحرك بتحرك قدمه بل بمجرد التفكير بتحريك هذه القدم . فلم يلبث ان رجع عن محاولته وسكن الى الحيرة التي غمرت نفسه ، متتبعا بنظره زمر النجوم الهاربة من امام عينيه ، كلما خرجت من ساحة بصره زمرة حلت مكانها زمرة اخرى ولكن انصرافه عن الحركة لم يعفه من الالم . فان آلاما دقيقة ، آلاما نافذة بدأت تستيقظ في جنبات جسمه بمجرد انتباهه الى حالته ووعيه لها . وحتى ذلك الالم الحاد الذي يشبه انغراس النصل في امعائه بدأ يشتد ويبرز في ساحة شعوره . حاول ان يتحسس بيده وبرفق مكان الالم من بطنه ولكن يديه لم تطاوعاه في الحركة كانتا ثقيلتين كانهما كانتا موثقتين . وتنفسه كان كذلك ثقيلا كأن احدا كان جاثما على صدره . لقد انتبه الى انه لم يكن واقفا وانما هو مضطجع . ولكن ما هذا الذي يتحرك دونه فينخفض به ويرتفع ؟ وهذه الاصوات التي تملأ اذنيه دويا ، وهذه السحابة التي ترتفع عن يمينه وشماله ثم تعلوه فتغمره وتنفذ غبرتها الى اعماق صدره ؟.. وبغتة انجابت الظلمة عن خاطر محمد بن احمد حنطي فادرك علة كل ما حيره وادرك السبب الذي من أجله راى النجوم تهرب من امام عينيه كأنها تفر من سوط مطارد . لقد كان مضجعا او مضجعا على ظهر سيارة مرتفعة على فراش خشن يابس من اكياس مليئة بقمح او شعير ، تخترق به البادية الغبراء في ظلام الليل ... وهنا تبسم محمد بن احمد حنطي او حاول ان يتبسم ليضحك من نفسه التي تاهت في غمرة النوم فحارت في هرب نجوم السماء امام عينيه . حاول ان يبتسم ولكن شفتيه لم تطاوعاه ، ذلك ان الالم ، الم النصل الحاد ، ثار في امعائه فجأة حين انحطت السيارة الثقيلة في وهدة من وهاد طريق البادية فمنعه من ان يبتسم وأثار في نفسه حيرة جديدة : ما الذي القى به فوق اكياس القمح فوق ظهر سيارة النقل هذه بدلا من ان يكون وراء حماريه المحملين احدهما حنطة والآخر بضائع يبيعها للبداة في بادية الزيدي ؟ ثم ما هذا الالم ، بل ما هذه الآلام في سائر انحاء جسمه التي تثور كلما تحرك او حركت السيارة بدنه .. انه ليذكر الآن انه عند مغيب الشمس كان وراء حماريه في سفح الخربة يمني نفسه ان يصل البئر والنزل الذي عندها فيستريح ويبيع ما تبقى من بضاعته. ويذكر كذلك حين انحدر اليه من الخربة ذلك البدوي الذي كان يحمل بين اصابعه سيكارة يريد اشعالها . لقد كان ملثما ، وعجيب ممن يريد اشعال سيكارته ان يكون ملثما ، ولكن لثام البدوي لم يمنع محمد بن احمد حنطي من ان يرى ملامح وجهه ويتمعن فيها . فلما قرب منه ..

وفي هذه اللحظة رجت السيارة

بمرورها في وهدة اخرى من وهاد الطريق فتمزقت امعاء محمد بن احمد حنطي بالم كان فوق طاقته من التحمل ، قطع الصلة بين احساسه وادراكه فتوقفت بذلك ذاكرته عن سرد الحوادث على واعيته . .

فتح محمد بن احمد حنطي عينيه مرة اخرى حين ثاب الى رشده ، وعلى الاصح فتحهما بعد ان ثاب الى رشده ، فعادت الى باله ذكرى بقع النور التي كان يراها تفر امام بصره نتيجة لسير سيارة النقل التي تحمله فوق اكياسها . على انه راى بقع النور في هذه المرة على غير ما كان رآها عليه قبل . لم يرها منسحبة هاربة من مجال بصره بل رآها ، او راى بقعا وضاءة غيرها ، فوق راسه اقرب كثيرا مما كانت عليه تلك التي رآها فظنها نجوما ، فلعلها في الحقيقة لم تكن نجوما ، فانه ليس بالواثق من نفسه وان راسه في دوار وفكره في ضباب .. المهم انه يرى البقع الوضاءة الآن على غير ما كان رآها قبل ، فهي اكثر التماعا واكثر قربا وهي كثيرة الالوان فيها البيضاء والحمراء والخضراء . ثم انها ، وهذا اغرب ما في الامر تضيء مرة وتنطفىء اخرى . فاذا اضاءت فملأت عينيه نورا بهرت بصره واعجزته عن ان يميز شيئا غير الوهج ، واذا انطفات اغرقت عينيه في ظلمة حالكة سوداء يخيل اليه معها انه عمي وفقد البصر . لقد احس لتتابع الضياء والظلمة ان عينيه قد اصيبتا بما اصيبت به امعاؤه من آلام حادة واخزة تثور وتشتد كلما طرفت اجفانه وتلامست اهدابها . كان عليه ، على محمد بن احمد حنطي ، ان يعود الى التفكير كرة اخرى ليحل هذا اللغز الجديد الذي تعرضت له عيناه ولكنه كما اسلفنا امرءا بسيط النشاة والمدارك فهو قليل الرغبة في تقصي حقائق الامور ولهذا فقد اضرب عن محاولة معرفة عوامل حيرته واستسلم جسما وفكرا لما كان يحيط به من جو ومؤثرات . ولو ان ذلك امكنه وهو في حالته تلك لما اكتفى بسكون البال والخاطر فحسب ، بل لاضرب عن الرؤية ، وعن السمع ولكن ذلك كان عسيرا عليه وكان الامر في السمع اعسر منه في الرؤية . فهو اذا اطاق اغماض عينيه لئلا يرى فانه لم يكن في طاقته ان يسد اذنيه عن ان يسمع الاصوات التي بدات تعلو واللغط الذي اخذ يدور ويرتفع حوله .

اخذ اللغط الذي كان يدور حول محمد بن احمد حنطي يرتفع شيئا فشيئا ، او لعله كان مرتفعا قبل ذلك ولكن حواس محمد بن احمد حنطي هي التي اخذت تحتد فتدرك هذا اللغط بصورة اوضح شيئا فشيئا . وكان اول ما فهمه محمد بن احمد حنطي من هذا اللغط سؤال ارتفع اليه من مكان واطىء :

ـ ماذا يا دكتور ، هل وصلت بالسلامة ؟

فاجاب صوت يبدو ان صاحبه كان الى جانب محمد بن احمد حنطي ، صوت اعقب زفرة ارتياح :

ـ نعم والحمد لله . طمنوا بالكم .

ولو كان محمد بن احمد حنطي مالكا لكل قواه وكان على اتم ما يكون من صفاء البال لامكنه ان يدرك على اية سخرية كانت تنطوي لهجة هذا الذي يحمد الله الى جانبه . ولكن محمد بن احمد حنطي لم يكن يملك الا حواسه التي كانت تنقل اليه المؤثرات دون ان تبعث في نفسه فكرة او انعكاسا يتجلى بفهم او تقدير . ولقد زحف اللغط على سمعه بهذا الحديث الذي دار حوله ثم زحفت الظلال على بصره بان حالت كتلة ظليلة بين عينيه وبين الانوار التي كانت تبهر نظره حينا بعد حين . لقد كان هذا هو شبح الرجل الذي كان يتكلم الى جانبه فقد سمعه يصيح :

ـ قل لخادم الفندق ان يثبت هذا النور قليلا لارى اي انسان بين يدي . كيف يمكنني ان اميز شيئا تحت هذا الضوء المتقطع ؟

فاجابه صاحب الصوت الذي كان يرتفع عن مضجع محمد بن احمد حنطي :

ـ هذا الضوء المتقطع هو مبعث فخر صاحب فندق الجلاء يا دكتور . لقد جاء بعامل كهربائي خاص من مدينة حلب ليجعله متقطعا على هذا الشكل البديع ، فكيف تريد من خادم الفندق الابله ان يمد يده الى هذه المعجزة . .

فرفع الرجل الذي كان الى جانب محمد بن احمد حنطي صوته محنقا وهو يقول :

ـ اظنني اول طبيب في هذه البلد يفحص مريضا على ضوء يتقطع عشر مرات في الدقيقة وفوق نضد من اكياس القمح ترتفع عشرة امتار عن سطح الارض . اين جرحك يا ولد

وكان واضحا ان الجملة الاخيرة كانت موجهة الى محمد بن احمد حنطي الذي سمع الفاظها دون ان يعي ما تعني على التحقيق . غير ان اهتزازات لفظة الجرح التي تناقلتها دقائق جهاز سمعه اخذت تتردد بين جنبات وعيه حتى انتهت الى ان اثارت في تفكيره شيئا . وبدأ كان صوتا كالصدى المتكرر كان يردد في باطن عقل محمد بن احمد حنطي :

ـ جرح .. جرح .. جرح

في حين ان الرجل الذي كان الى جانبه ، وقد عرفنا انه طبيب ، كان يقول لصاحبه وكانه يئس من ان يسمع جوابا على سؤاله .

ـ لقد قلت انه جاء من الزيدي .

وهذا يعني انه قطع مائة وخمسين كيلومترا على ظهر هذه السيارة المترفة المجهزة بكل وسائل الاسعاف والمداواة ... مائة وخمسين كيلومترا في غبار البادية وبرد الليل على فراش من اكياس القمح على ظهر سيارة مثل هذه لجريح برصاصة في بطنه ! هذه اقصى ما يتطلبه جراحو مستشفى الجامعة من عناية لجرحاهم المدللين ... ما الذي استطيعه لهذا الرجل هنا ؟

وكانت يد الطبيب قد اخذت مكانها تحت الفروة البالية التي كانت تستر جسم محمد بن احمد حنطي ، تتحسس جوانب بطنه المتصلبة . اما محمد بن احمد حنطي نفسه فقد كان في امر آخر ، فقد عادت به اصداء لفظة الجرح المترددة الى المنظر الذي شهده عند مغيب الشمس حين انحدر اليه الرجل الملثم . . .

. . . كان استغراب محمد بن احمد حنطي في محله حين عجب ان يرى الرجل يريد ان يشعل سيكارته ولثامه على وجهه . فما كان هذا امرا منطقيا . وفي الواقع ان الرجل حين اصبح امام محمد بن احمد حنطي مد يده اليمنى الى جنبه الايسر وقبل ان يدرك صاحبنا معنى ما يرى ويسمع كان الرجل الملثم قد سدد اليه فوهة مسدس ، فوهة مظلمة حولها حلقة من معدن كابي اللمعة ، وسمعه محمد بن احمد حنطي يقول

قولا لم يغطه صوت الطلقة الحار :

ـ مت ، لا يرحمك الله . . .

حين تسلق الطبيب اكياس القمح المكدسة في سيارة النقل والتي كانت ملفعة بطبقة ثخينة من التراب الاحمر المتماسك الذرات الذي ترك آثاره واضحة على بذلة الطبيب الغامقة حين تسلق الطبيب اكياس القمح ليفحص جرح محمد بن احمد حنطي تحت ضوء الانوار المتقطعة للافتة فندق الجلاء كان الوقت آخر الليل . وكان راي الطبيب ، الذي كان يحدس حدسا ، اذ من المستحيل عليه ان يرى في هذه الشروط السيئة من الزمان والمكان دقائق اصابة الجريح كان رايه ان الرصاصة قد اخترقت احشاء البطن وان هذا الجسم الملقى في برد الليل على ذروة اكياس القمح مهدد بمفارقة روحه له قبل مرور يوم كامل ، وان الامل ان كان ثمة امل هو في محاولة اسعافه في مستشفى كامل الاستعداد . وذلك يعني ان يتابع السير به الى حلب ، على بعد مائتين كيلومترا من حيث هو الآن . وكان في هذا الراي الذي ابداه الطبيب فصل الخطاب وطرح المسؤولية عن عاتقه واتاحة الفرصة له ان يعود الى ضجعته المريحة في فراشه الوثير مستريح البال والضمير .

لقد كان اقتراح الطبيب وجيها في ارسال محمد بن احمد حنطي الى حلب ، لاسيما وانه حلبي الاصل وهناك اهله وعشيرته . الا ان بعض الحوائل كانت تحول دون تنفيذ هذا الاقتراح . من بين تلك الحوائل موظفو الانتاج الزراعي القائمون على وظيفتهم على راس الجسر . فان هؤلاء الموظفين كانوا يمانعون في ان يتابع سائق سيارة النقل سيره الى حلب لانهم كانوا يكذبونه في ادعائه ان وزن ما يحمله من اكياس القمح لا يتجاوز تسعة اطنان وثلاثمائة وعشرين كيلو غراما ويقدرون ان الوزن يزيد مائتين وثمانين كيلوغراما عن قول السائق ، لذلك فهم لن يسمحوا للسيارة بالسفر قبل ان تنزل الحمولة وتوزن الاكياس واحدا واحدا . وكانت هناك وسيلة يستطيع السائق بها ان يقنع موظفي الانتاج الزراعي بصحة قوله الا انه آثر ان لا يتخذها ، فهو لم يكن مفوضا من قبل صاحب القمح برشوة الموظفين ، ثم انه لم يكن صاحبا للسيارة بل مجرد سائق اجير لا يهمه اباتت السيارة في مخفر الانتاج ام استمرت في سيرها . وكان من الممكن طبعا ، ما دامت متابعة سيارة النقل هذه لسفرها مستحيلة ، كان من الممكن ان يرسل محمد بن احمد حنطي الى حلب تنفيذا لاقتراح الطبيب في سيارة اخرى ، سيارة صغيرة مريحة وسريعة مثلا . ولكن حائلا آخر كان يقف دون تنفيذ هذا الحل الوجيه وهو يتلخص في الاستفهام عمن يتولى امر هذا الجريح طيلة الطريق ومن الذي ، وهذا في الواقع هو الاهم ، من الذي يتعهد بدفع اجرة تلك السيارة . لذلك كان لا بد من بقاء محمد بن احمد حنطي حيث هو .

وقد ساعد في استساغة هذا الحل الاخير ان محمد بن احمد حنطي نفسه كان قد استسلم الى غيبوبة عميقة لا حراك له فيها ولا غطيط فساعد بهذا القوم ، وهم سائق السيارة وافراد حرس البادية الذين جاؤوا بالجريح تحت رئاسة عريفهم ورجال مخفر الانتاج الزراعي ، على نسيان امره وانصرافهم الى النوم منتظرين مجيء الصباح .

وقد جاء الصباح كما كان مقدرا . وليس الصباح هذا بزوغ الفجر او طلوع الشمس من وراء الافق الشرقي ، ولكنه صباح العمل ، عمل القاضي وكاتب المحكمة والطبيب وضابط الدرك ، وهو وقت لا علاقة له بموقع الشمس من السمت بل بالعوامل المعاشية والنفسية لكل من هؤلاء . وقد كان صباح هذا اليوم في العاشرة الا بضع دقائق ، وقد طلع على محمد بن احمد حنطي وهو ملقى في دثاره من فروة بالية وعباءة قذرة على ارض مستوصف الحكومة في البلدة الصغيرة . وكان غائبا عن الوعي ، وهذا ما يسوقنا نحن الى ان نتولى قص قصته بدلا من ان نستمر في تسجيل المشاعر التي تدور في راسه . فما ادرانا بالذي كان في راسه او في نفسه اثناء غيبوبته تلك ... ولكن الذي ندريه حقا هو ما رايناه حين اخذ الطبيب يجس نبض محمد بن احمد حنطي وعينه الى ساعته وحين قال للقاضي ان النبض خيطي وانه يعد مائة وعشرين نبضة في الدقيقة . وكان الطبيب يقلب شفتيه وهو يملي على كاتب المحكمة صفات الجرح وسير المرمي الناري من اعلى الى اسفل ومن اليسار الى اليمين في الخاصرة اليمنى ، ويقدر عدد الثقوب في امعاء محمد بن احمد حنطي بين ستة عشر وعشرين ثقبا ، ذلك انه لم ينس ان ثقوب الامعاء في الاصابة بالمرامي النارية هي مزدوجة في العدد دوما . ولم يكن تقدير الطبيب هذا معدا للتسجيل في الضبط الذي كان يكتبه كاتب المحكمة ، ولكنه رواه ليبين للحضور ضعف الامل في نجاة محمد بن احمد حنطي من مصيره المحتوم .

وكان بالقرب من الباب ، باب مستوصف الحكومة ، عريف حرس البادية الذي جاء بالمجني عليه والجاني . وكان هذا العريف يقص قصته على جماعة من التجار الحلبيي الاصل تداعوا لما سمعوا بمصاب البائع المتجول الحلبي مثلهم الى اسعافه وتهيئة الاسباب الى نقله الى المستشفى بحلب . ولما كان كل واحد من هؤلاء التجار قد دفع حصته من اجرة السيارة ، التي لم تستؤجر بعد ، فقد كان يرى من حقه ان يسمع القصة كلها وبتفاصيلها من العريف الذي كان يرى من واجبه ، وهو واجب لذيذ ، ان يسرد معلوماته على هؤلاء الافاضل مرددا بين حين وآخر ، وهو ينفض زيق ردائه العسكري : ادخل على الله ! وهو يريد بذلك ان يرفع عن نفسه مسؤولية اتهام بريء بذنب . وهي مسؤولية ثقيلة في عرف الضمير البدوي ، ولا سيما اذا كانت التهمة تهمة قتل نفس كما هي تهمة معيشر بن ذبان او تهمة انتهاك عرض كتهمة محمد بن احمد حنطي .

وهنا يجدر بنا ان نعود الى محمد بن احمد حنطي ، ذلك لانه هو نفسه قد بدا يعود الى نفسه . ولم تكن عودته الى نفسه ظاهرة لاعين القاضي والطبيب وضابط الدرك وبطانتهم لان هؤلاء السادة كانوا يرون اطرافه ساكنة وعينيه مغمضتين وشفتيه جامدتين في نصف اطباقة فيخيل اليهم انه ما زال في غيبوبته لا يعي ولا يرى ولا يسمع . وهذا ما جعلهم يتابعون كلامهم باصوات عالية وامام محمد بن احمد حنطي دون ان يحسبوا حسابا لانتباهه . وكان دور عريف حرس البادية قد جاء في الحديث فاخذ يروي للقاضي بكل التفصيل ما قام به من جهد منذ ان عرف بوقوع

الحادث . وقد تواضع عريف الحرس فذكر ان الظروف كانت في جانبه اذ كان في جولة في جوار الخربة فاستطاع ان يضع يده على الجاني بسهولة . ولكن طريقة تواضعه كانت تدل على يقينه من ان عريفا للحرس غيره لم يكن يستطيع الاستفادة من الظروف بما استطاع هو ان يفعل . ولما سأله القاضي عما جعله يعتقد ان معيشر هو الجاني اخذ يعدد الاسباب الوجيهة التي حدت به الى ان يقبض على هذا البدوي . فهو قد وجده قريبا من مكان الحادث ، وهو ، اي معيشر ، كان يحمل مسدسا كانت تفوح من فوهته رائحة البارود ، وهو ، وهذا هو الاهم ، اخ لفتاة اسمها صبحة تردد بين المضارب انها افترست في الربيع الفائت ، افترسها بائع متجول . وندخل على الله !...

لم يكن هينا ما قاله عريف حرس البادية . وقد بدا تأثيره على الحضور سريعا ، فأشار ضابط الدرك بمنع الفضوليين ، ولو كانوا قد دفعوا اجرة السيارة التي ستنقل محمد بن احمد حنطي الى حلب ، من ان يقتربوا الى حيث يتمكنون من سماع المعلومات التي يدلي بها العريف . واعتدل كاتب المحكمة ليسجل هذا الجزء من الضبط بالفاظ واضحة وحروف جد مقروءة. وحتى محمد بن احمد حنطي ، رغم غيبوبته الظاهرة ، بدرت منه بادرة كمن يريد التدخل في الحديث، ولكن قواه كانت اعجز من ان تواتيه فظلت بادرته مجهولة على من حوله . اما القاضي وهو شاب اعزب قريب العهد بالوظيفة وسماع فضائح الناس فقد استفسر في فضول لم يحسن تقنيعه بالواجب المسلكي من عريف الحرس عما يعلمه عن افتراس تلك الفتاة التي اسمها صبحة . فسرد العريف كلما سمعه من افواه الناس في مخفره النائي في البادية ، سرده وهو يدخل على الله . فان زوجة اب صبحة فاتها ان تشتري مشطا من العظم الاسود حين كان البائع المتجول في الحي فطلبت من صبحة ابنة زوجها ، ان تلحق بالبائع بصرة من القمح قبل ان يبعد عن المضارب . ووصف العريف وهو يدخل على الله ، كيف لحقت صبحة بالبائع المتجول حتى ادركته في قاع واد اخضر وهو يسوق حماريه . كان الوقت اصيلا والظل يفرش بطن الوادي بفراش من العشب الاخضر زينته ازهار ربيع البادية . من ذا الذي يستطيع ان يعرف كيف جرى في لحظات ذلك الذي تتحدث به الالسنة ، في السكون والوحدة وقد مالت البدوية بنت الاعوام الثماني عشرة على ذلك الفتى الغريب الذي يفور قوة ويغلي اشتهاء ؟... حدث ذلك من شهور عديدة وكل سر في البادية ، وفي غير البادية ، الى افتضاح . وهذه ، وندخل على الله ، هي عاقبة ذاك ...

وسكت عريف حرس البادية بعد ان ادلى الى القاضي بمعلوماته وافتراضاته وتعليقاته ، فلم يبق الا ان يأتي بمعيشر ، الفتى البدوي الذي قبض عليه في مساء اليوم الفائت قريبا من الخربة وهو يحمل مسدسا تفوح منه رائحة البارود ، ليقدمه لقمة سائغة الى القاضي . وكان كل من سمع حديث العريف ، والمفروض فيه انه لا ينطق عن هوى ، قد تصور حادث الافتراس في الوادي الاخضر في عصر يوم من ايام الربيع التي تبعث الدم حارا في عروق الفتيان والفتيات . اما محمد بن احمد حنطي ، البائع المتجول الذي كان ملقى وهو مدثر بفروته البالية وعباءته المهترئة على بلاط مستوصف الحكومة ، فقد عادت الى ذهنه حكاية الافتراس ، ولنجار العريف فنسميها افتراسا عادت الى ذهنه تلك الحكاية ولكن على غير ما تصوره الحضور من قاض وطبيب وضابط درك . أهي الحكاية نفسها التي رواها عريف حرس البادية ام هي حكاية غيرها ؟ لا يستطيع محمد بن احمد حنطي ، رغم الوعي الذي خلص اليه من غيبوبة الالم والنزيف والتهاب البريطون وسفر مائة وخمسين كيلو مترا في غبار البادية وبرد الليل، لا يستطيع محمد بن احمد حنطي رغم وعيه الذي خلص اليه من تلك الغيبوبة ان يميز بين ما سمعه من رواية عريف الحرس وما يرويه هو لنفسه عن حكاية الافتراس . فقد كان هناك اضطراب في سرد الوقائع وتداخل بين شخصيات الحكاية في الروايتين وتماثل وتباين لا يقوى محمد بن احمد حنطي في ضعفه وخوره وقلة الدم الوارد الى تلافيف دماغه وفرط حرارة هذا الدم وسرعة جريانه في عروقه ، على التعرف معها على العلاقة بين الروايتين وعلى موضع كل منهما من الواقع الحق . كان بود محمد بن احمد حنطي ان ينهض بعد ان أتم العريف سرد روايته فيقول له: قف واسمع روايتي انا . ثم يمضي في السرد بصورة اوضح ومعرفة ادق وتفاصيل اغنى . ولكن محمد بن احمد حنطي كان عاجزا عن ان يفعل ذلك او يقوله ، وكل الذي يقدر عليه هو ان يسرد روايته على نفسه ، في اعماق شعوره ، او لعل الرواية هي التي كانت تنسرد من نفسها عليه. وها نحن نتبعها فنقصها على قارىء هذه الصفحات .

نعم لقد كان الفصل ربيعا والوقت قريبا من الغروب . ولكن ذلك لم يكن في البادية بل في زقاق ضيق من ازقة حي باب النيرب او حارة تقع في اطراف ذلك الحي من مدينة حلب. في ذلك الوقت من النهار وفي زقاق مثل ذلك الزقاق كانت الظلمة اقرب الى اكتناف الشخوص والاشياء من النور ، كما كان المارة قليلين والسكون مخيما . وكان محمد بن احمد حنطي يتقدم في طريقه الى داره ، عائدا من خان الحبوب الذي يعمل فيه امينا على العنابر ، وقد اتخذ زينته ففتل شاربه وامال طربوشه على جبينه واحسن درج حزامه العريض على وسطه تتدلى من دونه السلسلة الصفراء البراقة للساعة الرخيصة المدسوسة بين طيات ذلك الحزام . كان محمد بن احمد حنطي يتقدم في طريقه ببطء في ذلك الزقاق وعينه الى نافذة مدورة ضيقة في اعلى جدار كان على يمينه . من هذه النافذة كانت تتراءى له في كل مساء عينا رقوش الواسعتان وهما تستقبلانه وراء سلسلة متلاحقة من الحجب الصفيقة : الجدار الثخين العالي بحجارته الملساء المتلاحمة التي تخنق النافذة الصغيرة خنقا ، والستارة السمراء التي تغطي فتحة النافذة كأنها كف مجرم تكتم انفاس طفل صغير . فاذا ازاحت رقوش طرف هذه الستارة باصابع كفها العبلة المصبوغة بالحناء فان حجابا آخر اسود ، هو طرف طراحتها السوداء ، يظل يستر ما دون عينيها الواسعتين من وجهها الجميل . وبالرغم من كل هذه الحجب المتتابعة فقد كان محمد بن احمد حنطي في اوج السعادة كل

مساء حين يرى النور الذي تلتمع به عينا رقوش السوداوان مخترقا ظلمة الغروب وظلمة الزقاق وظلمة الستارة الداكنة والطراحة السوداء. في كل مساء الا هذا المساء . فان عينه بحثت اليوم عبثا عن شعاع النور في النافذة المغلقة في اعلى الجدار فلم تتبين بصيصا له . وشعر بالاسى يملأ صدره كان الظلام المخيم على النافذة قد اطبق على قلبه . ولكن اساه لم يستمر طويلا ، فقد كانت تنتظره مفاجاة امام باب الدار التي تقطنها رقوش . ذلك انه حين صار الى حذاء ذلك الباب، راى مصراعيه ينشقان عن قامة هيفاء لدنة ملفوفة بطراحة سوداء ، تبرق في اعلاها عينان واسعتان وسط هلال ضيق من بشرة بيضاء موردة ، هو جزء من محيا رقوش الصبيح محصور بين معقد الطراحة السوداء على الجبين وبين فضل تلك الطراحة التي امسكته الفتاة بكفها جاعلة منه نقابا لوجهها . كانت تلك كما قلنا مفاجاة لم تدر لمحمد بن احمد حنطي بخلده ، فلا عجب اذا احس بان قلبه اخذ يطرق جدار صدره بقوة كانه يريد التفلت من بين ضلوعه . وعصته قدماه فلم تعودا تطاوعانه في المسير ، وتلجلج لسانه فلم يملك الا ان يقول بصوت اجش يكاد حلقه الجاف يغص به :

ـ انت ؟

فلم يتلق على سؤاله جوابا مسموعا، ولكنه راى اليد التي كانت تمسك بفضل الطراحة السوداء تسقط عن وجه بدري مدور وراى الوجنتين الموردتين تحفان بثغر منفرج الشفتين وراى مصراعي الباب كانهما كانا يناديانه ، ولم يفطن الى نفسه الا حين اصبح وراء هذا الباب تلفه ظلمة الدار الكثيفة ويلتصق به جسد فتي مكتنز يحس حرارته التي تخترق ثيابها وثيابه ويكاد يشعر بركض الدم في عروقها هي يسابق الدم في عروقه هو .

هذا الذي حدث لمحمد بن احمد حنطي في هذا المساء لم يحدث قبل في هذا الجزء من هذا الحي من هذه المدينة ، او لعله حدث قبل ، بل لا بد من انه حدث مرات عديدة ولكن الناس لم تسمع به ولم تتناقله بينها. لذلك فان محمد بن احمد حنطي كان في مزيج من الحيرة والغبطة والنشوة والقلق لم يكن يستطيع معها ان يفكر كثيرا في حاله . كل ما فهمه من الكلمات القليلة التي همس بها صوت رقوش ان اهلها من النساء والاطفال في حمام السوق ، وانها كانت هناك معهم ثم عادت قبلهم لتكون الى جانب جدتها القعيدة ، وان هذه ليست ساعة عودة الرجال الى الدار ، وانها خائفة ، وانه ما كان يجب ان يفعل هذا فيدخل ... ولكن محمد بن احمد حنطي كان قد دخل . فاذا لم يكن في البيت الا عجوز عمياء صماء وكان الرجال لا يعودون الان فلماذا تخاف ؟... وهنا زاد جسد الفتاة به التصاقا فاندفع الدم في عروق راسه فائرا . لقد كان في البدء،وهو يمسك باصابع كفيه كتفيها ، يجد لذة غريبة في انغراس لب اصابعه في لحم المنكب المليء . ولكنه منذ احس بكرتي ثدييها تضغطان صدره ومنذ ملأت خياشيمه رائحة البيلون الدافئة التي تحمل في ثناياها صورة جسد المراة العاري في ضجعته على بلاط الحمام ، منذ ما احس محمد بن احمد حنطي ذلك فقد اللذة من جوانحه وثارت مكانها الشهوة تعصف في دمائه . كل ما لفظته شفتاه ودار به لسانه وتحركت به اطرافه بعد ذلك لم يكن بارادته ولا في وعيه وانما بارادة تلك الشهوة العارمة التي كان يحس بها نارا تتاجج في شرايين صدغيه ويسمع باذنيه حفيفها في كل نبضة من نبضات قلبه . كانت عيناه مفتوحتين على وجه رقوش المدور وقد استحال توورده الى حمرة قانية تضرب الى الزرقة كلما حبست انفاسها في جهد المستميت لتتفلت من الطوق الذي لفها به بذراعيه . وكانت اوداجها تبرز كحبال مزرقة تحت بشرة عنقها اللبنية وهي تحبس زفرتها ثم لاتلبث ان تلين لحظة تصيح خلالها بصوت مبحوح صيحتها المستنكرة المتوسلة الباكية : ما بدي ... لا اريد ... لا اريد ... ما بدي !

لقد كانت قسمات وجه الفتاة والحشرجة التي تنطق بها وتصلب اعضائها تعني كلها انها حقا لم تكن تريد . غير ان محمد بن احمد حنطي كان كله جسدا يتنزى اشتهاء ويستميت في سبيل ان يتملك الجسد الاخر ويطويه طيا . يا لها من معركة ما كان محمد بن احمد حنطي يظن انها تنتهي ...لولا انه احس فجاة ان جسد الفتاة في اللحظة التي حسبه فيها في اوج نفاره قد تهاوى بين يديه فلم يبق الا راسها الذي سقطت عن شعره الخرنوبي المسبل طراحتها السوداء ، لم يبق الا هذا الراس يتحرك ببقايا ثورة نفس خمدت نارها ، بينما اسلس الجسد الانثوي لرجولة محمد بن احمد حنطي العنان ...

كل ما بقي في خاطر محمد بن احمد حنطي من تلك المعركة دهشته من استسلام ذلك الجسد اليه بعد كل تلك الثورة العاتية . اتراه قد شعر بلذة في ساعتها ؟ ربما . اما الان وهو في مضجعه من بلاط مستوصف الحكومة فانه يعيد في ذهنه ويستعيد، كمحموم يردد من هذيانه جملة لا يغيرها ، دهشته من استسلام رقوش، وطواعيتها له ، ومسايرتها . لم ابدت عليه كل ذلك النفار ما دامت لها كل تلك الشهوة ؟.. ثم انهم يسمون ذلك افتراسا !...

وفتح محمد بن احمد حنطي عينيه حين وصل في خاطره الى هذا الحد. فان في مجرد استطاعته البلوغ بتفكيره هذا القدر من التعقيد دليل على سيره شوطا ليس بالقصير في الوعي . وكان راي الطبيب ان الجريح يمكنه ان يجيب على اسئلة القاضي اذا كانت مختصرة . وكان اول شيء يريد القاضي معرفته من محمد بن احمد حنطي هو اذا كان قد راى المعتدي عليه حين اطلق عليه النار. فلما اشار محمد بن احمد حنطي براسه اشارة تعني نعم، قال القاضي.

ـ هل تستطيع ان تتعرف على هذا الرجل اذا رايته ؟

فانطلقت من لسان محمد بن احمد حنطي نعم ضعيفة ولكنها كانت تعني ان له من القوة ما يستطيع به ان يتهم ويميز . فاشار القاضي الى عريف حرس البادية ان ياتي بمعيشر ، بينما اطبق محمد بن احمد حنطي عينيه كان تلك اللفظة الهزيلة قد اوهنت قواه وعادت به الى غيبوبته .

والصحيح ان محمد بن احمد حنطي لم يعد الى غيبوبته ولكنه عاد الى خواطره . نعم انه ليعرف حق المعرفة اخا رقوش . كيف لا يعرفه ولقد كان يراه ويلتقي به كل يوم ، اذا

ـ التتمة في الصفحة ٧٥ ـ

الرقة		**عبد السلام العجيلي**

التحليل النفسي للابداع الفني

بقلم محمود السمره

*

اهتم فرويد (١) ، منذ البدء ، بالكتاب وانتاجهم لسببين : اولهما ميله الطبيعي الى الادب ، وخاصة الى ما يمكن ان يلقيه علم النفس التحليلي من اضواء على الادب . ونجد اشارات وشروحا للانتاج الفني في كثير من ابحاث فرويد المجموعة والمطبوعة في ستة آلاف صفحة . وهو في ابحاثه هذه قد وضع تحت مجهره التحليلي اعاظم الفنانين امثال شكسبير ، وابسن ، وجيته ، ودوستويفسكي ، وهوفمان وو... وكثيرون من تلامذة فرويد شاركوا استاذهم شغفهم بهذا النوع من البحث ، وكانت نتيجة هذا ان اصبح بين ايدينا مئات من الابحاث في التحليل النفسي للادب .

واما السبب الثاني فذو صبغة علمية . فقد اتهم علم النفس التحليلي بانه اوهام لا معنى لها ، فدافع رجال هذا العلم عن انفسهم بوسائل متنوعة ، فاشاروا مثلا الى ان الكتاب العظام قد عرفوا عن طريق الحدس كل شيء اكتشفه علم النفس التحليلي وأثبته . وهكذا استعان هذا العلم بمعرفة الكتاب الحدسية في كثير من ابحاثه .

ان كل انسان متعلم يحس ، وخاصة في فترة البلوغ بدافع داخلي يدفعه الى كتابة قصيدة او تمثيلية او قصة . وبعض الناس عندما تتقدم بهم السن يضحكون من حماقات فترة المراهقة هذه ، وقد يخجلون منها . ولكن كثيرين ، بالرغم من فشلهم البادي المتكرر ، يستمرون في الكتابة ، وهكذا يسيؤون الى الادب اساءة متعمدة ، ويقول اوسكار وايلد : « كل انسان يستطيع كتابة قصة في ثلاثة مجلدات ضخام ، اذ لا يتطلب هذا منه سوى الجهل المطبق بالحياة والادب . »

والرغبة في الكتابة امر شائع ، خاصة في البلاد التي يقل فيها عدد الاميين ، ويكثر تبعا لهذا عدد قراء الجرائد الاخبارية والكتب والمجلات الاسبوعية والشهرية . وان اغراء الكسب من هذه المطبوعات مضافا الى الميل الطبيعي ، ادبا الى وجود عدد كبير ممن يحاولون ان يكونوا كتابا .

وهنا نتسائل : لماذا يجب بعض الناس ان يكتبوا ؟ لا بد لنا ، قبل كل شيء ، من ان نستثني جميع الدوافع الواعية كالرغبة في الكسب المادي او الشهرة ، اذ هي امور واضحة لا تحتاج الى شرح ، ونحن انما تعنينا الدوافع غير الواعية . والابداع الفني انتاج غير واع ، وبعبارة أخرى فان قلم الكاتب تسيره قوى داخلية . وكثيرا ما عبر الكتاب الكبار عن هذه الحقيقة ووصفوا الابداع الفني بانه يتم على مرحلتين : اولاهما وجود باعث ما في داخل الفنان يثير فيه الافكار ، وثانيتهما التعبير عن هذه الافكار . والمرحلة الاولى – سواء سميناها الوحي او الالهام او الموهبة او... – تثير الفنان اثارة لا ارادية . اما المرحلة الثانية فمرحلة عملية ، وهي في الغالب عمل شاق ، يظهر في تشكيل وتطوير المادة المنبعثة عن المصادر اللاواعية . والخبرة ، والمهارة ، والحذق الفني الكبير ، امور لازمة في هذه المرحلة . وبما ان الفنان لا يملك السيطرة على الدافع الاولي للابداع ، لذلك فانه عاجز عن شرح المرحلة الاولى ، ولكنه قد يستطيع وصف الظروف التي فاجاه بها الهامه ، ووصف المرحلة الثانية ، مرحلة التعبير عن هذا الالهام وبعبارة اخرى فان الفنان يستطيع ان يقدم لنا كثيرا من روائع الخلق الفني ، ولكنه لا يستطيع ان يقدم لنا تفسيرا لمراحل هذا الابداع . ونجد هذا المعنى في قول « جيته » لاكرمان (١١ مارس ١٨٢٨) : « لا انتاج من النوع الرفيع ، ولا فكرة عظيمة مثمرة ، خاضعة لارادة أي انسان ، والفنان في هذه الحالة معتبر اداة في يد قوة فوقه . وبهذه الطريقة الهم شكسبير «هملت» ؛ ولكن الالهام الذي ينزل على الفنان ، يفترض مقدما وجود موهبة لائقة به ، فموهبة شكسبير جديرة بان تبدع « هملت » . اما التقسيم الى فصول ومناظر ، واجراء الحوار وما الى ذلك ، فامور خاضعة لارادة الفنان ، ولذا فانه قد يقضي وقتا طويلا في التحوير والتبديل والترتيب كما يهوى . »

ويصف « نيتشه » الابداع الفني وصفا مشابها فيقول « تلمع الفكرة فجاة كالبرق ، ويكون لمعانها محتوما لا راد له ، ولا حيلة لي فيه ، وعندها اشعر بنشوة عظيمة ، وبتوتر عصبي شديد ، يخفف منهما احيانا انسياب الدموع من عيني . » ويعرف (ستندهال) الابداع الفني بهذه الكلمات : « انا اكتب مسيرا ، وبسرعة ، وعندما تمر الصور بعقلي يسجلها قلمي ثم انسى بعد ذلك كل شيء كتبته . » ويصفه (جوزف كونراد) بقوله : « كل الاماكن تصلح للكتابة ، فقد ينزل الوحي على بحار نائم على سرير بسيط على ظهر سفينته . وبما انه من المنتظر ان ينظر القديسون الى المؤمنين بهم بعين المودة والعطف والتشجيع ، لهذا كنت احس بالسعادة وانا اتخيل روح (فلوبير) العظيم محلقة فوق سفينتي التي قيدتها ثلوج الشتاء القاسي ، مسرورة مشجعة لي على الاستمرار في الكتابة . »

ان اكتشاف علم النفس التحليلي للذات غير الواعية لم يتم مرة واحدة بالطريقة التي خلق بها (زيوس) رب الارباب (اتينا بلاس) من راسه ، اذ اراد فاستوت امامه فجاة جميلة فاتنة لا عيب فيها . ان الفرق بين هاتين الحالتين يبين لنا الفرق بين الميتولوجيا والعلم : ففي العلم لا بد من ان تكتشف كل خطوة ، ثم تختبر وتعدل مرارا وتكرارا . ولهذا فان تطبيق ما توصل اليه علم النفس التحليلي على الكتاب وانتاجهم ، مرهون بوقته لانه يعكس فترة معينة ، هي الفترة التي كتبت فيها هذه الابحاث .

وقد بدا تطبيق علم النفس التحليلي على الكتاب بفقرات وردت في كتاب « تفسير الاحلام » لفرويد ، الذي طبع سنة ١٨٩٩ ؛ وفي هذا الكتاب شرح فرويد تردد هملت بدقة وروعة بحيث يستحق ان ننقله بنصه : « ...وهناك

(١) هذا البحث معتمد على بحث برجلر القيم
Edmund Berglers: «Psychoanalysis of Literary Productivity».

مأساة شعرية رائعة اخرى هي « هملت » لشكسبير ، نبتت في نفس التربة التي نبتت فيها مسرحية « الملك اوديب » . واختلاف طريقة المسرحيتين في تناول موضوع واحد سببه الفرق الكبير في الحياة النفسية بين هاتين الفترتين المتباعدتين من الحضارة الانسانية . ففي « الملك اوديب » نجد رغبات الطفولة قد تحققت في الواقع ، بينما بقيت هذه الرغبات مكبوتة في « هملت » ، ولكنا ندرك وجودها من خلال التصرفات الناتجة عن هذا الكبت . والفكرة القائمة عليها مسرحية « هملت » هي تردد البطل هملت في تنفيذ الانتقام الذي القاه على عاتقه شبح ابيه ؛ ونحن لا نجد في نص الرواية ما يفسر لنا السبب او الدافع لهذا التردد ، كما لم تنجح المحاولات المتعددة للمفسرين في تبيانه . وحسب الفكرة السائدة ، هذه الفكرة التي جاء بها (جيته) ، فان هملت يمثل لنا الانسان الذي يشل قدرته ونشاطه نشاط فكري متزايد . وفي رأي آخرين ، ان الشاعر قد حاول ان يصور لنا شخصية متقلبة على وشك الاصابة بالنورستانيا ؛ ولكن عقدة المسرحية ترينا ان الشاعر لم يقصد ان يرسم لنا بطله شخصا عاجزا عن تنفيذ ما يفكر فيه : ففي حادثتين منفصلتين في الرواية يثبت لنا انه حازم وقادر على العمل .

اذن ما هو الدافع الذي كان يمنعه من تنفيذ الانتقام ؟ والجواب على هذا السؤال كامن في طبيعة هذه المهمة التي كان عليه ان يقوم بها . ان باستطاعة هملت ان يقوم باي عمل الا ان ينتقم من الرجل الذي دبر مؤامرة قتل والده ، واحتل مكان والده بزواجه من امه ـ هذا الرجل الذي حقق في الواقع رغبات طفولته المكبوتة . فالكراهية التي كان عليها ان تدفعه الى الانتقام منه ، حل محلها توبيخ ذاتي ، وتعذيب ضمير ، كلاهما يقول له بانه هو نفسه ليس افضل من ذاك القاتل الذي يطلب منه ان ينتقم منه . وانا هنا انما اترجم الى لغة الوعي ما بقي مستترا في لاوعي البطل . والكراهية الجنسية التي يعبر عنها هملت في حديثه مع اوفيليا متفقة تماما مع هذا التحليل ، وهي نفس الكراهية الجنسية التي سيطرت على الشاعر بعد ذلك لمدة سنوات قليلة ، حتى ابدع التعبير عنها في روايته « تيمون الاثيني » .

ولكن قد يكون تحليلنا لرواية « هملت » هو في نفس الوقت تحليل لنفسية الشاعر نفسه ، ويشجعني على هذا الشك انني قرات في كتاب عن شكسبير لجورج براند بان الشاعر قد نظم مسرحية « هملت » بعد موت والده مباشرة ، اي عندما كان لا يزال يندب الوالد الراحل ، وفي فترة كانت قد استيقظت فيها عواطف طفولته . ومن المعروف ايضا ان ابن شكسبير الذي مات في طفولته ، كان اسمه هملت باسم بطل مسرحيته ؛ ومسرحيته تعالج العلاقة بين الابن ووالديه ؛ ولكن علينا الا ننسى ان كل ابداع فني هو نتيجة لاكثر من دافع واحد ، ولهذا فقد يحلل من زوايا مختلفة ، وانا هنا انما حاولت ان احلل اعمق الدوافع الكامنة في نفس الشاعر المبدع » .

ان فكرة اللاوعي كانت مألوفة ، منذ زمن طويل ، عند الفلاسفة . ولكنا نعرف ان (فرويد) اضاف الى هذه الفكرة شيئا جديدا ، فقد احال هذا المفهوم الغامض المبهم الى علم اثبته بالتحليل ، وجعل من الممكن الاستفادة منه في علاج الامراض النفسية . وفي رأيه ان الفنان يعبر في فنه عن احلام اليقظة ، ويقول في بحثه « العلاقة بين الشاعر واحلام اليقظة » (١٩٠٨) : « ان ما يفعله الكاتب يشبه ما يفعله الطفل اثناء اللعب ، فهو يخلق عالما خياليا لا وجود له في الواقع ثم يؤمن به . وليست احلام اليقظة الا استمرارا للعب الطفولة ، فالرغبات المكبوتة هي القوة الدافعة الخالقة لهذه الخيالات ، وكل خيال منها يحقق رغبة لم تتحقق في الواقع . »

وتظهر احلام اليقظة معدلة مقنعة في الخلق الفني ، ولكن « صاحب الجلالة الانا » يمكن التعرف عليه رغم تقنعه ، فهو الطفل في ملابس الرجل ، ويقول فرويد : « ان تجربة ما قد تكون ذات تأثير قوي في الكاتب ، فتثير فيه ذكريات تجربة سابقة ، تعود الى زمن الطفولة غالبا ، وهذه بدورها تثير رغبة لم تتحقق فتتحقق عند التعبير عنها في العمل الفني . وفي هذا العمل الفني نستطيع ان نلحظ الباعث المباشر والرغبة القديمة مجتمعتين معا . »

ويتحدث فرويد عن ميكانيكية الابداع الفني فيقول : « ان من يحلم احلام اليقظة يخفي عن الآخرين رغباته ، لان لديه من الاسباب ما يبرر بها خجله . وعندما يعبر اديب موهوب عما قد تظنه احلامه اليومية ، نشعر بسعادة عظيمة تنبع من مصادر عدة . اما كيف يستطيع الكاتب ان يفعل هذا ، فسر من اسراره الخفية العميقة ، وكلنا نستطيع ان نقدر بان الكاتب يبعث في نفوسنا المتعة والبهجة عن طريقين : اولاهما ان الكاتب يلطف من شخصية (الانا) البادية في احلام اليقظة ، وذلك بما يدخل عليها من تحويرات واقنعة ، ثم يعرض هذه الاحلام علينا عرضا يبعث فينا لذة جمالية . ونحن لشعورنا بهذه اللذه نخلص انفسنا من التوتر الذي يسيطر على اعصابنا . والطريقة الثانية هي ان الكاتب يضعنا في ظرف نستطيع فيه ان نتمتع باحلامنا دون ان نشعر بالتقريع او الخجل » . ـ هذه هي خلاصة آراء (فرويد) في هذا الموضوع حتى سنة ١٩٠٨ .

وفي سنة ١٩٠٨ اصدر (اوتو رانك) كتابا بحث فيه مشكلة الابداع الفني ، وقد وصل الى نتيجة وهي ان الكاتب بالنسبة الى الواقع الذي تقرره الصحة العقلية ، ليس بالحالم ولا بالعصابي ، فالحالم والعصابي مستواهما النفسي واحد ، والفرق بينهما في الدرجة فقط . اما الفنان فعلى العكس منهما . اذ فيه نشاط يبعده عن ان يكون مريضا مرضا نفسيا مثلهما ؛ وبدلا من الروح الانعزالية التي تدفع العصابي الى الهرب من واقع لا يستطيع تحمله ، فاننا نجد الفنان يواجه الدنيا وهو راغب في ان يحرز النصر والتفوق وهرب الفنان من الواقع غير المرضي الى عالم الاخيلة ، يجعله شبيها بالعصابي ، ولكنه بموهبته الخالقة يستطيع العودة ثانية الى الواقع ، اما العصابي فرغم محاولاته ، لا يستطيع ان يفعل هذا . وكل ابداع فني يصحبه جهد ومعاناة ، فالخلق الفني في اعمق اصوله ، يصدر عن المعاناة ، ويكونه صراع داخلي لا يستطيع الفنان السيطرة عليه . ويختلف الفنان عن العصابي والانسان الصحيح الجسم العادي ، في انه قادر على التعبير عن انفعالاته الذاتية في صورة تجعلها ملذة للاخرين ، دون ان تبدو وكأنها صادرة عن رغبات مكبوتة ، ولهذا فان الفنان يلبس خيالاته غير الواعية ثوبا فنيا ، وهذه الخيالات تكون باعثة على النفور في حالة كبتها ، ولكنها في العمل الفني تكون باعثة للرضى والسرور .

ويضيف (رانك) قائلا « ولكن في شيء من المبالغة ، ان العصابي فنان جنح الى السلبية ، والفنان عصابي جنح الى الايجابية ، وبهذا عالج نفسه لا شعوريا . وتقدير الفنان البالغ لانتاجه سببه ما فيه من نرجسية ثابتة الجذور ، وهذه النرجسية هي التي تدفعه الى ان يكشف لنا عن ذات نفسه » .

وفي سنة ١٩٢٠ (٢) كتب (هانز ساكس) كتابا وضح فيه مشكلة من اعقد المشاكل المتعلقة بفهمنا للفنان ، فقد عالج ، بصورة خاصة ، الدور الذي يلعبه الشعور غير الواعي بالاثم عند الفنان . وقد كان (رانك) حتى سنة ١٩٠٨ ما يزال يعتقد بان الفنان انما يهدف من ابداعه الى الشهرة ، لان هذا يعني موافقة الناس له على آرائه ، وتبعا لهذا يشفي نفسه من اوهامها . اما (ساكس) فقد وجه انتباهنا الى دافع اقوى واعمق من هذا ، فقد قال ان الفنان ينشد الشهرة لكي يستطيع التخلص من شعوره بالاثم ؛ ولهذا فانه يحاول ان يكسب القراء الى جانبه بجعلهم يوافقونه على ما يقول ، فكانهم بموافقتهم يقولون له : « اجل ، ان رغباتك المكبوتة هي نفس رغباتنا ، فنحن جميعا مشتركون في الاثم نفسه . » وهكذا فان الفنان باحرازه موافقة الاخرين يتخلص مما يثقل ضميره .

وفي سنة ١٩٣١ صدر لبريل(٣) بحث قيم نضعه في مرتبة ابحاث فرويد العظيمة في هذا الموضوع . وهو في بحثه هذا يتناول المشكلة القائمة ، فيبدي دهشته لان من سبقوه لم يدرسوا دراسة مستفيضة المرحلة الفمية عند الفنان . ولتبيان ما يعني بريل بهذه المرحلة ننقل كلامه ، فهو يقول : « ان مشهد الصراخ والبكاء الذي يبديه الطفل الرضيع من اجل الحصول على ثدي الام ، وشعوره بالحرمان ، نراه مكررا عند الشاعر . وكما يسكت الرضيع عندما يضع ثدي امه في فمه ، كذلك يشعر الشاعر بالراحة بعد ان يعبر عن انفعاله بهذه الاصوات الموسيقية العذبة . »

وجاء العالم النفسي المعاصر (برجلر) فتناول ابحاث من سبقوه بالتحليل والنقد ، ووصل الى نتائج مدهشة . وقد بدأت ابحاثه في التحليل النفسي للكتاب كجزء من عمله التحليلي الذي كان يقوم به على عدد من الناس . وقد سره ان يجد في الادب والتاريخ ايضا شخصيات يمكن ان يجري عليها النتائج التي توصل اليها . وتبعا لهذا فقد كتب بحثا عن (كراب) كتتمة لدراسته للمرحلة الفمية ، وكتب دراسة عن (ستندهال) كتتمة لمحاولته في فهم الظاهرة النرجسية ، وتتمة لدراسته لمذهب الكلبية كتب بحثا عن العلاقة بين تاليران ونابليون ، ولعل القليلين يعرفون ان نابليون كان كاتبا في شبابه .

ولقد توصل (برجلر) في ابحاثه المتعددة الى نتائج منها ما يلي ، اعرضها ملخصة : — لقد توصل الى ان الكاتب لا يعبر في كتاباته عن رغباته واحلامه غير الواعية ، كما قال من تقدموه ، بل الى ان الكاتب ، بدافع من شعوره غير الواعي بالاثم ، يدافع في كتاباته عن نفسه دفاعا لاشعوريا محاولا به تبرير هذه الرغبات . فالمطلوب استحسان القارىء له هو بتبرير هذه الرغبات لا الرغبات غير الواعية نفسها .

— ويقول ان تجاربه في التحليل النفسي قد هدته الى ان الكاتب لا يكشف في كتابته عن ذات نفسه ، كما اعتقد (رانك) وكل من كتبوا في التحليل النفسي للابداع الفني بعده . وهو يرى ان كل كاتب ، في اعمق كيانه ، مصور للاخرين اولا . لا شك في ان حب عرض الذات هو احد الدوافع غير الواعية في الخلق الفني ، فالفنان يعرض جزءا من ذاته في عمله ، بصورة مماثلة لحالة النرجسية التي عرضها (رانك) و (ساكس) ؛ ولكن الدافع الاعمق من هذا هو ان كل كاتب عارض للاخرين لاشعوريا ، ولكنه يدافع عن نفسه احيانا بنفي هذه الصفة عنه وذلك بعرض جزء من ذاته .

— وقد اطلع (برجلر) على بحث (بريل) الذي نشر اولا باللغة الانجليزية ، وذلك عندما صدرت ترجمته الالمانية (١٩٣٣) ، وكان قد بدأ ابحاثه في هذا الموضوع قبل صدور هذه الترجمة الالمانية ، وقد توصل ، دون اي اطلاع سابق على (بريل) ، الى نتيجة مماثلة للتي توصل اليها (بريل) ، وهي ان المرحلة الفمية هي اكثر المراحل اثرا في الفنانين وقد عبر عن سروره لان عالما ثقة كبريل قد توصل الى مثل ما توصل هو اليه .

ولكن هناك خلاف بينهما اذ يرى (بريل) ان الفنان في المرحلة الفمية ، يعبر في فنه عن شعوره بالحرمان مكررا بهذا حالة الطفل الذي يبكي من اجل ثدي امه ؛ اما (برجلر) فيرى ان الفنان يقف موقفا معاكسا للموقف السابق ، فهو بدلا من ان يشعر بالحرمان ، يشعر بالاستغناء والاكتفاء ، ويكون من نفسه مملكة قائمة بذاتها مكتفية بذاتها لا تشعر بالحاجة الى اي عون خارجي ، محققا هذا لنفسه بما يبدعه من صور فنية .

— وقد استنتج بان كثيرين ممن كتبوا عن حيوان الاشخاص على اسس التحليل النفسي كانوا مخطئين ، ذلك لانهم وجدوا في بعض الحالات التي حللوها ان العقدة الاوديبية هي الاساس في حالات الامراض العصبية ، ولانهم وجدوا هذه العقدة في بعض من حللوهم من الكتاب ، لذلك عمموا فقالوا ان العامل الاساسي في العصابي والكاتب هي العقدة الاوديبية ، وهذا خطأ في التصميم ، اذ الحقيقة ان المرحلة الفمية — بمفهوم برجلر لها — هي الواقع الاساسي في الكتاب . وعلماء النفس الذين كانوا يكافحون من اجل اكتشاف العقيدة الاوديبية سرهم ن يجدوا دليلا عليها في كتابات بعض الكتاب المشهورين .

— وقد وجد (برجلر) ان التحليل النفسي على اسس علمية صحيحة ، قد ادى الى نتائج علاجية ، وقد توصل الى هذه النتيجة بعد تحليل ستة وعشرين كاتبا ، وقد شرح حالاتهم شرحا مفصلا في ابحاثه .

هذا عرض لآراء بعض مشاهير علماء النفس التحليلي في هذا الموضوع الذي اصبح الان يحتل مكان الصدارة في الدراسات الادبية الناقدة .

الكويت — **محمود السمره**

(2) Hanns Sachs : «The Creative Unconscions»
(3) A.A. Brill : «Poetry As An Oral Outlet».

حنين

✶

الى ا.ش

للدكتور ماجد فخري

الجامعة الاميركية ببيروت

✶

عندما تطل الشمس من وراء صنين ،
ويستفيق البحر على همسات الشعاع الخافق
فان خيالي ينطلق نحو الافق
يبحث عن حبي الذي نأى ،
وتذوب نفسي آهات وحنين .

✶

وعندما تدور الشمس دورتها الكاملة في الفضاء
ويكتب الشفق باصابع من دم سيرة النهار الجريح ،
تخيم على نفسي كآبة خرساء .
لان النهار قد زال
ولم تعد القوافل الآفلة بخبر من حبيبي .

✶

اناشدكم يا حداة الركب
أما رأيتم حبيبي على قارعة الطريق
أو بين المروج والحدائق الخضراء ؟؟
ألم تروه يرعى خراف أبيه
أو يقطف من الحدائق وردة حمراء
لتكون بشارة بمولد حبنا ثانية ؟

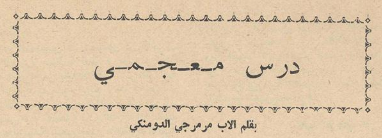
فالزمـــان قد طال ،
وقد مات الرضيع الاول ،
وانا امرؤ ضعيف نسي
يحيا لافراح يومه ومآسيه ...

✶

أناشدكم ايها الصحب
أن تقولوا لحبيبي اذا رأيتموه
أن يعجل الخطى .
فقد انهكني الانتظار واضناني
والايام تمر راكضة من تحت نافذتي
كأن يدا منتقمة تطاردها .
ومن يدري أين نكون غدا ؟
ومن يدري كيف نكون ؟
فنحن بين الحاضر والماضي
أسري ما نعرف ،
وبين الحاضر والمستقبل
أسري ما ليس نعرف .
وكلما ثرنا على عبودية الزمن الذي فات
شوقا الى سلام الآفاق الرحبة ،
يحدونا الزمان قدما
بسراب الاماني الخلابة ،
تفجرت في قلوبنا ينابيع الفرح
ثم غاضت ،
كما يغيض السيل بعد العاصفة الهوجاء

✶

قولوا لحبيبي ان يلاقيني في هدأة الليل
على مرأى من تلك النجمة الساطعة ،
وليهمس اليها بامانيه :
لتكون رسول حبنا ،
فأنا افهم لغة النجوم
لان نجمة حياتي قد صعدت
حين كتب لقلبينا الوجيب معا .
وما أحلى موسيقى الليل
تعزفها الافئدة المتيمة في صمت ،
في أرجاء الارض جميعها ،
وعلى مرأى من النجوم
التي تشهد بصدق حبنا الخالد .



بقلم الاب مرمرجي الدومنكي

احد اساتذة المعهد الكتابي والاثاري الفرنسي
بالقدس وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

°°°

يدعي العلايلي(١) ، بان « المقارنة الالسنية السامية » ، التي قد تفرغنا لمزاولتها ، ان هي الا « ضرب من اللعب بالورق للبحث عن البخت » في حين ان مؤلفه ان هو الا بناء واه ، لقيامه على اس من رمل ، أس التخيلات الناجم عنه « الترهات » ، حسب تحديد شيخنا عينه . وبالحقيقة ، ان « الترهة » ــ وهي من مصطلحاته الجديدة ــ اسم من « ترِه » الثلاثي ، المشتق من الثنائي الخفيف « **ته** » الظاهر في مكرره « ته ته » ، وهو فعل جامد يراد به زجر البعير، وفي الزجر انتهاز واقصاء . ومنه تولد الفعل المطابق أو المكرر « تهته » بمعنى « رددِ في الباطل ، ومنه « التهاته » اي الاباطيل . وقد توسع الثنائي الخفيف « َته » بزيادة الراء اقحاما ، للمبالغة في دلالة الباطل . اذ ان « َترِهَ » يعني : جاء بالكذب والتخليط ومنه اشتقت « التُرَّهة وجمعها الترهات » اي الاباطيل والخزعبلات .

اما الدكتور انيس فريحه فقد انتقد العلايلي انتقادا لا بأس فيه . بيد انه قد جاء به غير واف بكل المرام . اذ قد فاته غير قليل من النواحي الخليقة بالنقد ، لا بل بالنبذ . الا ان الاستاذ الجامعي يبقى في حيرة وذبذبة ازاء حالة المعجمية العربية المشوبة ، دون محاولة اصلاح العيب الظاهر للعيان في اغلب المواد المعجمية . ودونك شاهدا على هذه الحيرة وهذه الذبذبة ما قاله في نقده المعنون : « نظرة في معجم الشيخ عبدالله العلايلي» ص٢١٤ من مجلة«الابحاث» للجامعة الاميركية البيروتية : « يشكو المتادب العربي ، عندما يلجأ الى المعجم لتفسير ما استغلق من مفردات ، من الفوضى البادية في المعاني المتباينة للجذر الواحد ، او المشتق الواحد . كأنه امام آراء متناقضة جمعت على السن الرواة دون تحقيق وتمحيص ... وقد وردت في نص عبراني لفظة « َحوب » ومعناها الاثم . ثم وردت في نص سرياني بمعنى المسؤولية ثم الدَين ... واللفظة سامية مشتركة وردت في القرآن بمعنى الاثم « انه كان َحوباً كبيراً » وظاهر ان معنى اللفظة في العربية يتفق ومعنى اللفظة في العبرية والسريانية . لكن اذهب الى القاموس العربي ، وفتش على معنى هذه اللفظة . فانها تعني من جملة ما تعني : الابوان ، الاخت ، البنت ، ذو القرابة يعال ، الحاجة، رقة الفؤاد ، الام ، المسكنة ، الفقر ، الهلاك ، الحزن ، الوحشة ، الوجع ، الشكوى ، الضرب او الفن ، الاثم ، الرجل ، الضعيف ، النفس ، روح القلب، الضخم من الجمال، زجر الجمل الخ ...»

قلنا نحن : اننا غير جاحدين ان هذه الحالة هي حالة المعجمية العربية ، كما تتراءى في المعاجم المتداولة . وهذا ما لم ننفك من اذاعته والتشهير به في مختلف الاحوال ، في غضون تقصياتنا التي ما زلنا ننشر نتائجها بين جمهور المثقفين ، ولا سيما ارباب الاختصاص . وفي هذا قد جاء رأي الدكتور فريحة مؤيدا لرأينا . بيد ان العلايلي ومناظره فريحة لم يجدا الوسيلة الملائمة لتلافي هذا الخلل ، بازالة هذه الشائبة البائنة شنيعة . اذ لا يكفي الاشارة الى المرض والتشكي من وجوده ، بل على الطبيب المعجميّ النطاسي ان يستنبط الدواء الشافي الفعّال لهذا الداء العضال . اما نحن فقد لاحظ كل من تتبع ابحاثنا اننا لم نجتزىء بالاشارة والتشخيص ، بل قد سعينا وما زلنا باذلين الجهد ــ حسب طواعية المدّون من النصوص اللغوية ــ في تطبيق العلاج على هذا السَقام العقام ، بواسطة « نظرية الثنائية ، وطريقة المقارنة الالسنية السامية » . وها نحن اولاء نغتنم الفرصة السانحة لنقول كلمتنا ليسمعها حضرة الشيخ عبدالله العلايلي ، وحضرة الدكتور انيس فريحة ــ المعروف انهما من اهل التخصص للمعجميات ــ متخذين مادة «َحوب» ومتعلقاتها موضوعاً لبحثنا .

★

الموضوع : « َحبّ ، وَحبحَب ، حاب ، َحبا »

اولا : « َحبْ وَحبحَب »

الثنائي الخفيف لهذه المادة هو الرس « َحبْ » وهو فعل جامد لزجر البعير او حث الناقة على السير . وفى الزجر دفع . واول توسّع في « َحبْ » قبوله التنوين . فيقال « َحبٍ » . ثم ُيمدّ اوله ، فينشأ عنه « َحاب »، ثم ُيعجم فيه واو . فيصبح « َحوب » وفي كل ذلك فحوى الزجر . ثم توسّع « َحبْ » بتضعيف ثانيه ، فنجم عنه

(١) ليكن معلوما علما مطلقا ان كل ما ينشر باسمي في هذه المجلة الغراء لا تقع تبعته على صاحبها ، بل علي وحدي ، فمن له اعتراض ، او احتجاج ، او انتقاد ، فليوجهه الي لا الى غيري . لان المجلات منبر مقام لابداء الاراء العلمية ، والانتقاد ، والمناقشة ، بحرية تامة ، ودون محاباة ..

الفعل المتصرف « حبّ » .

ومن المقرر عند المعجميين المستسيمين ان الاحرف الحلقية تتعاور . ولذا ورد مجانساً لفعل « حبّ » فعلُ « ابّ » وفيه دلالة الحركة من باب الاطلاق . وينظر اليه ايضاً فعل « هبّ » المراد به هياج الريح . اما « حبّ » العربي ، المدعو مجرداً ، فاول معانيه « المودّة » . غير ان مدلول « الحبّ » يبقى فيه غامضاً ، عادم الدقة ، اذا بحث عنه في العربية وحدها ، وهنا يتجلى فضل « المقارنة الالفية السامية » التي يتهور العلايلي بحنق ودون ترو ، ناعتاً اياها « بلعب الورق للبحث عن البخت » (بما ان القضية قضية « البحث عن البخت » نظن من المفيد للعلايلي ان يستري عرّافاً او « بصّارة » ليعرف بخت معجمه هل هو ميمون او مشؤوم) ولذا فعند عمدنا الى غير العربية من الساميات نجد في السريانية ، مادة « حبّ » الثنائية . ومن مفاهيمها اولاً : اتقدت النار ، التهب ، تأججت . ومن فحاويها الاخر : احب ، عانق . ومن فريداتها habbèb (بالحاء) : احب ، هش ، عانق ، احتضن ، لثم ، ارخم ، حضن الطير بيضه . ثم المزيد الاخر ahhèb (بالحاء) : اوقد ، اضرم . ثم : ودّ ، ومق . ومن مشتقاتها « حِبيْنبا » : متقد ، مشتعل ، زاهر ، ساطع . و « حبّا » : حرّ ، لهيب . ثم : حبّ ، مودّة . ومنها اخيراً « حبتا » : هشيم ، حشيش يابس . اي المادة السريعة الاحتراق .

ومن هنا يتبيّن الانسجام في مختلف معاني « حبّ » . لان مجانسه الاول « ابّ » يدل على الحركة . ومجانسه الثاني يعني الثوران والهيجان ، ولا سيما في الريح . ويواصل التوسّع المعنوي سيره في « حبّ » السرياني . وهو اولا : دلالة الثوران او اضطرام النار . ثم من باب المجاز ، يطلق على الهيجان الادبي ، هيجان العواطف ، عواطف المودة والمحبة . ثم من ظواهر المحبة ، في الخارج ، الهشاشة ، والمعانقة ، والاحتضان ، واللثم . ومن ذلك حضن الطير بيضه .

هذا ، ومن الاتقاد والاضطرام ينجم الاتساع ، والانتفاخ ، والارتفاع . ولذا ورد في العربية المزيدان حبّبَ واحبّ الزرعُ : صار ذا حبّ ، اي انتفخ . وذلك اذا دخل فيه الاكل وتنشا الحبّ واللبّ فيه . وحبّبت الابل : امتلأت ريًا . و ــ القربةَ : ملأها . وفي ذلك اتساع وانتفاخ وارتفاع . و « تحبّب الحمار وغيره : امتلأ من الماء . و ــ فلانٌ : انتفخ كالحبّ . و ــ اللبن : صار فاتراً ، اي متقطعاً على شكل حبّات . و « الحِبّة » بزور البقول والرياحين . وبزور العشب . وذلك في آخر الصيف اذا هاجت الارض ويبس البقل والعشب وتناثرت بزورها واوراقها . فاذا رعتها النَعم سمنت عليها . « الحَبَب » : ما جرى على الاسنان من الماء كقطع القوارير . و « حَبَب الفم » : ما يتحبّب اي يتجمع من بياض الريق على الاسنان . و « حَبَب الماء » طرائقه ونفّاخاته وفقاقيعه التي تطفو كانها القوارير . « الحُبّ » الجرّة العظيمة او الخابية . وهي لفظة فارسية اصلها « خنب » وفي كل هذه المشتقات ، الفكرة الشاملة هي فكرة الاتساع ، والانتفاخ ، والارتفاع .

حَبْحَب :

على ان العربية غير خالية مادتها من مدلول الالتهاب والاتقاد . لكن ليس في الثنائي الخفيف « حبّ » بل في مكرره « حَبْحَب » . ومن دلالاته : اتقدت النار ، والتهبت . ومن التهاب النار ينبثق الضوء واللمعان . ولذلك اشتق من « حَبْحَب » « الحُباحِب » . وهو ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه كالسراج . ومنه ايضا « نار حُباحِب » لما تقدحه الخيل بحوافرها .

ثانياً : « حابَ »

على ان الرس الثنائي الخفيف قد توسّع ايضا بمدّ اوله . فجاء منه « حابَ » ودونك تنسيق وتعليل فحاويه :

من « حابَ » الفعل الجامد الدال على الزجر ، صدر « حَوب حَوب » وبمعناه ورد « حَبْحَب والحَبْحَبة » ، وكذلك « حوبُ » الجمَل : قال له « حَوب حَوب » . و « الحَوب » الجمل عينه ، لزجره بكلمة « حَوب » كما سُمي البغل « عَدسًا » لزجره بلفظة « عَدس » . ودُعي الغراب « غاقاً » بصوته . وفي كل هذا معنى الحركة والدفع بالزجر .

وبفعل الايقاد والاستضرام الدال عليه السرياني « حبّ » والعربي « حَبْحَب » ، ينشأ في المادة ، المعرّضة لتأثيره ، الضعف الحسّي ؛ ومن ذلك يحصل التقصير في الشخص الواهن . ومن التقصير الادبي يصدر الذنب او الاثم . ونتيجة التقصير والذنب ، الالتزام والدين المتطلبان الوفاء والتعويض . ثم لسبب الضعف ينشأ في العامل الجهد والتعب ، والشدة والوجع ، والبلاء والهلاك . ثم من القوة المفرطة يتولد العنف والظلم ، مما يتأتى عنه الفاقة ، والحاجة ، والمسكنة ، والوحشة . ومن ناحية اخرى ، نرى ان الحبّ الناشيء عن الالتهاب الادبي يولد الرقة ، والتحنن ، والغم ، والالم . وبوجه عام كل ما يؤثر ويوجع ، ويحزن . وهذه العواطف والحاسّات تشمل ذوي القرابة ، ولا سيما من جهة الام ، لا بل الام ذاتها . ومن هذا القبيل ايضاً الابوان ، والبنت والاخت . وبالاجمال كل ذي رحم محرَم ، او كل ذي حرمة تضيع ، من ام ، وبنت ، واخت وغير ذلك .

بعد هذا التنسيق الشامل ، نسرد مداليل المادة ببعض التفصيل .

« الحَوب » يشمل كل ذوي القرابة ، او كل ذي رحم ، مثل الاب ، والام ، والاخث ، والبنت . والمراد من ذلك ليس المعنى الخاص لكل من هذه الاسماء ، بل المفهوم الشامل كلها من باب الاطلاق ، وهو القرابة او صلة الرحم . ومن ثم الرقة ، والحنو ، والالم في القلب والحواس . ومن المداليل الاخر للفظة « الحَوب » فحاوي الحزن ، والتوجع ، والشدة والوحشة ، مما يؤثر في العواطف ولا سيما في القلب . وعلى مثال « الحَوب » جاءت مفردة « الحَوب » التي من جملة مداليلها : الحزن ، والمرض ، والبلاء . ومن ذلك « الحَوباء » اي النفس ، او روح القلب . لان فيهما يجري التأثر والانفعال . وكذلك « الحَوبة » : الابوان ، البنت ، الاخت ، القرابة من جهة الام ، وكلما يكون موضوع الرقة ، والحنو ، والمحبة ، والشفقة . ومنه « الحَوبات » (ج حَوبة) : النساء المحتاجات اللواتي لا يستغنين عمّن يقوم عليهن ويتعهّدهن . و « الحَوبة » ايضاً : الدابة . لحاجتها الى من يعتني بها . و « الحَوبة » : الرجل الضعيف . وكذلك المراة المهزولة .

ومن الضعف الحسي والادبي ، ينجم ، كما راينا ، التقصير الادبي ، وهو « الاثم » . ومن مفاعيله الحزن والغم . ومن ثم وجوب المسؤولية . والتكفير شبه اداء الدين . لان المذنب كالمديون . وفي هذا المجال ذاته تلتقي المعاني في العربية ، والعبرية ، والسريانية . وهذا مما قد استأثر باكتشافه ، بحدة ذكائه ، وعميق تقصياته ، استاذ الجامعة، الدكتور انيس فريحة . فلاق به ان يكون موضوع اعجاب وثناء وشكران المعجميين قاطبة !... ولذا قد ورد في العربية « حابَ » بكذا : اثم . و « احوَب » : صار الى الحَوب اي الاثم . و « تحوّب » من الاثم : توقاه . وهذا من باب السكب . كما في « تأثم وتحنّث » كأنه يلقي « الحَوب والاثم والحنث » عن نفسه .

و « تحوّب » : توجع وتغيّظ . و ــ بكى في جزع وصياح ، لندمه على ارتكابه الاثم .

و« الحابة والحَوب » : الاثم او الجرم . و«الحَوب»: المأتم . وفي الحديث : « ان الربا سبعون حَوباً » اي سبعون ضربا او فنا من الاثم . اما « الحَوبَة » ، بمعنى وسط الدار ، فالارجح انها مقلوبة عن « حَومَة » و « الحَيبَة » : الحالة السيئة . و ــ الهم والغم ، والحاجة ، والمسكنة ، و « الاحوَب » : الآثم .

ثالثاً : « حَبا »

راينا ان من مفاهيم « حَبْ » السريانية : المعانقة ، والاحتضان ، واللثم ، والارخام . مما يتطلب ، الدنو ، والاتصال ، والالتصاق . فتوسع الرس الثنائي الخفيف « حَبْ » بمد ثانيه . فورد منه « حَبا » الظاهرة في مختلف فحاويه فكرة الدنو ، والاقتراب ، والاتصال ، والاشتمال ، والالتصاق . من ذلك :

حبا يحبو حَبواً : دنا . و ــ الشراسيف : طالت وتدانت . و ــ الاضلاع الى الصلب : اتصلت بعضها الى بعض . و ــ المسيلُ : دنا بعضه الى بعض . و ــ المرء الخمسين : قرب منها . و ــ الرجلُ : مشى على يديه وبطنه . و ــ الصبي : مشى على استه ، واشرف بصدره . وفي كلا الحالين ، يجري الزحف بملامسة الارض ، او الدب عليها . و ــ البعيرُ : برك وزحف من الاعياء . وهذا جاء بمعنى : « احبَ البعيرُ » : برك ولم يثر . او اصابه كسر او مرض، فلم يبرح مكانه حتى يبرأ او يموت . و « حبا » السهم : زلج على الارض ثم اصاب الهدف . وفيه معناة الزحف على الارض . و ــ المالُ : رَزم فلم يتحرك هزالا . و ــ الرملُ : اتسع فتتابعت باتصال اجزاؤه . و ــ الرمل : اشرف معترضاً بدنوه من الارض . و ــ السفينة : جرت وهي ملامسة لا بل ملاصقة مياه البحر . و ــ له الشيء : اعترض اي اقترب منه . و ــ فلانا : اعطاه . و ــ فلانا : منعه من العطاء . والعطاء يتم بتقديم الشيء اي بايصاله الى يد المعطى له . والمنع يجري بسحب الشيء المُعطى ، مما يتطلب الدنو منه ولمسه . و ــ ما حوله : حماه . وفي الحماية فكرة الاحاطة والاشتمال اي الدنو والاتصال . « حبّى » ما حوله: حماه او منعه : مثل حباه . « احبَى الرامي » : وقع سهمه دون الغرض . وفي الوقوع دنو واتصال بالارض. «حاباه»: مال اليه واختصه . وفيه معنى التقرب والتدني . و ــ قام بنصره . اي بميله اليه وعطفه عليه . و ــ فلانا في البيع : عطف عليه ، وساهله . « تحبّى » : اشتمل بثوبه . وفيه مفهوم الاتصال والالتصاق . « احتبى » : جمع ظهره وساقيه بعمامة . اي قرّب بعضهما من بعض . و ــ بثوبه : اشتمل . « الحابي » من الرجال : المرتفع المنكبين الى العنق . وفيه فكرة الاقتراب والاتصال . و ــ السهم الذي يقع دون الهدف . ثم يزحف اليه على الارض . وفي الزحف ملامسة الارض. ــ الثقيل المشرف من الجبال ، اي المتدني من الارض . « الحَبا » : السحاب ، لدنوه من وجه البسيطة . « الحِباء » : المحاباة . و ــ الاسم من الاحتباء . وفي كلها معنى التقارب والاتصال .

*

على ان المادتين « حبَا » السريانية ، و « خابا » العبرية ، لا تمتان بصلة معنوية الى « حَبا » المادة العربية. والسبب في ذلك ان ما ينظر الى هاتين اللفظتين في العربية ليس بالحاء ، لكن بالخاء . واذ ذاك تتفق الالفاظ الثلاثة في الفحوى . والمقابل العربي ليس « حَبا » ، بل « خبأ »، ومعناه : ستر ، اخفى . وفي السريانية « حبَاء » يراد به : اختبأ . ومن « حبَا » اشتق « حبتا » : عتمة ، ظلمة دامسة . وفي الظلمة خفاء . ومنه « حا بيتا » : استتر ، لاختفاء المواد فيها . وفي العبرية وارد « خابا » : استتر ، تحجّب ، تملص . و « خوب » : قلب ، صدر ، حضن . اي الشيء الخفي ، او المخفي فيه . ويقابله ايضاً في العربية: خفى الشيء : ستره وكتمه. وخفي الامرُ : استتر ، توارى.

*

صفوة المقال : انت ترى ، ايها المطالع العربي ــ كما يخلق بالعلايلي وفريحة ان يريا ، بعد هذا الدرس المعجمي ــ ان الفضل عميم ، فضل «الثنائية والمقارنة الالسنية السامية» على المعجمية العربية ؛ وان التنافر ، والتضاد ، والخلط ، والبرقشة ، وما شاكل ذلك ــ مما يشاهده بعض الذين يلقون على المواد المعجمية نظرة سطحية ــ ليس ، في غالب الاحيان ــ الا ظاهري ؛ وانه اذا اقدم اهل التخصص ، من ذوي الصبر والجلد والثبات ، على تنظيمها ، وتنسيقها ، وتعليلها ، على ضوء « الثنائية والالسنية السامية » ، زال ما يلوح فيها من الشوائب والعيوب ــ الا ما ندر ، والنادر كالعدم ــ وتجلى فيها التساوق ، والانسجام ، لا بل الوضوح والمنطقية ، كما استبان ذلك بجلاء من سياق البحث الذي اجريناه في الالفاظ المذكورة . وهناك غيرها كثيرة قد حققناها في غير مواطن .

اذن امر بان يُعدّ من قبيل التمادي في الافتئات على اللغة الباطل والبهتان الانحاء عليها باللائمة ، لسبب حالتها المعجمية الحاضرة الظاهرة . اذ اللوم غير واقع عليها ، بل على المعجميين القدماء الذين ــ شاؤوا ام أبوا ــ قد ظلموها ظلما منكرا ، بنظرياتهم واساليبهم البدائية السقيمة ، المستندة الى جهل ، لا بل الى اكاذيب الرواة من اجلاف البادية ...

هكذا كان وما زال راينا الثابت المؤيد بالتقصي والخبرة وطول معاشرة المعجمية العربية والسامية ، وهذه هي دائما طريقة خدمتنا للغتنا العزيزة . والسلام على العربية وابنائها وخدمتها المخلصين .

القدس

الاب مرمرجي الدومنكي



باكيـــة

✳

حاشاكِ لم تذري دموعـاً ، بلى هزَزتِ في الفجـر الأزاهـيرا
هزَزتِ ظلَّ الشوقِ في سَحرة تنـدى ، ونفَّـرتِ العصافيرا
مذعورةً تنفضُ دَمعَ الندى عنهـا وتُلقـي الريشَ مَنثـورا
أطلقتِها للفجـر تسبيحـةً فيـه تحيـي الحـبَّ والنـورا

***

هذي صـلاةُ القلبِ في سره أوحَـى بها للعـينِ أن تجهـرا
لا يخجلُ الناسكُ في خلوة أن يشعـلَ الشمعـةَ والمجمـرا
منائرٌ عـلى عباب الهوى أغريـنَ هـذا القلـب أن يبحـرا
جفناكِ مجذافان من حولـه يبعثران الـدرَّ والجوهـرا

***

قلبيَ مـن عينيكِ في ضحوة ينهـلُ منها السحرَ الوانا
حدَّقتُ في عينيكِ ، ماذا أرى ؟ أرى وراء الدمع انسانـا
هو الـذي فـي القلب خبَّأتـه أطـل من عينيـكِ ولهانـا
يا عفَّة الاشواق لا تجزعـي الحبُّ كـانَ الدمعُ مـذ كانـا

فداء عينيكِ العيونُ يحبسن في الاحـداقِ ضوء الامـل
أطللت من عينيكِ ملهوفةً مثلَ سجـين من كواهُ أطـل
سكنت عينيكِ ألا فانزلي من أفـقِ الدمعِ لشط القُبل
ولا تحـدّي من طمـاح الهوى لنـا قلوبٌ لم تسعهـا المُقل

فارس سعد

احمد ابو خليل القباني

بقلم الدكتور محمد يوسف نجم

القباني في مصر ١٨٨٤ – ١٩٠٠

تركنا القباني في دمشق ، وقد بلغ به التذمر اشده ، وانهالت عليه شتائم الموتورين الحاسدين ، حتى اصبح اسمه موضوع تندر ناظمي الاغاني الشعبية ، والازجال العامية .

وتذكر المراجع (١) ، انه عندما يئس من حالة التمثيل في دمشق ، وامضته حملات الحساد ، كتب الى صديق له في الاسكندرية ، هو التاجر السوري الاصل ، سعد الله حلابه(٢) يستطلع رايه في الشخوص الى الاسكندرية ، ليستانف نشاطه التمثيلي ، في بيئة جديدة ، تقدر فنه حق قدره . فشجعه صديقه هذا على الحضور . فشد رحاله الى مصر ، واصطحب معه بعض افراد فرقته ، ومنهم جرجي ميرزا ، ومحمود الكحالة ، وحسن الساعاتي ، واحمد السفرجلاني (٣) . وقد سجلت الاهرام ، نبأ قدومه ، فقالت :

« قدم الى ثغرنا من القطر السوري ، جوق من الممثلين للروايات العربية ، يدير اعماله حضرة الفاضل الشيخ ابو خليل قباني الدمشقي ، الكاتب المشهور والشاعر المفلق . وقد التزم للعمل قهوة الدانوب ، المعروفة بقهوة سليمان بك رحمي ، في جوار شادر البطيخ القديم . والجوق مؤلف من مهرة المتفننين في ضروب التمثيل واساليبه ، وبينهم زمرة من المنشدين المطربين ، تروق لسماعهم الاذان وتنشرح الصدور . فنحث ابناء الجنس العربي على ان يتقدموا الى عضد المشروع ، بما تعودوا من الغيرة . والتمثيل سيبتدأ به هذه الليلة ، غرة رمضان المبارك عند الساعة الثانية بعد الغروب (الساعة ٩ افرنجية مساء) . وستتالى في كل ليلة حتى نهاية الشهر . واول رواية لشخص « انس الجليس » ، وهي بديعة مسرة . واوراق الدخول تباع في باب المحل باثمانها المعينة ، وهي ٥ فرنكات للدرجة الاولى ، و٢ للدرجة الثانية ، و١ للدرجة الثالثة . وهي قيمة زهيدة في جنب الفوائد المكتسبة » (٤) .

وشهد احمد شفيق باشا احدى حفلات هذه الفرقة ، في ايامها الاولى ، وسجل لنا رايه فيها ، قال في مذكراته :

« قدمت الى الاسكندرية يومئذ فرقة تمثيل عربية برآسة الشيخ خليل القباني ، فذهبت في ليلة ٢٦ يونية الى المسرح ، وكانت الرواية « نكران الجميل » ، فاعجبني التمثيل واغتبطت بالاخص لان فرقة عربية تعنى بهذا الفن الجميل » .

وقد مثل القباني في الاسكندرية ، في « قهوة الدانوب » ومسرح « زيزنيا » ، حوالى ٣٥ حفلة ، قدم فيها مسرحيات : « انس الجليس » و « نفح الربى » و« عفة المحبين او ولادة » و «عنترة» و « ناكر الجميل » و « الامير محمود وزهر الرياض » ، و « الشيخ وضاح ومصباح وقوت الارواح » له . و « الخل الوفي » التي ترجمها محمد المغزلي عن الفرد دي موسيه ، و«عايدة» التي ترجمها سليم النقاش عن الايطالية(٦) . وكان يتبع بعض المسرحيات، بفصول مضحكة كفصل «الصيدلية»، وفصول اخرى من التمثيل الايمائي (البانتوميم) .

وقد استقبله ادباء الاسكندرية ، استقبالا حسنا .

---

(١) منها كامل الخلعي في كتاب « الموسيقى الشرقي » ص ٣٨ . وابراهيم الكيلاني في مجلة « المعلم العربي » العدد الاول ، من السنة الاولى ، كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ، ص ٤٩ . وحسني كنعان في مجلة « الرسالة » عدد ٨١١ ، في ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ . وادهم الجندي في جريدة « الفيحاء » الدمشقية عدد ٢٤٠ ، في ١١ تموز (يولية) ١٩٥٢ .

(٢) تاجر سوري الاصل ، حمصي المولد ، كانت له في الاسكندرية ، تجارة واسعة . وكانت له شركة بواخر . وقد قرانا عنه اخبارا كثيرة في « الاهرام » ، تثبت ذلك – راجع الاعداد ٢٦٤٩ في ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٦ ، وعدد ٣١٠٤ في ٣٠ نيسان (ابريل) ، ١٨٨٨ وعدد ٣١٦٤ ، في ١١ تموز (يوليه) ١٨٨٨ ، وعدد ٣٢٨٦ ، في ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٨٨ وغير ذلك .

(٣) يذكر ذلك ابراهيم الكيلاني في مقاله الانف الذكر ص ٥٠ . ويخالفه فيهذا الراي حسني كنعان في مقاله « ابو خليل القباني باعث نهضتنا الفنية » (الرسالة عدد ٨١١ ، الاثنين ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ ص ٨٢) . والذي اراه انه اصطحب جوقه معه ، اذ ان «الاهرام» ذكرت ذلك ، كما انه مثل في الاسكندرية في اليوم الثاني لوصوله .

(٤) جريدة «الاهرام» عدد ١٩٧٤ ، في ٢٣ (يونية) ١٨٨٤ ، ٢٩ شعبان ١٣٠١ .

(٥) احمد شفيق باشا ، « مذكراتي في نصف قرن » الجزء الاول

فقال امين الشميل عندما شهد « ناكر الجميل » .

لقد اجملوا التشخيص حتى حسبتنا   نكاد نرى نفس المشخص يوجـد
فلله اهل الشـام ، مـن تـلق منهـم   تقل عنه لاقيت الذي هو اوحد(٢)

وقال صاحب الاهرام ، عندما شاهـد « الخل الوفي » : (٨)

شهدناها روايـــات تجلت   لدى ابصارنا غنجا وتيهـا
حوت ما رق من نثر وسجع   وشعر من معـان نجتليهـا
بها جمع الفنون ابو خليل   فانسى بالتفنن واضعيهـا
سمعنا بل رأينا منه مرءا   اديبا فاضلا فطنا نبيهـا
جرى فيها على نمط بديع   وجمعها فريـق ممثليهـا
نعم برعوا فلا عجب اذا ما   اتى بمديحهم شعري بديهـا
رشاقات يمازجهـا وقـار   اشـارت تروق لناظريهـا
بحثنا كي نرى فيها عيوبا   فكان العيب الا عيب فيهـا

وعندما مثل « عفة المحبين » ، قام فتح الله صوصه ، والقى خطابا مدح فيه ابا خليل ، وطلب منه ان يمثل على مسرح « زيزنيا » ، ليكون للعائلات نصيب من الاشتراك في مشاهدة التمثيل . وقد قرظها صاحب الاهـرام بقوله :

رواية قد زهت حسنا وتحسينا   وزينت بجلى التاليف تزيينـا
بلاغة زانها سجـع يرصعـه   نظم بديـع يفوق الدر تثمينـا
قد مثلوها باتقان ظننت بـه   انا بقرطبة نلقـى المحبينـا
ولادة وابن زيدون قـد اطردا   لعبا ذكرنا به قول ابن زيدونا
اضحى التنائي بديلا من تدانينا   وناب عن طيب لقيانا تجافينـا
هذا فريق اتانا مـن بدائعـه   بما به قد زهت انسا ليالينـا
دامت بتوفيقنا الايام زاهيـة   قولوا جميعا معي آمين آمينا (٩)

ومثل مسـاء السبت ٩ آب (اغسطس) ١٨٨٤ ، مسرحية « عنترة العبسي » ، في مسرح « زيزنيا » ، وغنى في ختامها المطرب المعروف عبده الحمولي (١٠) » .

ثم انتقل الى القاهرة ، واستاجر مسرح « البوليتياما» للتمثيل . وفي مساء الخميس ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) افتتح موسمه فيها بمسرحية « انس الجليس » . وقام بعد التمثيل فارس نمر ، محرر المقتطف ، والقى خطبة بين فيها اثر التمثيل في ترقية المجتمع (١١) ومثل في هذا المسرح ، عدا بعض مسرحياته السابقة ، مسرحية « لباب الغرام اومتريدات » وهي مقتبسة عن راسين (١٢) ، و « حمزة المحتال » من تاليفه (١٣) . وبعد ان مثل فيه حوالي ٢٠ حفلة ، بين يوم الخميس ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٤ ،

ص ٢٨٤ .

(٦) اخبار هذه الحفلات ، تجدها في اعداد متفرقة من الاهرام بين عدد ١٩٧٤ وعدد ٢٠٣٤ بين ٢٣ حزيران (يونيه) و٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٤ .

(٧) الاهرام عدد ١٩٧٩ ، ٢٨ حزيران (يونية) ١٨٨٤ .

(٨) الاهرام عدد ١٨٠ ، ٣٠ حزيران (يونية) ١٨٨٤ .

(٩) الاهرام عدد ١٩٨٦ ، ٣٠ تموز (يولية) ١٨٨٤ .

(١٠) الاهرام عدد ٢٠١٣ ، يوم الجمعة ٨ آب (اغسطس) ١٨٨٤ .

الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيه ونصف او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات ، في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها او ٦٠ دولارا كحد اعلى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

سكرتير التحرير : **الدكتور محمد يوسف نجم**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

ويوم الجمعة ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ، انتقل الى الاوبرا واستهل تمثيله فيها بمسرحية « انس الجليس » ، وذلك في يوم الجمعة ٩ كانون الثاني (يناير) ، سنة ١٨٨٥ (١٤) ، ومثل فيها في هذا الشهر ، ١٥ حفلة ، اشترك عبده الحمولي ، في عشر منها (١٥) .

ثم عاد من « الاوبرا » الى مسرح « البوليتياما » في القاهرة ، ومثل فيه بين ٧ شباط (فبراير) ١٨٨٥ (١٦) ، و١٩ اذار (مارس) .

ثم انتقل الى الاسكندرية ، ومثل في « البوليتياما » ، حوالى سبع حفلات بين ٢٩ آذار (مارس) و٤ نيسان (ابريل) ، ومثل فيها مسرحيتين جديدتين ، بالاضافة الى بعض مسرحياته القديمة ، وهما « ثاقبة الصيانة وغائلة الخيانة » ، و « الانتقام » (١٧) .

ثم اعلنت الاهرام ، خبر عودته الى دمشق ، قالت :

« يبارحنا اليوم الى دمشق حضرة الفاضل الشيخ ابي خليل قباني وفريقه . وعلمنا انه سيعود الينا عما قليل ولديه فريق منظم من خيرة المشخصين والمشخصات ، وذوي الاصوات الرخيمة . فنتمنى له بلوغ مآربه ونوال شأو مقاصده » (١٨) .

وفي اواخر تشرين الاول (اكتوبر) الى الاسكندرية بفرقته الجديدة ، ونشرت الاهرام خبر هذه العودة :

« عاد الى قطرنا على البابور الفرنسوي جناب الفاضل الشيخ ابي خليل القباني الدمشقي يصحبه جوقه العربي المنظم ، لكي يأخذ في ادارة التمثيل بين مصر والاسكندرية . فنهنئهم بسلامة الوصول ونسأل لهم التوفيق » (١٩) .

وافتتح موسمه بعد عودته من سوريا ، في مسرح قهوة الدانوب ، بمسرحية جديدة هي « مجنون ليلى » . وذلك في مساء الخميس ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) (٢٠) وافتتح الحفلة ، بقصيدة مدح فيها مصر والمصريين ، قال :

امغاني مصر ام دار السلام … قد تراءت فادخلوها بسلام
كيف لا وهي مقر الامنا … اولياء الله ارباب المقام
ايد المولى بها توفيقها … وله في ذروة العليا أدام
الخديوي العزيز المجتبي … الهمام بن الهمام بن الهمام
شمس هذا العصر اذ من فضله … تستمد النور اقمار التمام
يا له مولى تسامى فاستوى … فوق عرش المجد عزا واحترام
انا في ظل ندى احسانه … حيثما كنت بمصر او بشام
احمد العود اليه قد دعا … احمد الراجي به نيل المرام
يا سراة القطر من وافاكم … يبلغ الامال من قوم كرام
كم لكم سابق فضل انتم … بوفا لاحقه اولى الانام
فاعذروني انني عن شكركم … قاصر الانشاء نثرا ونظام
غير اني عاجز داع لكم … بسرور وصفا خاصا وعام
ولكم جميعا ارخوا … اعرب التبريك عن اسعاد عام

واستمر فن التمثيل على هذا المسرح ، حتى يوم الثلاثاء ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) (٢٢) . ثم غادر الاسكندرية الى القاهرة ، حيث مثل على مسرح حديقة الازبكية ابتداء من مساء الاثنين ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) مسرحية « مجنون ليلى » . واستمر على هذا المسرح حتى ١٢ كانون الاول (ديسمبر) (٢٣) . ثم غادر القاهرة الى طنطا . ومثل فيها بين ٤ آذار (مارس) ١٨٨٦ و ٢١ نيسان (ابريل) (٢٤) . ثم انتقل الى المنصورة ، ومثل فيها مدة من الزمن (٢٥) .

ثم سافر الى دمشق للمرة الثانية . وعاد منها في اواخر آب (اغسطس) ، ١٨٨٧ (٢٦) . وظل بعد ذلك يتنقل بين المدن والاقاليم ، وانقطعت اخباره عنا ، مدة من الزمن .

ثم تتصل اخباره ثانية ، اذ يعود الى الاسكندرية ، ليمثل في مسرحه المحبوب « تياترو قهوة الدانوب » .

واستمر في التمثيل على هذا المسرح ، حتى ٢٩ ايار (مايو) . وكان معه اثناء ذلك شاب يدعى «ابو الخير» ، كان يؤدي فصول التمثيل الايمائي (البانتوميم) ، عقب انتهاء المسرحية (٢٧) .

ثم انتقل الى طنطا ، واخذ يمثل فيها ثلاثة ايام في الاسبوع ، في مسرحه الخاص (٢٨) . وعاد الى القاهرة واخذ يمثل فيها على مسرح خاص اعده في اول شارع عبد العزيز . واستمر تمثيله فيها من ٢٥ ايلول (سبتمبر) ١٨٨٩ الى كانون الثاني (يناير) ١٨٩٠ (٢٩) .

ثم يتجول بين مدن الاقاليم . وتنقطع عنا اخباره فترة طويلة لعله عاد فيها الى دمشق . وعاد بعد ذلك الى القاهرة ، حيث

---

(١١) الاهرام عدد ٢٠٤٩ ، يوم الجمعة ٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٤ .
(١٢) مثلها يوم الاحد ، ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٤ ، الاهرام عدد ٢٠٥١ ، في ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) . ومثلها بعد ذلك عدة مرات .
(١٣) مثلها يوم الاثنين ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) . الاهرام عدد ٢٠٦٣ في يوم الثلاثاء ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) . ومثلها بعد ذلك عدة مرات .
(١٤) الاهرام عدد ٢١١٣ ، في ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٨٨٥ .
(١٥) بين الجمعة ٩ كانون الثاني (يناير) والخميس ٢٩ منه وقد تثبتنا من ذلك في مجلات الاوبرا .
(١٦) الاهرام ، في اداد متفرقة بين ٢١٣٨ ، ٩ شباط (فبراير) ١٨٥ ، عدد ٢١٧٤ ، ٢٤ اذار (مارس) ١٨٨٥ .
(١٧) الاهرام في اداد متفرقة بين ٢١٨٢ ، ٢١٨٥
(١٨) الاهرام عدد ٢١٨٥ ، الخميس ١٩ نيسان (ابريل) ١٨٨٥ .

---

(١٩) الاهرام عدد ٢٣٥٢ ، ٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٥ .
(٢٠) الاهرام لدد ٢٣٦٧ في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٥ .
(٢١) الاهرام عدد ٢٣٦٧ في ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٨٥ .
(٢٢) الاهرام في عدد ٢٣٦٧ وعدد ٢٣٦٩ .
(٢٣) الاهرام في اعداد متفرقة بين ٢٣٧٧ ، ٢٣٩٣ .
(٢٤) الاهرام في اعداد متفرقة بين ٢٤٦١ و٢٤٩٤
(٢٥) الاهرام عدد ٢٥٢٥ ، ٢٢ ايار (مايو) ١٨٨٦ .
(٢٦) الاهرام عدد ٢٩٠٦ في ١ ايلول (سبتمبر) ١٨٨٧ .
(٢٧) الاهرام في اعداد متفرقة بين ٣٤٠٨ ، ٣٤٢٩ .

مثل في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٤ .

ثم نلتقي به في طنطا ، حيث يمثل على مسرحه الخاص بين ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) و١٧ كانون الثاني (يناير) (١٨٩٥) (٣٠) .

ثم يعود الى القاهرة . ويمثل في « التياترو المصري » بين ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٥ ، و١٤ شباط (فبراير) (٣١) . ثم تنقطع عنا اخباره ، لتعود الينا في الاسكندرية ، حيث يمثل على «مسرح القرداحي» ابتداء من يوم الخميس ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٦ ، حتى يوم الاحد ١٣ كانون الاول (ديسمبر) (٣٢)

ثم يعود الى القاهرة ، ليمثل في المسرح الذي بناه له عبد الرزاق عنايت ، احد مفتشي وزارة المعارف آنذاك ، من ماله الخاص . وقد ذكر احد الكتاب خبر هذا المسرح قال :

ثم جاء المرحوم الشيخ ابو خليل القباني من الشام الى العاصمة ، وانشأ جوقة تمثيلية كبرى برئاسته . فلم يجد امامه من يمده بالمال والنصيحة والادارة ، غير المرحوم عبد الرازق بك عنايت . الذي شيد بماله مسرحا كبيرا بالعتبة الخضراء . وانفق على تاليف الجوقة بسخاء ، لا يؤثر عن غير المغرمين بالفنون الجميلة وعارفي قدورها . وقد ضمت تلك الجوقة كبار الممثلين اذ ذاك . امثال المرحوم احمد افندي ابو العدل والممثلة المطربة الشهيرة السيدة لبية مالكي والممثلة المجيدة السيدة مريم سماط . والمرحومين سليمان افندي القرداحي وسليمان افندي حداد وغيرهم » (٣٣) .

وبدا نشاطه على هذا المسرح ، في كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٩٧ وتجول اثناء ذلك بين القاهرة والاسكندرية والمنيا والفيوم وبني سويف(٣٤) . الا انه فجع باحتراق هذا المسرح الجديد . واصابته بعد ذلك خصاصة . فعاد الى دمشق ثانية .

وانقطعت عنا اخباره في القاهرة ، في ايار (مايو) سنة ١٩٠٠ . (٣٥)

وقد حفظت لنا مريم سماط ، احدى ممثلات هذه الفرقة في اخريات ايامها اخبار هذا المسرح الجديد ، قالت :

« رجعنا الى مصر ، وكان قد سبقنا اليها ابو خليل القباني . وكان المرحوم عنايت بك قد كره من القرداحي طمعه ، فبنى للقباني مرسحا بسوق الخضار ، فانتقل الجوق باجمعه الى القباني ، وكان معه المغنية الشهيرة السيدة ملكة سرور . فاجتهد القباني اجتهادا فائقا ووضع الحانا جديدة غاية في الابداع . فارسل الشيخ سلامة حجازي محمود افندي رحمي ، الاستاذ الموسيقي المشهور ، لينضم الى جوقة القباني ، ليأخذ الالحان ، ويعرف ضربها وتوقيعها فقام بما كلف به قياما مرضيا .

قمنا الى المنيا بعد ستة شهور . وكان المرحوم عنايت بك قد احيل في ذلك الوقت الى المعاش ، فجال معنا جولة مباركة . « الا انه لم يكمل حظنا ، اذ جاءنا خبر احتراق التياترو بمناظره . فرجع عنايت بك ، فوجده رمادا . فعدنا الى القاهرة ، وانحل الجوق لانه لم يجد مرسحا معدا للتمثيل ، وسافر القباني الى سوريا . وكان قد اصابته خصاصة وادقاع ، فباع منزله ، وكان منزلا كبيرا في الشام . فلما استقر به المقام ، عطفت الهيأة الحاكمة عليه وردت اليه ثروته ، وعينت له راتبا يقوم باوده ، حتى مات يبكيه الادب والموسيقى والتمثيل » (٣٦) .

اعتزل القباني الحياة والناس ، بعد عودته الى دمشق، الى ان وافاه رسول احمد عزت باشا العابد ، ودعاه الى الاستانة للمثول بين يدي السلطان . فشخص اليها ، ومكث فيها مدة من الزمن ، ثم عاد الى دمشق ، بعد ان خصص

(٢٨) الاهرام عدد ٢٤٧٢ ، الخميس ١٨ تموز (يولية) ١٨٨٩ .
(٢٩) الاهرام في اعداد متفرقة بين ٢٥٢٤ ، ٢٦١٠ .
(٣٠) الاهرام في اعداد متفرقة بين ٥٠٥٢ و٥١٢٢ .
(٣١) الاهرام في اعداد متفرقة بين ٥١٣١ ، ٥١٤٦ .
(٣٢) الاهرام في اعداد متفرقة بين ٥٦٨٠ و ٥٦٩٤ .

(٣٣) جورج طنوس ـ « الشيخ سلامه حجازي وما قيل في تأبينه» ص ٣٦ .
(٣٤) الاهرام في اعداد متفرقة بين ٦٦٣٠ ، الاربعاء ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٠٠ ، الى ٦٧٣٣ .
(٣٥) الاهرام عدد ٦٧٣٣ الاربعاء ١٦ ايار (مايو) ١٩٠٠ .

له راتب شهري من خزينة الدولة ، يكفيه وافراد اسرته (٣٧) وظل على ذلك ، الى ان اتاه رسول الموت ، وكان ذلك في التاسع عشر من شهر ديسمبر ١٩٠٢ (٣٨) .

وبعد فهذا ما عثرنا عليه من اخبار مسرح القباني في مصر . وقد آن وقت الحديث عن موهبته في الموسيقى والتمثيل ليتسنى لنا تصور الخدمات التي اداها للمسرح العربي .

لقد اعترف اكثر الذين كتبوا عن ابي خليل ، بانه كان موسيقيا بارعا . وقد ذكرنا آنفا ان الشيخ سلامه حجازي كان يرسل اليه ممثليه ، ليتلقوا عنه الالحان ، ويتعلموها وينقلوها الى مسرحه .

وقد نقل لنا خليل مطران ، شهادة علمية من اعلام الموسيقى والغناء فيه ، قال :

« وقد سمعت من نادرتي زمانهما المرحومين عبده وعثمان ، انه على توسط صوته كان اكبر اساتذة الموسيقى علما واقشاء وبراعة ايقاع » (٣٩) .

وقال في موضوع آخر :

« هذا الرجل الذي كان يحفل له ايمة الغناء والانشاد عبده وعثمان والشنتوري ومحرم وسلامه ، بل كانوا يعدونه من جهة الصناعة الاستاذ الاكبر والمعلم الامهر ، على نكرة في صوته ، تصدى حينا للتمثيل ، فصنع الروايات كما صنعها ، ولم يكن بها خبيرا ، ولا على اجادتها قديرا . الا انه ادخل فيها ما اجتمع الخلق على استحسانه ، وهو الغناء في مواقف الرقص ، او بعض المقامات القطرية الحماسية ونحوها . فما ظهر هذا التفنن الحديث في عالم السماع بمصر ، حتى وقع مرقعا من القلوب لا يزال مترددا الصدى وان طال به المدى » (٤٠) .

وقد شهد فيه ، تلميذه الموسيقي كامل الخلعي ، مثل هذه الشهادة .

هذان رايان في مقدرته الموسيقية ، وبقي ان نستمع الى احد اساتذة التمثيل (٤٢) ، يحدثنا عن مسرحه ومسرحاته ، قال :

« ففي دمشق الشام ، قام مسلم عريق في اسلامه هو الشيخ احمد ابو خليل القباني ، يضع مسرحيات عربية مقتبسة مواضيعها وحوادثها من التاريخ العربي ،ويؤديها فوق المسرح ، بعد ان شحنها بالوان من الانشاد الفردي والاجماعي ، والرقص العربي السماعي (٤٣) . . .

الى ان يقول :

« على ان القباني لم يات بجديد من حيث قالب المسرحية واقسامها . فهو في هذا كسابقيه، متبع لا مبتدع، يصب على قالب المسرحية الغربية ، كما انتهت اليه في اواسط القرن الماضي ، كما ان نصيب تخفض مسرحياته من التحليل النفسي ضئيل ومضطرب .

وانما الجدة ، فيما اعتقده ، هي انه كان يقتبس مواضيعه من حوادث التاريخ العربي ، ومما ورد في كتب الاخبار ، ومن اساطير « الف ليلة وليلة » ، مع ابتداع بعض الحوادث ، التي تساعد على اظهار الموضوع ، وتمهد له وتحسن خاتمته . وبهذا جاءت هذه المسرحيات ، في حبكة ضعيفة ، وسياقة ساذجة ، اذا قيست بالمسرحيات المعربة او المترجمة .

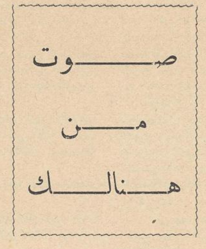
وفي هذه المسرحيات جدة في الاسلوب ، فهو فيها افصح عبارة ، « وابين عربية » من اسلوب المسرحيات السابقة ، واكثر حمولة من السجع والزركشة البيانية . الا ان السياقة اللغوية كانت تتنقل من بين النثر والنظم بلا قيد ولا شرط . كما هي الحال في مسرحيات النقاش ومن نهج نهجه . وكان المؤلف يرمي بهذا الى ان يقيم بين المسرحية الناشئة الدخيلة ، وبين الوان الادب العربي ، القديمة والاصلية ، وشائج قربى ، ولو في الاسلوب والمظهر .

وفوق هذا وذاك ، فان دعامة هذه المسرحيات ، لم تكن مقصودة على مقومات فن التمثيل فحسب ، بل تجاوزتها الى صميم الموسيقى والرقص ، فقد استقام خلط الكلام بالغناء ، على حال اتم وابرز مما ورد في المسرحيات الاولى . كما انه افسح مجالا لنوع من الرقص العربي الاجماعي القائم على السماع . وربما كان القباني هو مبتدع المسرحية الغنائية القصيرة Oprette في المسرح العربي » .

الجامعة الامريكية **محمد يوسف نجم**

(٣٦) مريم سماط ــ مذكرات ممثلة ــ المقال الخامس ، الاهرام عدد ١١٤٧٨ ، ٦ ايلول (سبتمبر) ١٩١٥ .
(٣٧) حسن كنعان « الرسالة » عدد ٨٤٧ ص ١٣٩٨ ، وادهم الجندي «جريدة الفيحاء » بتاريخ ١٢ـ٧ـ٥٢ .
(٣٨) وفي رواية اخرى سنة ١٩٠٣ .
(٣٩) قسطندي رزق « الموسيقى الشرقية » ج ١ ص ١٣٢ .
(٤٠) خليل مطران ــ الشيخ سلامه حجازي وما قيل في تابينه ص ١٨ .

(٤١) كامل الخلعي ــ الموسيقى الشرقي ص ١٣٩ .
(٤٢) زكي طليمات ــ « كيف دخل التمثيل بلاد الشرق » مجلة «لكتاب» السنة الاولى الجزء الرابع ، شباط (فبراير) ١٩٤٦ ص ٥٨٥ ، ٥٨٦ . وتجد هذا الرأي نفسه في مجلة « الهلال » هدد نيسان (ابريل) ١٩٣٩ .
(٤٣) لعله يعني رقص السماح . وهو فن باصول ، يرجع تاريخه الى عهد بعيد في تاريخ الحضارة . وقد بعثه في القرن السادس للهجرة الشيخ عقيل المنبجي ، وقد كان عالما بالايقاع وضروبه واوزانه . وقد نبش هذا الفن العربي الاصيل ، وتوارثه عنه السوريون ، واشتهر به في القرن الماضي ، في مدينة حلب الشيخ احمد عقيل ، المتوفي سنة ١٩٠٢ ، وعنه اخذه تلاميذه ونشروه في كافة المدن السورية . ومن هؤلاء التلاميذ ابو خليل القباني ، وقد كان من البارعين فيه (راجع محمد كرد علي في « خطط الشام» ج ٤ ص ١١١) .



الى صديقي الدكتور منويل يونس
ذكرى ليلة



لفؤاد الخشن
فنزويلا

صديقي دعني آلانا
فللاشواق في قلبي
جمار اللوعة الحرى
وللذكرى على هدبي
رؤى سكرى !

*

دع الليل ومخمله
على الماء
ودعني الان في صمتي
لاشيائي ...
فلا ألانوار والشجر
ولاالصمت..ولا القمر
ولا هذي الجمالات
تسليني
وتنسيني
زمانا غاب واحتجبا
وارضا حسنها غربا
عن العين !

*

دع الكاسات..فالامس
يناجيني
وذاك المنحنى همس
شعانين
وزهر اللوز في التل
قناديل
بومض النور تغويني...
وسمرة غابة الزيتون
للتيه تناديني
وتدعوني
الى ذاك الهوى الاول
على الجدول
وفي سفح صنوبره

*

مظلات من المخمل
وشال شقيقه الازرق
هوى يشهق !!

*

هنالك عاش واستهتر
صبي ناحل اسمر
أحب الغيب..والمضمر
وليل الهمس.. والسمر

وطوف في حقول القمح...
فياودية الريف
وأنصت قلبه العاني
لانغام الشواديف ..
وراح بذهله يسكر
ويغزل خيط أحلامه
على الوزال والدفل
شحوبا رائعا..أصفر !

*

بروحي هذه الصور
بروحي همسها العطر
بروحي كل هينمة
هنالك في مدى التل
وفي السفح الذي كانا
مشاوير صبايانا
وترجيع حكايانا ...
بروحي كل مزهرة
تشعشع في «الشويفات»

*

صديقي نحن قد بعنا
الى الشيطان انفسنا
بما يفنى !
هجرنا الشرق والزهرا
وصفو العيش والسمرا
وجئنا نترع الضجرا
ونفني عمرنا كدرا
وأعباء تجارات ...
فهات يديك...ولنرجع
الى جنبات دنيانا
نكفر عن خطايانا
ونحيا للذي يسري
ضياء في خلايانا !!

قصة قصيرة

الغـريـة

بقلم الآنسة سميرة عزام

✳

هذا ثامن فندق تلف حول عمارته محاولة ان تجد بابا لا يكشف عن ترف في الموجودات يشعرها بان مثلها لا يمكن له اقتحام هذا الترف في سبيل السؤال عن عمل ..

ـ انا غسالة يا سيدي .. استطيع ان اعمل يوما كاملا بلا ملل و... ويسكتها مدير الادارة دون ان يعنى كثيرا بوعي ما تقول ...

لا لا نريد ... فنحن نغسل بالكهرباء ..

بالكهرباء بالكهرباء ... وتروح تحمل سؤالها لفندق آخر تلف حوله ساعة او اكثر قبل ان تهتدي الى باب خلفي تنفذ منه لتلقي سؤالها وتسمع الجواب نفسه .. ولكنها لا تنثني .. يجب الا تعود الى البيت الا وقد ارتبطت بعمل يسكت معه ضيق زوجها وسخطه فلا يعود يضربها كما فعل الليلة ، فيثبت انه لا يختلف عن ازواج سعدى وعيوشة وام حسن ويفقدها احساسها بالدل على رفيقاتها حين كن يقلن في ثرثرتهن « وهيبة الوحيدة التي لها زوج كرجال المدن لا يضرب زوجته ... »

اجل ما كان من عادة زوجها ان يهينها ، ولا شك ان الازمة قد بلغت معه منتهاها حتى فقد اعصابه وضربها على فمها بظاهر يده حين طلب اليها ان تناوله ابريق الماء فلم تسمع اذ كانت تنفخ على نار موقدة في حوش البيت وناداها مرتين فلم تسمع ايضا فما ان فتحت صوتها على مدى طبقته بعد ان ضربها وصاحت به ان يخجل حتى ناولها لكمة على خدها واخرى في صدرها ثم دفعها دفعة قوية هوت معها الى الارض .

وما تدعي وهيبة ان زوجها كان لطيفا ، كلا فهو على شيء من جفاء في الطبع لا يزايله الا اذا حانت لحظة يشد فيها يده على كرائه او على اجرة وهيبة من غسلة ، فيبتسم ابتسامة تغيب تحت شنبه المتهدل ثم يدعو لوهيبة بصوت مخنوق بالعافية وقوة الذراع ...

كانت تحس انه على بره بها احيانا لا يحبها ، ولم تكن تطمح في ان يغرم بها فما تنسى ساعة مالت امها عليه تغريه بها وتحاول ما وسعت ان تعمي عينيه عن فمها الكبير وشعرها الخشن كذيل الحصان بقولها « حمارة شغل » لها ساعد لا يكل . اجيرة حقل وحمالة ماء من النبع فهرش راسه وبرم شنبه ثم حاول ان يبتسم مغمغما « ماشي الحال !! »

وفي ليلة العرس قال لها اسمعي يا وهيبة مكاننا ليس هنا اجراء نخدم باللقمة ولا نكاد نظفر بالستر بل هناك في المدينة حيث مضى اخوالي كلهم وابن عمي وعادوا وفي اكياسهم فضة استملكوا بها . اجل نبقى هناك عشر سنوات عشرين سنة ثم نعود الى ديارنا نستملك ارضا صغيرة نقيم عليها غرفة من حجر .. ا تسمعين ؟

واجفلت اذ سمعته ـ لاول مرة ـ يضحك ضحكة مجلجلة .

وهي ذي معه في المدينة منذ بنى بها لم تزر بلدتها مرة واحدة تشتاق اهلها واترابها فلا يخليها تذهب اليهم ، حتى عرس اختها لم تشهده ، وما حضرت ماتم امها اذ ماتت وبلغها ان اهل القرية اتهموها بالعقوق وسبّوها سبابا لا تستحقه ... كان زوجها يزجرها كلما رجته ان يزورا الديـــار .

والله ما اعود الا مالكا او محمولا ..

نعم ما تزوجها الا لانها قوية كالحصان ما توانت يوما عن غسلة وكانت اجرتها تؤول الى جيبه ليرة على ليرة ... ما ينفق منها الا ثمن ارغفة سمراء وحبات زيتون وزيت للسراج ، ويعد المتجمع لديه يوما بعد يوم ويقول الفدان بكذا ليرات . دربنا طويل وارضنا بسعر الذهب ..

وكانت تاخذها نشوة كلما احست وهي تعطيه ليرة بانها ثمينة له وانها شيء في حساب مطامعه وتفرح حين يتحدث اليها عن الارض فيقول احيانا « ارضنا التي سنشتريها » .. ويربت كتفها ...

وكانت نقطة التحول حين سمعت بشيء عجيب . اذ قالت لها اقدم زبوناتها وهي تطلب اليها الا تاتي الى بيتها في الموعد الاسبوعي المخصص للغسل .. بانهم صاروا يملكون غسالة كهرباء ..

كانت تعرف من الغسالات غيرها كثيرات .. مبروكة وخضرة وفطوم .. اما كهرباء فما عرفتها بين المنافسات ..

فلما استزادتها ايضاحا وادركت المراة ان الامر البس عليها ضحكت من قلبها وقالت يا غبية .. ما اقصد انسانة انما هي آلة تغسل الغسيل وتعصر احسن مما تفعلين او تفعل اية غسالة ماردة ..

وظلت طيلة مساء ذلك اليوم تفكر فيما سمعته من المراة .. وضايقها ان تحتفظ بالامر الغريب لنفسها فقصت على زوجها خبره ففكر كثيرا وقال والله ما سمعت احدا يتحدث بها فلعل في الامر حيلة تتخلص بها المراة منك فقامت تفند ظنه وتعدد له انها احسن من يكشط الوسخ عن بنائق القمصان وياقاتها ، وينشر الملابس على الحبال زاهية كالورق النظيف . وفي البكور سارعت الى المراة ترجوها ان تدعها تعرف كيف تغسل الآلة فقامت المراة تريها بفخر دون ان تنتبه الى جحوظ عيني وهيبة وهي ترقب كيف تدور الدواليب في ذلك الوعاء الابيض بالماء والصابون فتخرج منه الملابس نظيفة مهفهفة .. وعادت وهيبة تفكر في عدوتها البيضاء .. وجلست ساهمة على طرف الحصير فسألها زوجها ما بها فاخبرته بقصة الغسالة فقال هذه المراة اول حبات المسبحة وجاراتها بعدها وبعدهن كل نسوة الحي ، وكل نساء المدينة .

وصدق زوجها .. فبعد ايام سمعت زبونة اخرى لها ترجوها غير مشفقة الا تاتي اليهم بعد . وفي نفس الاسبوع سمعتها من واحدة ثالثة .. وفي اقل من شهر سمعتها من خمسة بيوت . وفي خلال سنة صار الغسل باليدين موضة قديمة ..

وكان اكثر ما آلم وهيبة ان النسوة اللاتي غسلت لهن باخلاص سنوات كثيرة ما فكرن في قطعهن رزقها وسلب آلاتهن لقمتها .. وعذبها اكثر ان ترى زوجها يمتعض من تعطلها ويزم ما بين عينيه ولا يحاكيها ليلة على ليلة حتى اذا ظلت يده ترتد فارغة انفجر بها صائحا تراني تزوجتك لطراوة يديك ؟ أكان يتطلع الى مثلك الا كادح مثلي .. ثم يرميها بالبلادة لان النسوة آثرن عليها (مكنة) .

كم كرهت هذه الآلة .. مرت يوما فشاهدتها مصفوفة واحدة واحدة ، عشر في الواجهة او اكثر وخالتها تهزا بها ، بيديها المفضنتين ، بعصابتها المشدودة على راسها ، وودت لو تفعل شيئا .. لو تحطمها مثلا .. او تعطل دواليبها فلا تدور .. واندفع الدم الى وجهها .. وظلت هكذا طويلا حتى ابصر بها موظف المحل فتقدم منها يقول بحذاقة هازئة .. ماذا تريد المدام .. فانصرفت ترتعش على شفتيها اللعنات ..

وهوذا زوجها قد ضربها الليلة .. واشعرها بانها عاجزة عن ان تكون ذات فائدة ..

وكم قوي شعورها بالعجز في الصباح حين حاولت ان تشتغل خادما في بيت فسرحتها صاحبة المنزل بعد ساعتين وقالت لها بانها همجية لا تعرف كيف ترتب سريرا فتكدس المخدات بغير ترتيب وتدلي اطراف الملاءات في غير رشاقة ..

هي لم تكن الا غسالة ولا يمكن ان تكون غير هذا ...

وظلت تلف حول الفندق الثامن .. تحار كيف تدخل وتخشى لو دخلت ان تسمع نفس الكلمة .. ودخلت بابا فتصدت لها خادمة تزجرها ونفذت من غيره فرات سادة يغوصون في مقاعد وثيرة يتاملون سحب الدخان المنعقد ..

وكادت تتعثر وهي تستدير لتخرج ...

واهتدت الى باب خلفي افضى بها الى المطبخ .. فدنت من طباخ وقالت : « اسمع يا عمي انا غسالة ... فنحاها عنه بملعقة خشبية واجابها ان ليس من شانه ان تكون غسالة اولا تكون ...

ولا تدري بعد هذا كم بابا دخلت وكم ممشى قطعت قبل ان يشفق عليها مراسل اوصلها الى المسؤول .

ووقفت لحظة تتطلع الى وجهه بحيرة .. كانت تحس بما سيقول . (غسالة كهرباء ..)

وتعثرت الكلمتان الاوليان على شفتيها اسمع يا سيدي انا ... انا ..

انت ماذا ؟ ...

وصمتت انها تخشى ان تتم كلامها ...

وتضايق الرجل فصاح قولي ماذا لديك ؟ ..

اسمع يا سيدي انا غسالة .. اغسل بيدي .. واغسل بالكهرباء .. بالكهرباء اذا شئت .. دعني فقط اشتغل .. ولا تعطني اجرا اذا ما اعجبك شغلي ..

كيف خطرت لها الفكرة في اقل من لحظة لا تدري .. ولكنها قالتها واغمضت عينيها تتذكر كيف رات زبونتها القديمة تصب في الآلة ماء ساخنا ومسحوقا ابيض ، ثم تدير الآلة فتروح هذه ترقص بدواليبها الماء والصابون وكومة الثياب .

ليس الامر عسيرا كما توهمت .. وستتعلمه حتما لو اديرة الآلة امامها مرة او مرتين اخريين ..

ستحاول ، اما لها عينان ويدان وراس كالنسوة اللاتي تعلمن الغسل بالآلة ؟

وارتعشت اطرافها وهي تفكر في هذه المغامرة .. ولكنها ما شاءت ان تتراجع .. وظلت عيناها معلقتين بلهفة في وجه الرجل .

ولعلها لم تسمعه حين قال للمراسل خذها الى غرفة الغسيل ودع زكية تجد لها شغلا ، اذ كانت ما تزال تعدد له انها غسالة ، تغسل بيديها .. وبالكهرباء !!..

سميرة عزام

حول الاساطير العراقية القديمة

بقلم كاظم الجنابي

ورد تنا من الحفائر التي اجريت في ديارنا، صفقة طيبة من شعر الملاحم وسير الابطال ، وكان النصيب الاوفى منها اساطير كثيرة ، أهمها «قصة الخليقة البابلية(١) » التي تبحث في خلق الانسان وتمجيد الآلهة ، وقصة « جلجامش(٢) » التي تدور حول مسالة خلود الانسان وعدم الموت ، وقصة « آدابا(٣) » او سيرة آدم ابو البشر ، واسطورة « انمرركار(٤) » التي تبحث في العلاقات السياسية مع ايران في العالم القديم . واسطورة « دلمون(٥) » - منطقة البحرين الان - ، وقصة « أجا وجلجامش(٦) » التي تشير الى طلائع النظام الديمقراطي بالعراق ، ثم قصص عن « عشتار » ربة الحب والجمال ورحلتها الى السماء والعالم الاسفل ، عالم ما بعد الموت ، وعن الملكة الاشورية « سمي رمات » او « سميراميس(٧) » و « اننا - التي هي عشتار - وبلولو » وترتيلة « اريدو » وقصة « صبر ايوب » وحكاية الطائر « زو(٨) » ومعراج « لوديا » حاكم مدينة « لكش » السورية ، الى الآلهة « نانشه » مفسرة الاحلام .. وعن « الطوفان » المشهورة بطوفان « نوح » ... الخ .

ولا ريب ان هذا اللون من القصص والاساطير كان قد وضع لتفسير بعض مظاهر الكون وخلق الانسان ومشكلات البشر . وقد الف بالشعر ليسهل على العامة حفظه وانشاده في المهرجانات والمجالس والمناسبات والاعياد والحج الى المعابد .وانه يعود الى اصل بدائي عريق ، يعود الى السومريين سكان وادي الرافدين .

وقلنا في موضوعنا السابق ان شعر الملاحم وعهد الابطال كان من اختراع قدماء العراقيين . والواقع ان الاسطورة العراقية لها اتصال وشيج باعمال الالهة والابطال والملوك والامراء ، منهم البطل السومري « انمرركار » و « لو كال يدا » والراعي « ايتانا » و « جلجامش » الذين عاشوا في الالف الثالث قبل الميلاد . والمعروف ان الاقوام السامية التي نزحت الى العراق كانت قد نسجت على منوال الاساطير السومرية الشائعة في ذلك الزمن - كان ذلك الوقت بما يشبه عهد النقل والترجمة - . ومن خصائص القصة او الاسطورة انها تؤلف - بالشعر - قبل كل شيء ، وتنظم على الالف بيت تقريبا . غايتها اعطاء صورة طيبة لفكرة معينة ، كخلق الانسان ومصير البشر او تسجيل عمل من اعمال البطولة الخارقة التي تتعلق بمقام الآلهة ، او تذكير الانسان بالحكمة والموعظة مثل « قصة الطوفان البابلية » او نيل الخلود في الحياة وعدم الموت كقصة « جلجامش » او لبعض المناورات السياسية وتوثيق العلاقات مثل اسطورة « انمرركار » .

ومن الظريف ان يذكر الناظم او المؤلف حوادث القصة منذ البداية لتشويق القارىء وجره الى التفاصيل الاخرى. وان الاسطورة الواحدة تؤلف بحد ذاتها قصص كاملةمنفردة عن بعضها على غرار قصة الف ليلة وليلة عندنا اليوم .

ولهذه الاساطير ابطال يسيرونها بحوار ظريف ، وقد يشركون الآلهة معهم في بعض الاحيان واعطائهم الادوار الخارقة التي تفوقمقدرة البشر. والفكرة الدينيةهي السائدة او الغالبة على اكثر القصص . وتذكر الالواح المكتشفة في بلاد آشور - شمال العراق - ان اولئك القوم كانوا قادرين على تاليف القصص الخيالية التي تثير العواطف وتهز المشاعر . ويروي « داسماشيئوس » المؤلف الاغريقي في رسالته « الاصول الاربعة » ا نقصة الخليقة كان اهل العراق يعرفونها منذ القديم قبل جميع امم ، وتؤيد بذلك المخطوطات الكلدانية التي لها ترجمات مماثلة على رقم الطين في مكتبة الملك الاشوري « آشوربا نيبال » .

وهناك ظاهرة غريبة نجدها في اغلب القصص والاساطير، هي ان الناظم يعيد ويكرر بعض المشاهدوالادوار التي قيلت في البداية ثم ياتي بمشهد جديد حتى يتم

١ - ٢ ص جا «سومر» المجلد الخامس ١٩٤٩

٢ - ٤٢ ص جا و ١٤٣ ص ج٢ « سومر » المجلد السادس ١٩٥٠

٣ - ٤١٢ ص جا مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة طه باقر بغداد ١٩٥١ وانظر مجلة سومر ص (١٨٦) ج٢ المجلد السادس ١٩٥٠

٤ - مجلة الاديب (٢٧ ص) عدد (١٢) السنة الثالثة عشرة اصل المصدر في ذيل المقال .

٥ Before Philosophy T. Jacobsen - P. (170)

٦ - ٣٢٩ ص جا مقدمة (طه باقر)

٧ - ١٥٥ ص نفس المصدر

٨ - ٣٣ ص جا « سومر » المجلد العاشر ١٩٥٤

الرواية ، ـ يسبب هذا الشيء لدى القراء بعض السأم ـ ولكن هذا الامر قد افاد الباحثين افادة عظمى ، حيث تمكنوا من تكملة بعض النصوص المفقودة من الرقم الطينية او المشوهة ، وبمقدورنا ان ننسج من كل مشهد من مشاهد الاسطورة قصة منفردة تؤلف لدينا لونا من الوان المعرفة والخيال عند قدماء العراقيين .

اشهر القصص والاساطير :

قصة الخليقة البابلية

تبحث هذه القصة في خلق الانسان ومصير البشر وتمركز الآلهة وحكاية حروبهم . وقصص الخليقة تكاد تكون عند اغلب الامم القديمة ، فقدماء الصين يذكرون ان « باكون » اول الخلائق استطاع ان يشكل الارض حوالي عام ٢٬٢٢٩٬٠٠٠ ق.م. بعد ان ظل يكدح في عمله هذا ثمانية عشر الف عام . وتجمعت انفاسه التي كان يخرجها في اثناء عمله فكانت رياحا وسحبا ، واضحى صوته رعدا، وصارت عروقه انهارا واستحال لحمه ارضا وشعره نبتا وشجرا ، وعظمه معادن وعروقه مطرا ، اما الحشرات التي كانت تعلق بجسمه فاصبحت آدميين(٩) . » وقدماء العراقيين يقولون في مطلع قصتهم انه « حينما كان في العلى لم يكن للسماء اسم وفي الدنى لم تكن الارض شيئا مذكورا » .

وقد يقارب هذا الشيء كلام « الكتاب المقدس » .

« في البدء خلق الله السموات والارض ، وكانت الارض خربة وخالية (١٠) » والمعروف عن قصة الخليقة انها سومرية مسخت وحورت الى البابلية وزمانها غير معروف بالضبط ، ولكن عثر عليها في خزانة الملك الآشوري آشوربانيبال (٦٦٨ ، ٦٢٦ ق.م) في خرائب « نينوى » من قبل « ليرد » الانكليزي و «هومزرسام» من العراقيين . وجورج سمث عام ١٨٤٨ وعام ١٨٨٦م وكذلك من قلعة « الشرقاط » عام ١٩١٤ ومن « كيش » عام ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥م والواحها تعود الى القرن السادس ق.م وكذلك من خرائب « الوركاء » عام ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩م والقصة مدونة على سبعة الواح من الطين تربو على الالف بيت من الشعر ، وقد سماها البابليون « اينوما اليش » ـ حينما كان في العلى ـ لان مطلعها يبدأ بهذه العبارة . ويروي « آكوم الثاني » احد ملوك الكاشيين ان القصة كانت معروفة لدى كتبة القرن السادس ق.م. وعلماء الآشوريات يعرفونها اليوم باسم رقم الخليقة السبعة .

جلجامش

غاية هذه الاسطورة تدور على مسئلة الموت والخلود في الحياة وان الانسان يجب ان يحيا الى الابد ، تاريخها غير معروف عثر عليها في مكتبة آشور بانيبال من قبل « ليرد » وقد وجد الالمان كذلك في «آشور» مادة تقابل الرقيم السادس منها ومن « الوركاء » عثر على لوحين صغيرين يقابل الرقيم الرابع وفي « بوغازكوي » عاصمة الحثين ـ عثر على روايات مختلفة باللغة الاكدية تقابل الرقيم الخامس والسادس ومن العارضين اليها «بول هويت» عام ١٨٨٤ـ١٨٩١م باسم ملحمة « نمرود » البابلية لظنهم ان بطلها « جلجامش » هو « نمرود » الذي تخبرنا التوراة عنه . وهناك ترجمة اخرى لـ « بترنيس » عام (١٩١٠م) وترجمة اخرى « لهايدل » وترجمة الى العربية من قبل « طه باقر وبشير فرنسيس » .

آدابا

تدور هذه القصة حول البطل «آدابا» ورحلته الى السماء ، وقد يعدها بعض العلماء انها قصة «آدم» ابو البشر وتبحث ايضا في خلق الانسان ومصير البشر وقضايا الخير والشر . وهي بابلية صرفة ، دون الرقيم الاول منها بالشعر اما الرقم الباقية فمدونة بالنثر وقد عثر على الرقيم الثاني منها بين وثائق الملك المصري ـ امنحوطب الثالث والرابع ـ القرن الرابع عشر ق.م. اما بقية الرقم فمن مكتبة الملك آشور بانيبال .

أجا وجلجامش

وتدور هذه القصة بين مدينة « كيش » و «الوركاء» والمعروف ان ملك كيش « اجا » اراد ان يبسط نفوذه على مدينة الوركاء ولما كان جلجامش ملك الوركاء لا يستطيع ان يبت في امور الدولة الخطيرة فانه استدعى اولا مجلس الشورى المكون من اعيان البلد وشيوخها فقرر الحرب مع « كيش » . والاسطورة ظريفة جدا حيث تشير الى طلائع النظام الديمقراطي في العراق القديم .

انمركار

تعد هذه الاسطورة من اقدم الاساطير السياسية عند السومريين عثر عليها في « نفر » ونقلت الى المتحف الوطني في اسطنبول ، غايتها انشاد الرحمة والامن على الارض ونكران الحرب وتسوية العلاقات بين البشر .. تدور بين « انمركار » البطل السومري وحاكم مقاطعة « أرتا » في جنوب ايران عدد ابياتها (٦٣٠ بيتا) ترجمها الى الانكليزية البرفسور « كريمر » .

اسطورة الطائر « زو »

حكايتها ان الطائر « زو » سرق الواح القدر من الآله « انليل » اله الهواء ، محاولا اغتصاب السلطة للالهة . وقد كتبت باللغة السومرية والاكدية عثر على كسرات منها في « السوس » جنوب ايران عام ١٩٤٨م ويحتمل ان يكون

٩ ـ ١٤ ص ج٤ قصة الحضارة تاليف ول ديورانت ترجمة محمد بدران
١٠ ـ التكوين آية (١)
١١ ـ ٢٤ ص جا « سومر » المجلد العاشر ١٩٥٤ .

التهذيب الذوقي في مدارسنا

بقلم نسيم نصر

استاذ الادب العربي في الثانوية الرسمية ببيروت

٥٥

الذوق في العلوم الطبيعية ، هو الحاسة الرابعة ، بعد النظر والسمع والشم وقبل اللمس ، في ترتيب الحواس ، استنادا الى قدر وظائفها في الجسم البشري ، من الناحية التجهيزية المادية والذوق ، في علم التربية والاجتماع ، هو تلك الصفة الجمالية في المسلك الشخصي المؤالفة بين الفرد والمجتمع مؤالفة اختيارية . او هو تلك الحاسة المعنوية الرهيفة المتحولة بصاحبها ، تحولا بديهيا ، عما يخرج عن حيز الادب االتصرفي ، او يثقل الظل او يحمل على الجفوة . لذلك كان لا بد لمن ينظر في شؤوننا التربوية ، من ان يأخذ ، بعين الاعتبار ، الناحية الذوقية . وعند امعان النظر يتبين لنا ان مهمة التربية تعمد الى تنمية الذوق المطبوع واشراكه في تقوية البناء الذاتي ، وتلتزم احداثه حيث تراه مفقودا ؛ فتنشيء ذوقا مكتسبا يسعى الى ترفيعه ليصبح ملكة تتساند والذوق المطبوع ، في توجيه الجماعة توجيها تتوحد فيه الاهداف وتتجانس الاساليب ان لم تتعادل القوى .

وبعد انزالت ، او اوشكت ان تزول ، مدرسة الانضباط القهري ، مدرسة « من علمني حرفا صرت له عبدا » اصبح ، من اجدى وسائل الانضباط ، وسيلة الاعتماد على الذوق في استقامة النظام المدرسي ، تلك الاستقامة ، التي يمهد لها الذوق ليسير الجماعة في طريق تحرسها الارادات المؤتلفة وتجملها المشوقات البريئة ويقودها الاختيار المنطلق .

وبما ان الكثرة من البيوت اللبنانية ، ما تزال مفتقرة الى ابوين يستطيعان تسهيل المهمة المدرسية ، من حيث اعتماد الذوق وسيلة تربوية ، كان لا بد للمدرسة من استحداث كل ما يوفر التأثر بالجمال وتهذيب الحواس به، تهذيبا يبتدىء بالانطباع ليرقى بعده الى الاقتباس والاستيحاء . واما بلغ التأثر بالجمال ، استمرارا ، مدة بضع سنوات تمهدت الطريق المنتهية الى تعلم جدير بان يسمى ثقافة ، وحق للمدرسة عندئذ ان تدعى دار تربية وتعليم .

ولكي نمهد هذه الطريق المدرسية علينا ان نفسر كلمة جمال تفسيرها التربوي الواسع المدى . انها تشتمل ، في مباحث التربية الفردية والجماعية ، على معان ووجوه قد لا يتبادر الى الافهام ، اول الامر ، انها عناصر جمال . وليس ما يجب ان نعمد الى الاخذ به في مدارسنا لتنشيء الذوق وتنميته غير الشرح التطبيقي للمؤديات الجمالية في حياة الطالب .

ففي دور الحضانة ترتسم الخطوط الاولى لمباشرة التحصيل الذوقي . هناك يجب ان نبتدىء الطريق . وكم مرة نقرا على مدخل دار الحضانة كلمتي : « روضة الاطفال »! واذا ما دخلنا تلك الروضة وجدناها بعيدة عن حقيقة تلك التسمية كل البعد . ومتى كانت مؤلفات الروضة اخشابا خشنة زوراء زيفت مقاعد ومتكآت للاحداث ؟! وانى تكون الروضة ولا زهرة فيها ولا ما يشير الى الزهر او يرمز اليه ؟! وكيف تكون الروضة غرفة لزّ فيها عدد من الاطفال تضيق انفاسهم فيها !؟...

روضة الاطفال ! لتكون حقيقة روضة يجب ان تجتمع فيها اسباب الانشراح والارتياح والتفتح ، فيكون فيها للنزهة كما فيها للتصنيع ، وفيها لارتياح النظر اكثر مما فيها لاشغال الذهن ؛ فلا قضيب يهدد باللسع ، ولا وجه كالح يعبس كالسجان في وجوه كانهـا مأخوذة بالنوم المغنطيسي ، ولا ارهاق في محفوظات بببغاوية لا يرتفع الصغير الى مستواها ولا هي تنزل الى مستواه . فالشوق ابو الذوق في دور الحضانة وان لم نحدث في الصغير شوقا الى معهده الصغير فلن يؤمن الغد لحسن المصير .

« زو » من آلهة العالم الاسفل عالم ما بعد الموت .

ايتانا :

من الاساطير السومرية الرائعة ، تمثل ملك اسمه « ايتانا (١١) » الراعي الذي صعد الى السماء ، وانه اول من تمكن من احلال الامن بين الناس رقمها الطينية تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد ، عثر عليها في مكتبة الملك آشور بانيبال . هذا وهناك قصص واساطير اخرى لا يتسع المجال لذكرها .

بغداد **كاظم الجنابي**

وليس ادعى الى احداث مؤمنات الغد من معهد ترى تلميذه الحدث يغدو اليه مرحا مرتاحا لما فيه من اسباب التنبيه الذوقي . فالصغير الذي يبني عصفورا من ورق في روضته المدرسية قد يكون مهندس طيران في الغد . ورفيقه الاخر الذي يؤلف زهرة من ورق ملون قد يصبح مثالا رساما مبدعا . ومن تطبع في سماعه لذة الايقاع والانشاد فقد تجعل منه موسيقيا متفوقا. اما سائر الاحداث فليس واجبنا نحوهم باقل من احداث اللذة في انفسهم ، لذة الاحتفاظ بسلامة المكان والاثاث فنهيء فيهم الشعور بالمسؤولية ؛ ولذة الجلوس في مكان نظيف فنعدهم حماة للصحة العامة ؛ ولذة حسن المعاشرة ، فنربي فيهم المواطن الاجتماعي ؛ ولذة الترتيب في ما نستعمل من ادوات ولباس ومسكن ، فنهذب فيهم قابلية التجميل العمراني .

وقد اخذت بعض هذه الهيئات الجمالية تدخل بعض دور الحضانة في لبنان . ولكن الحاجة ماسة الى استيفائها وتعميمها، وربما كانت الحاجة اكثر مساسا الى متخصصات بهذا الاساس التربوي ، ولا نقول متخصصين ، فدور المراة في هذا الحقل اقرب الى الاصالة في هذه المهمة ، لما يتطلبه من صبر الامومة وعطفها .

اما مرحلة التحصيل الابتدائي ففيها يبتديء دور التدميك في بناء شخصية الناشيء بعد تثبيت الاساس في مرحلة الحضانة . وهنا لا بد من مباشرة المشاركة بين العين والذهن ، وبين الاذن والفهم ، ليأخذ الذوق في تهذيب الذكاء وتحبيب النظام ، اخذا ذاتيا يساعد في تنبيه الادراك وتوليد لذة الانسجام في الجماعة . وهذه المشاركة بين النظر والسمع ، من جهة ، وبين الذهن والفهم ، من جهة ثانية ، هي التي تهيء روح الملاحظة لتتحول الافادة بالحواس المادية ، فيما بعد ، الى بصيرة نقد وملكة استيعاب ووعي.

فاذا عنينا بهذه المؤالفة بين الحس الخارجي والاحساس المعنوي في ابن العاشرة ، وكلمة ابن لاطلاق الجنس ، اصبح للناشيء خفير من ذاته ، على ذاته ، يسدد خطاه في طريق التهذيب الصحيح والسلوك السوي . وخير ما نستطيعه لطلابنا ، في اوائل العاشرة الثانية من العمر ، هو ان نوفر لهم الجو النظيف بشكله ومعناه ، جوا تقل فيه المشوقات النظرية لتكثر المنبهات المعنوية . فالمصور الذي رآه ، قبل العاشرة ، حيا بالوانه وزينته يجب ان يراه ، بعد العاشرة ، حيا بمعانيه ورموزه ، والصفحات التي ابهجت عينيه حروفها المزينة ينبغي ان ترقى الى قراءات يحليها المغزى وينفتح عليها التمثل الذاتي . وبلبلة التاريخ التي يطالعها بتفكيره الفض وذاكرته البكر لا تلائمه ، ملائمة مجدية ، الا اذا خلص منها بخلاصة يهضمها الذوق غذاء لعضويته الجديدة في الوطن الذي هو منه وله . حتى الحساب قد يستحيل باعجوبة التنظيم الذوقي الى مادة يحبها الطالب الابتدائي وسيلة الى الضبط والانضباط ... اما الرسم والموسيقى ، وهما اقوى دعامتين للذوق ، فلست ادري كيف لا نعيرهما الا قليل انتباه وضئيل اهتمام في اكثر مدارسنا !!؟

واشد ما استبقينا من خطر ، في نطاق المرحلة الابتدائية ، على خير ما جددنا من اساليب ، هو الطالب الذي كبرت سنه عن مستوى صفه عمرا ، والمعلم الذي عهد اليه بتدريس مادة لا يحبها . اما الطالب هذا فقد تحد ، من اذى وجوده بين رفاق اصغر منه ، بعض الاسباب، افضلها الرغبة في التحصيل والاخلاق الحسنة ، واما المعلم المكره على تدريس مادة فليس اسوا منه الا المعلم اللاجيء الى التعليم ارتزاقا لا اختيارا . ولعل هذا المعلم له من ازمة البطالة عذر ، بالنسبة الى حاجته ؛ ولكنه بالنسبة الى المهنة هادم لا بان .

واذا ما انتهينا الى المرحلة الثانوية، الموطأ لها بالتكميلية، راينا فتيانا وشبانا يتهيأون لدخول الحياة العملية ، او استئناف الدراسة ، عالية ، في الجامعات ، وبينهم عدد غير قليل ما تزال حاسة الذوق المعنوية فيهم ضعيفة ، ان لم نقل مفقودة .

فهذا فتى يدفع الى مرجع الامتحان بورقة مفروكة كأنها اخذت من سلة المهملات عليها كتابة كأنها طلاسم مشعوذين .

وذاك شاب لا يرى في الغزل الفني الرائع غير انصباب على مادة الموضوع حيث ينزل شأن الانسان الى درك الحيوان .

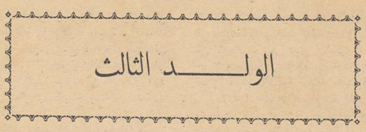
وها ذلك آخر يعرض مشمئزا عن سماع الموسيقى المهذبة ، ولا سيما الكلاسيكية ، ويؤخذ بدلع « الطقاطيق » وميعان الاغاني المبتذلة لحنا ومعنى ...

فاين التمثيل الاخلاقي يصلح ما تفسده بعض الافلام السينمائية ؟ واين الخطابة تكمل الذات الطالعة على الحياة ؟ واين الموسيقى تصقل المواهب وتحلي النفس وتعذب الذوق ؟

وابعد من رأيت عن مراتب الذوق المعنوي ، في مدارسنا الثانوية ، طالبا اربى على العشرين ، يريد ان يعرض علي قيمته ، في المدرسة بوصفه مسنا ، ومصيبته في نفسه انه كبر على الامر يفرضه عليه الواجب ، ولم تكبر قواه الذوقية ؛ فتقيم منه ضابطا لذاته وقائدا لرفاقه، في حدود النظام المدرسي !!

لست مغاليا ان اعلنت للذوق المعنوي هذا القدر التدريبي الكبير ، فالذوق مفتاح الاخلاق الاجتماعية وباب محاسن التخيل ؛ والتخيل الجميل هو دنيا ملاحة نبسطها على دنيانا المشوهة بالسوآت ، فتنفتح آفاقنا على الجمال كما هو في حقيقته المتراقية الى الكمال .

نسيم نصر



الولـــــد الثالث

بقلم سعيد حورانية
من رابطة الكتاب العرب

مهداة الى مصطفى الحلاج
القصاص الحالم

*

ـ سنتان يا بنتي .. سنتان فقط وبعدها تعودين !! ..

لم تستطع ان تتذكر الملامح المبهمة الغليظة ، فهي ما اعتادت النظر الى وجهه بامعان ، وهي بالتالي لا تعرف في انحاء هذا القلب الميت الجامد الذي يحويه جنباها الضامران ، شيئا واضحا من عاطفة او تعلق بهذا الذي كان يضربها ، يضربها كلما ماتت دجاجة او باضت بيضة صغيرة، يضربها كلما شحت السماء بالمطر ، أو ذهبت الريح بالزهر. يضربها كلما جاء رجال الريجي واشتروا تبغه الذي يموت في جمعه وتبخيره ثم يعطيه الى القادمين بايد مرتجفة . وهي لا تتذكر من كل انحاء جسمه الا يديه الخشنتين المليئتين بالعقد وهما ترتفعان وتهويان وتتناغمان مع رفسات رجليه .

ومددت رجليها وقد شعرت بقليل من الدفء الى آخر الفراش ولوت اللحاف ولفته حول جسدها جيدا وحبست انفاسها وتسمعت الى حركة متسللة خدرة . مروان ، عصام ، خالد ؟ .. لا فرق ، واحست برعشة تهز جسمها كله وعادت الى تكوير رجليها كصغار الارانب ..

لقد تاخر الوقت اليوم .. عصام سهران في الخارج، وهي لا تستطيع ان تنام باطمئنان حتى تسمع خفقان الباب عندما يخرج الشبح متسللا بدون حذر ، فتقف على قدميها وتدفع الرتاج وتمسح وجهها باشمئزاز ، كأنها تزيل آخر لمسات الشفاه المحروقة المعروقة .. لقد كانت تعذبها آلية العمل .

ولمست بطنها المنتفخ الاصم وتنهدت في شبه بكاء .. انها تريد أن تحتفظ بهذا الثالث الذي يتحرك في احشائها بوداعة طائشة .. ان شيئا في أعماقها يدفعها لان تتعب راسها بالتفكير الجدي ، بعد ان اعتادت الا تفكر منذ زمن بعيد .. وهي تتململ الآن حائرة بعد ان سمعت سيدتها تصدر اليها امرها الثالث المعهود وهي تدير راسها محمرة الخدين :

لا تخرجي الى الحارة يا فاطمة بعد الآن .. قد يراك الجيران .

وقد كانت تفكر جيدا بشيء هائل .. يجب الا تلد هنا في الفرفة الرطبة المظلمة التي اعتادت كتم الاصوات. ولم يعد يقنعها ابدا وجه سيدتها الخشبي وهي تقول : بحياتك البركة يا فاطمة البنت فطست .

وحينما تسكت متألمة تروح في روامة وغيبوبة متقطعة تملؤها تصورات تنبض بصوت بكاء حيواني سمعته حينما شعرت بفراغ بطنها .. ثم سكت الصوت فجأة ووضعت على عينيها ملاءة غليظة كغلظ الصوت الذي لا تعرف مصدره :

ـ الضوء يؤذي عينيك يا فاطمة .. حاولي ان تنامي .

وتريد ان تتكلم ، وترفع يديها ثم ترخيها بيأس وتصل اليها اصوات غير مالوفة مضخمة كمكبر صوت الجامع المجاور .. الطفل بشبه خالد ... الشاي يا فاطمة بسرعة ... الانف انف مروان ... سرحة جبين عصام ... لا تخرجي الى الحارة ... ثم ضحكات مدوية ثم صمت يشعرها بالراحة .

***

ـ سنتان يا بنتي .. سنتان فقط وبعدها تعودين !! ..

الجبل العلوي جنة وان كان من تراب ، وهي تحس بقساوة الرخام الذي تدوس عليه رغم خفها الطري . وما كانت شجيرات الليمون والنارنج هذه التي تنتشر في ارجاء البيت العتيق لتملأ العينين الخضراويتين المليئتين بظلال شوامخ البطم والسنديان والدلب ومتكاثف الخضرة التي ينفذ منها الغيم البارد .. واعتيادها اليومي على اللطم والركل لم يؤثر في نفسها تأثير الكلمة القاسية الباردة تخرج من شفة ناعمة فتترك في وجهها لون العندم .

لقد كانت تتحدث مع شباب الضيعة ، يتابعون ردفيها وينهشون صدرها بعيون رمادية ومع ذلك لم تكن تشعر بالحرج .. وآخر قبلة على شفتيها كانت حارة عابقة في محراب نفسها المضاعة ، وآخر ضغطة على أصابعها كانت من يد خشنة سمراء الفت مسك المعول

وضرب الفأس .. انها لا تذكر الوجه وقد أخذ يغيب في تلافيق الايام ولكنها فهمت هذه القبلة وعشقت هـــذه الاصابع المكهربة .. انه شيء واضح لا يبعث عـــلى الحيرة .. ولكنها لم تفهم .. لم تفهم ابدا كيف تهيء الشاي لطفل يذهب الى المدرسة يكلمها بصوته المراهق الذي أخذ يخشن ويغلظ ، وهو ينظر اليهـا بسذاجـة حين تعقـد صديريته وتنظف محفظته .. ثم يدلف بعد سنوات ويغلق الباب وراءه بايد مرتجفة ، وينظر اليها نظرة مختلفة مغايرة وينضو عنه ثيابه بهدوء من يقوم بعمل عادي مشروع ، ويندس الى جانبها في الفراش ويداه تمتدان اليها كأخطبوط جبان .

يجب ان تحتفظ بالثالث باي ثمن ، وخيل اليها انها تسمع بكاءه الحيواني الذي ينقطع فجأة كأن يدا وحشية قد اطبقت عليه ، وخيل اليها ان شيئا ما يتقطع في جسمها وهي تسمع صوتا بغيضا يحشرج .

ـ الولد مات يا فاطمة ، بطنـك لا يمسـك اطفـالا .. بحياتك البركة .

وسمعت صوت الباب الكبير وهو يغلق ففتحت عينيها المسهدتين بذعر وعرتها رعشة .. لقد رجع عصام من عند خطيبته البضة البيضاء كالفيم .. تلك الخطيبة التي تنظر اليها وتكلفها باشق الاعمال كأن بينهما ثأرا ناغرا .. انـه يسهر كل يوم عند خطيبته فيخرجان ويتنزهان ومع ذلك يأتي في آخر الليل نحوها كدب جائع وهي مسهدة خائفة مشمئزة ، تحسب الوقت القليل الذي بقي لتنادي سيدتها بصوتها التي اعتادت قسوته :

ـ اسم الله يا فاطمة .. شمسك عالية يا خانم .. قومي اشعلي النار .

وسمعت خطواته تدلف نحو المطبخ كعادته .. انه لم يعتد مرة واحدة ان يتعشى في الخارج او عند خطيبته الحاقدة .

انها لا تذكر سمة مميزة لوجه ابيها المبهم القسمات . سوى ذلك اللمعان الغريب في عينيه المسماريتين الصقريتين حينما مد يده وارجعها بكمية ضخمة من الاوراق لم تر مثلها في حياتها .. لقد نظر اليها وادار وجهه بسرعة يستطلع الافق ، وكانت تحس انه يشعر بشيء انساني لـم يشأ ان تقراه في ملامحة الابنة الواقفة كشجرة صغـيرة مرتجفة . ومد السيد يده وشد على أصابعها بحنو ، ثم تكلم مع ابيها كلمات كثيرة سريعة ، وكانت هي تتلفت باحثة عن امها ، ولكن ثنيات الدرب بقيت جافة ضاحية لم يرتسم عليها ظل ، وساد بعض السكون ، ثم شعرت باليد الناعمة تشد يدها من جديد ، وبقوة خفيفة تدفعها الى المشي .. ومشت باستسلام نحو السيارة المغبرة القاتمة ، ورغـم انها شعرت بالفضول لدى غرقها في المقعد الوثير ومشاهدتها الآلات اللامعة المعقدة ، فقد التفتت الى الوراء والسيارة ترقص بدون تدريب على الطريق الذي لم ينس ترابه ضم الشجر بعد ، واستجمعت في ذاكرتها كل الصور المزروعة في حناياها والتي نمت ببطء نحو زيتونة أصيلة ، ودفنتها في الاعماق . وهي تذكر ان سيدها حدثها حديثا طويلا جميلا ، وربت على كتفيها بحنان وان كانت نظراته تشبه نظرات شباب الضيعة متفحصة منقبة .

لا تزال خطوات عصام تنقر في دماغها خطوة خطوة وتصورت المنظر المعاد ، والصوت الحاد الالثغ ، وفكرت : عندما ينتهي من العشاء ، سيرسل سعلة مصطنعة كانت كالاشارة المنبهة لقرب المعركة الفاشلة المعروفة النتيجة .

الزمن بالنسـبة اليها صوت سيدتها مع ضوء الشمس ولمسات رجل مع دكنة الليل الاصم .. رجل يختلف يوما عن يوم .. لم تكن تعرف كيف لا يزدحم الاخوة الثلاثة نحو غرفتها في يوم واحد ، وتصورت الموقف الساخر المرير ، ولكن ذلك لم يحصل ابدا ، كأن هنـاك اتفاقـا ضمنيـا بينهم .. لقد ذهب زمن المشاحنات . وتواضعوا اخيرا على نصيب كل منهم من لحم الفريسة ... بعد ان اباحها لهم .. ذات يوم محفور في دماغها .. ذلك الـذي يضم جسدا ذا فم يصرخ بالاوامر الباردة القاسية . لقد جاء سيدها ، ولم يكن لها في البيت سوى اسابيع ، واذناه منتصبتان كذئب مداور ، ولما خرج كانت مذهولة حائرة مضاعة .. لم تقو على الصراخ والبكاء وطار من ذهنها كل حلم عن حياتها الجديدة التي تبعث على الفضول ، وفي يوم آخر مد يده المرتجفة الحارة نحو بطنها ثم قفز قائلا بذعر أذهلها :

ـ العمى .. ولد ؟

ودارت وراء الجدران الاحاديث ثم اخذ عصـام يدلف نحو غرفتها بهدوء من مدخل حرما آمنا تعود عليه واعلنت سيدتها بحقد وغيظ :

ـ لا تخرجي الى الحارة يا فاطمة .. الجيران ..

وحتى مروان . أملها الذي بناه باحاديثه اللطيفة ومعاملته الرقيقة لها أضاعته ودفنت ذكراه في اعماقها ، لقد ثار حينما نظر الى بطنها المنتفخ ، وشهد البيت خصومة شديدة بين الاخوين وتدخل الاب وكانت الام تقف حائرة في المعركة الدائرة :

ـ يا ملعونة ، يا مطعونة افسدت الاولاد ... البيت كان بخير قبل وجهك المشؤوم .

ولكن الامور انحلت أخيرا ببساطة حينما أخذ مروان نصيبه من الغنيمة وتلاشت شيئا فشيئا شجرات البطم والسنديان والدلب من ذاكرتها المشوشة وقلت نظراتهـا اللاهفة نحو السيارات المتلئة ، واخذت تتعلم ان تنظر الى الارض ونسيت عادة الضحك ، وانحصر همها في الانهماك في عملها المضني المتواصل .

لو انها بقيت في الجبل ، فكرت أمينة وهي تسمع السعلة المتوقعة ، وتزوجت وانجبت اطفالا تعتني بهـم اعتناءها بخالد حينما كان لا يزال ناعم الصوت بريء النظرة

وطفرت من عينيها المهمومتين دمعة كبيرة .

ـ انت تتعلم ايش يا خالد بالمدرسة ؟

فينظر اليها ببراءة ويروح يقص عليها اشياء كثيرة جميلة وقد اذكت حماسته عيناها المبهورتان وفرحها الطفولي بما تسمع :

ـ اليوم حفظنا قصيدة جديدة .. اسمعي ..

ـ هذا شعر صعب ما افهمه .. انا احفظ مواويل واغاني جبلية ..

وتروح تبحث الآن عن ذلك الوجه البريء الساذج في هذه السمات القاسية اللامبالية التي يطالعها بها وجه خالد وهو يعصرها بين ذراعيه ، في عنف مراهق يعبر عن خجله المستتر .. الا ما أطول الحياة ...

سنتان يا ابنتي .. سنتان فقط تعودين .

وفتح الباب ، وانتصب شبح اسود أخذ يخلع ثيابه في هدوء .

★★★

انفصلت عن جبل الليل منتفخة تعبة حذرة ، سوداء حتى قدميها ، وأخذت تتطلع الى الخلف ، تستشف من خلل الضوء البخيل الذي ينقط من مصابيح الزقاق الطويل شبحا وراءها ، واحكمت وضع الملاءة حول خصرها ، ثم وضعت يديها فوق بطنها المنتفخ ، وأخذت تضغط عليه بدون وعي ، كأنما هي خائفة ان يفلت من بين اصابعها .. لقد صدر الامر الثالث :

ـ لا تخرجي الى الحارة يا فاطمة بعد الآن .. قد يراك الجيران .

الليل بارد معتم ، والزقاق يوشك على الانتهاء ، وسمعت من بعيد صوت الترام يهدر ويدق برنينه الباهت ، وفكرت :

عندما يدخل مروان اليوم ويرى الفراش فارغا ! ! .

وضحكت بحقد ، وتصورته يزمج مسرعا الى غرفة ابيه التي كان يعرف انه وحيد فيها منذ ذهبت امه في المساء الى امها واعلنت انها ستنام هناك الليلة ، فاذا ما وجد ان اباه لم يغتنم الفرصة شد قبضته بعنف واندفع الى غرفتي عصام وخالد . انه يريد ان ينتقم لحقه المغتصب .

استوقفت الترام وهي تشعر بشيء من الزهو ، وعندما ارادت ان تدفع ، اخرجت صرة صغيرة معقودة عقدا محكما ، واخذت تحاول ان تحل عقدتها ، والجابي ينتظر امامها بلا مبالاة من تعود هذا الامر من زبوناته من النساء . ولما افلحت اخيرا وضعت كفها على الاوراق المالية القليلة التي كانت فيها ، كأنما لتحجبها عن اعين الجابي الذي قد يظن بها الظنون لتملكها مثل هذا المبلغ ، ولكن الجابي مد يده بتبرم واخذ قطعة القروش العشرة وارجع اليها قرشين ونصف ، ثم سار وهو يهز جيبه الذي يوسوس بالقطع الفضية والنحاسية .

واستندت الى المقعد ، واعادت الاسم ثلاث مرات : جميلة ، جميلة ، جميلة ، وتصورت الاستقبال الذي سوف تستقبلها به فيما اذا رات وجهها .

وفكرت وقد ضاقت عيناها ، كأنما تدفع عن ذهنها كابوسا مزعجا ، بالغرفة الرطبة ، وبالمناديل التي تعصب بها العيون بحجة كتم الالم ، والصوت الحيواني لطفل صغير ينبعث مرتين او ثلاث مستهجنا العالم الذي جاء اليه ، ثم يصمت فجأة ويحشرج ويخمد تنفسه الارعن ... ويتعالى صوت غليظ لا تعرف مصدره :

ـ بحياتك البركة يا فاطمة الولد فطس . بطنك لا يمسك الاولاد ! ! ..

وشدت يديها على بطنها بعنف ، وتمنت ان يضعف هذا الضوء القوي الذي يكاد يؤذي عينيها ، وشعرت بالارتباك .. كيف ستذهب ، ماذا يقول من يعرفها ، ولكنها ابتسمت فجأة .. هذه هي الطريقة الوحيدة التي تفضحهم بها . سيحمر الوجه الخشبي من اقوال الناس وسترفض اية خادمة ان تدوس عتبة البيت ، وستعرف خطيبة عصام أين كان حبيبها يتركها فجأة ، كأنما هو ذاهب لموعد مضروب .

ونبت امام عينيها فجأة الوجه القديم القاسي الملامح واليدان ذواتا العقد ...

ـ سنتان يا بنتي .. سنتان فقط وبعدها تعودين ! ! ..

وأحست باستمالة العودة ، بدون أي سبب ظاهر ، ماذا لو انها انتظرت حتى الصباح ، ثم ركبت السيارة نحو اللاذقية ؟ ولكنها نظرت الى بطنها المنتفخ .. وخيل اليها ان دهرا طويلا جدا كصحراء ممتدة ، يفصل بينها وبين الماضي . لقد أخذت تستشير الرماد في القلب الكالح ، الحافل بغرائب الذكريات واعنفها ، ولكن غبار الرماد أعمى عينيها وسد انفها ، دون ان تحس بذلك اللفح الحبيب الذي يدفيء الجوانح .

وفكرت بامتنان عميق :

ـ لو لم القها .. لكنت صنعت .

وتمثلتها جالسة على الكرسي العريض وحدها ، ترمق بعيون رمادية تنبض حنانا وتسيل فرحا طفلا صغيرا يركض على العشب ويتعارك مع الصبيان الصغار .

كان ذلك يوم الجمعة الماضي ، والاصيل يلملم أشعته الدافئة من على الارض . وكان ذلك اليوم يوم نزهة اولاد سيدتها ، ولم تأخذ في ذلك اليوم سوى حسان لان غادة كانت متوعكة ، وكانت سيدتها قد سمحت لها بالخروج بعد ان تأكدت انها ستسلك طريقا لا يعرفها فيه أحد .

ـ خديجة اياك والجيران ، سانتف شعرك ، ساقطعك اذا رآك أحد ..

دعي الملاءة فضفاضة ، حتى لا يرى احد شيئا .. انحني في مشيتك الى الامام . اسمعي حسان موسيقى الدرك ... اياك ان يضربه أحد في الجنينة .

وعندما خرجت تنفست بارتياح ، فقد كان هذا اليوم هو اليوم الذي ترتاح فيه من هذا البئر اللزج تسميه بيتها ، وعندما وصلت الى حديقة البرلمان شاهدت الدرك ، كالعادة ، قد جلسوا يستريحون وحولهم جيش من الاطفال .

لقد كانت تراها ، في كرسيها العريض وحيدة كانما قد حجزت الكرسي لحسابها ، وكانت خديجة تستغرب هذه الاكداس من الاحمر والابيض التي طرشت بها وجهها، فلا يظهر منه ما هو انساني سوى عينيها النديتين المبللتين بالعطف ، وهما تتبعان طفلها الذي ينط ويلعب عبر مسارب الحديقة .

ورغم ان لخديجة بعض الصديقات من الخدم وغيرهن ممن الفن ان يأتوا كل جمعة الى الحديقة ، فقد كانت تلاحظ أن هذه المتوحدة المنفردة على كرسيها المعهود ، تختلفعن غيرها ، وسمعت الهمس يدور حولها ، والعيون تتطلع اليها في فضول ، وزجرت احدى الامهات ابنتها عندما شاهدتها قد جلست معها وهي تحادثها في اهتمام .

ـ اصحى يا حسان .. اصحى توقع

ولكن صرختها كانت متأخرة فقد وقع حسان وطفل آخر ، على الحصى واندفعت من فيهما الصرخات ، واسرعت اليه ورفعته عن الارض ، ورأت يدين سمراوين مليئتين بالحلي والاساور ترفعان الصبي الآخر .

وتلاقت العينان وابتسمتا بود . ثم سارتا معا الى الكرسي المتوحد .

سألت خديجة وهي تتنهد : ـ ابنك ؟

ـ نعم ؟

ـ هل لك غيره ؟

ـ لا

ـ لـماذا ؟

ونظر اليها الوجه المليء بالاحمر والابيض بحـذر ودهش : ـ يكفي هذا ..

ـ وابوه هل يرضى ان ..

وللمرة الثانية رفع اليها الوجه المليء بالاحمروالابيض نظرات بدأت غاضبة ثم لانت شيئا فشيئا وهي ترمق البطن المنتفخ .

ـ لا أعرف من هو أبوه !!

ونظرت خديجة حواليهـا وهي ترتعد ، ولاحظت الوجوه ترمقهما بريبة وتشكك وفجاة شعرت خديجـة بجراة غريبة وسالت : ـ هل انت و... ؟

قالت المراة بازدراء : نعم !!

ـ هل تستطيعين .. هل تستطيعين ان تحتفظي بأولادك .. اعني هل أنت حرة في... ونظرت اليها العينان الحنونتان النديتان بدهش وكانما فهمت صاحبتهما شيئا في هذا الوجه المنكمش المبتهل ، فربتت على يدها في عطف ثم قالت بصوت يفيض رقة :

ـ تكلمي يا اختي.. احكي لي كل شيء .. اسمي جميلة .. واسكن ..

وعندما رجعت خديجة الى البيت كان في عينيها بقايا دموع ونظرة غريبة حالمة نزلت من الترام في المرجة وقد ادركها الخوف والبرد معا ، وخيل اليها ان اضواء السيارات التي تمرق الى جانبها كالسهم تكاد تعميها.. وحارت في الطريق الذي ستتجه اليه ، ولكنها تذكرت كلمات جميلة ، فسارت محاذية لشاطىء بردى حتى اذا رات امامها العملاق الاصفر ذا الطوابق التي لا تستطيع عدها ، توقفت وقد ادهشتها دمشق في الليل ، واضواء النيون المختلف الذي ينبض من كل الانحاء ورنت الى السيارات الواقفة وراء بعضها ساكنة كحيوانات كبيرة نائمة وتقدمت من احداها واجفة .

وفي تلك اللحظة فاجاها اكثر من بوق يعوي واصوات كثيرة مختلفة :

ـ تفضلي يا ست ..

ـ هون ارخص ..

ـ لوين يا حرمة ؟..

واقتربت من السائق الشاب وقالت في استحيـاء :

ـ عا المزة .

ـ لوين ؟

ـ عالمزة !!..

فصعد السائق نظره فيها وقاسها ثم قال بخبث : ـ عالمزة ؟ أم على طريق المزة ؟

فقالت بقلب واجف وهي مطرقة : ـ عالطريق .

ففتح لها الباب وهو يبتسم ثم سار بها بسرعـة أذهلتها .. ونظر اليها السائق في المرآة ثم قال : ـ زبونة جديدة ؟

فأطرقت ولم ترد بكلمة ، وساد بعض الصمت قطعته بصوت مرتبك سائلة السائق : ـ هل تعرف... جميلة ؟

فزفر السائق بارتياح وصفر ثم قال : ـ كيف لا ؟ ومن لا يعرفها في هذا البلد ؟: ثم همس : ـ اما انا فرايي انها احسن بنت في كل المحل .. مسايرة وامينة ولطيفة.

ونظر اليها مليا ثم قال : ـ على كل حال البركـة فيك انت .

ودق قلبها ، واحست بمفاصلها تطقطق ثم استندت على المقعد ، كانما هي سفينة مستسلمة للريح .

قال السائق وهو يبتسم : ـ ما شاء الله.. هل انت حبلى ايضا.. هل تعرفين المثل ...

وارتسمت على فمها ابتسامة ، ووضعت يديها على بطنها في حنو ، وعيناها نديتان مفعمتان بالامل ثم قالت بصوت حالم فيه نبرة زهو وخيلاء حتى لقد التفت اليها السائق مستغربا .

ـ نعم انا حبلى .. انه ولدي الثالث !

دمشق — سعيد حورانية

في الليـــل

✴

أحقا أننـا كنـا غريبين كقلبينـا؟
أحقـا أننـا كنا ، ولكنـا تلاقينا
دعانا عازف القيثـار في الليل فغنينا
وضـجَّ الشوق في دمنـا ينادينا فلبَّينا

ملأنـا الكأس للعشاق من أفراح قلبينـا
ففي أعمـاقنا نور بذرنـاه بكفيّنـا

أحقـا أننـا عُشنا لنشهد فجر روحينـا
ونملأ من جداوله على الربوة كأسينـا

أجل عشنـا ولن ننسى رؤاه ملء عينينـا
لقد كنـا حبيبين فعشنا كيفمـا شئنـا

زرعنا الليل أحلاما تغطينـا اذا نمنـا
وفوق غصونها الخضراء في الصمت تعانقنا
نلملم فيه ما نثرت أعاصير الهوى مينـا

بعثنا الليل أشواقا مقدسة وأغفينـا
وما زلنـا وطيف الحب يقظان الرؤى مضنى
فلما رفرف الفجر على أحداقنـا طرنا

القاهرة

بأجنحة ملونـة يضم حنانها الكونا

رفعنـا ستر الغيم وبالآفاق طوفنـا
وللانهـار والوديـان والاشجـار غردنا
لكل مفاتن الدنيـا لما يبقى ومـا يفنى

فان غنى المسـاء لنا نشيد الملتقى عدنا
كعصفورين للعش الذي ضمهمـا حنـًا
حبيبين وراء الليـل شدَّ الحب قلبينـا

أحقـا أن هذا الحب طفل هز روحينـا
يثرثر في جوانحنـا ويخفق بـين جنبينا
تقبّل في غدائره صبـا فرَّ ولكنـا
تمنينـا فعاد لنـا فقلنا : لم يغب عنا

أحقا أن هذا الحب طفل زار عمرينـا
عشقناه فقد أعطت يداه مـا تمنينـا

أحقا أننـا عشنا لنشهـد فجر روحينا
أجل عشنا ولن ننسى رؤاه ملء عينينـا
لقد كنـا حبيبين فعشنا كيفمـا شئنـا

محمد فوزي العنتيل
من رابطة النهر الخالد

شعراء خالدون :

فرانسوا فيون او فرانسوا دي مونتكوربيه

بقلم هنري ودانا توماس

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

°°°

والآن ناتي الى اغرب المغنين جميعا ـ « انه اخونا الرديء ، المجنون ، الحزين ، البهيج » فرنسوا ڤيون . انسان نحيف قذر ، يشبه كومة من الجلد والعظم والنار ، ملامحه واضحة ، عصبي المزاج ، متقلب الاطوار ، « جاف ، اسود » شفته العليا مشوهة من ضرب خنجر ، احول العينين ، فيهما تلصص وخوف كأنهما على استعداد لتلقي ضربة من احد حراس الظلال ـ كان اذكى اللصوص في باريس طرا ، واعظم الشعراء في فرنسا كلها . لم يبلغ العشرين حتى كانت النساء تحت رحمته ؛ وفي الرابعة والعشرين قتل قسا ؛ وفي الخامسة والعشرين غدا زعيما لعصابة تدعى « كوكوي » وهي جماعة من اللصوص والنصابين والافاقين والنشالين وقطاع الطرق والقتلة المحترفين وكل تلك الحثالة التي أحالت القرن الخامس عشر الى عصر من الرعب والفزع . ومع هذا ، كان في قدرته الغناء . ولكن كيف ؟ وذكاؤه حاد حدة راس الابرة . كان يجيد معرفة النصوص اللاتينية ، لانه استاذ في الفنون الحرة والداعرة على حد سواء . كان ولاؤه لاصدقائه خالصا لا تشوبه شائبة ، اما ايمانه فكان عميقا كل العمق . قليلون هم الرجال الذين اقترفوا جرائم اشد شناعة من جرائمه . وقليلون هم الذين عبروا عن افكارهم الصافية بمثل تعبيره . ذلك بانه نتاج عجيب لعصر عجيب.

لم يبق من دماء مدينة باريس الا النزر اليسير ، بعدما اراقته في المذابح والمجازر المتعاقبة التي كانت هدفا لها بسبب حرب المئة سنة . تسكع الطلاب في زوايا الشوارع لاستجداء الرغيف . سرقات ، ونهب وسلب وقتل ، هذه الاشياء جميعا كانت النظام السائد يومئذ . اما الاوبئة فقد استمرت في حصد الارواح من غير توقف . ففي سنة واحدة قضت احدى الاوبئة على خمسين الف من الانفس في باريس . كما ان الذئاب راحت هي الاخرى تجوب الضواحي وتهاجم الصغار والكبار لتجهز عليهم . كانت الشوارع تضج ليل نهار بالصراخ المدوي : انا هالك من الجوع والبرد !

هذه هي البيئة التي ولد في احضانها فرانسوا دي مونتكوربيه سنة (١٤٣١) . كان والداه فقيرين مدقعين ؛ ومما زاد امرهما حراجة مجيء هذا الضيف غير المرغوب فيه . كاد الجوع يمزقه بانيابه لو لم يعتد نهب الطعام من المخازن المجاورة. والواقع ان تربية فرانسوا بدات بالسرقة. اما القراءة والكتابة فقد جاءتا متأخرتين .

فقد اباه وهو لما يزل طفلا صغيرا . وحين ادرك الثانية عشرة ، شعرت امه بانها قامت باداء ما في قدرتها من اجله. وهذا ما حملها على ان ترميه تحت رحمة احد الاقارب المدعو ، الاب غيوم دي ڤيون . تقبل القس العجوز الرحيم هذا الحمل من غير تأفف. فوضع فرانسوا في كنف بيته واعطاه اسمه .

وجد الاب الطفل سريع الادراك ، فيه صمم حيال اي سلطة . ومع هذا ، آمل ان يجعل منه قسا ، فسجله في جامعة باريس عام ١٤٤٣ . حاول الاساتذة بما في وسعهم تطبيق اصول التربية على هذا الولد الشكس ليجعلوا منه انسانا مهذبا . غير ان محاولاتهم باءت بالاخفاق . أثرت السنون الاولى من دراسته في ذهنه الحساس تأثيرا عميقا . اخذ اجازة « الليسانس » والماجستير ، ثم خرج من الجامعة استاذا ضليعا وشاعرا ملهما ونصابا معروفا . وميله الفطري الى صناعة النصب ، جعله يتفق مع كولين دي كايو ورينيه دي مونتينيه ، وهما على شاكلته في اتجاهه ومشاربه . فبالاضافة الى اساتذته في الجامعة ، الذين ارادوا اعداد ڤيون لمواجهة العالم العلوي ، تدخل معلماه الخصوصيان لتدريبه على مجابهة العالم السفلي .

اما كولين دي كايو ، وهو ابن عامل اقفال ، فقد ورث من ابيه حذقه الميكانيكي ، الى حد انه اصبح اشهر النشالين في سوء السمعة بباريس ولم يقبل اليوم السادس والعشرون من ايلول عام ١٤٦٠ حتى لقي كولين حتفه على

المشنقة في مونتفوكون . واما رينيه دي مونتيني ، استاذ ڤيون في الضلالة ، فقد ولد في بيئة احسن من كولين ، كما انه عرف بذكائه في جرائمه . ذلك بانه كان نصابا بارعا ، وسكيرا مدمنا ، ومجرما عائدا ، ونشالا ولصا ، وسارقا لم تنج منه حتى الكنائس . ولذا عرف بالجراة في مسلكه الاثيم ، لم تدم حياته طويلا ، اذ شنق قبل زميله عام (١٤٥٧) .

وبرفقة هذين الاستاذين الاسودين ، نال ڤيون ، بالاضافة الى درجتيه الاكاديميتين ، درجة غير اكاديمية عرفت بشاهدة « استاذ في الجرائم » . كان الآن مستعدا للانقضاض على فرائسه ، والانتقال من الجامعة الى السجن عبر الجريمة . قسم وقته الى ثلاثة اجزاء يقضي عصر كل يوم في الكتابة المبدعة ، اما لياليه ففي الدعارة والسرقة ، ويمضي صباح كل يوم في النوم .

حاول نصيره اللطيف ، غيوم دي ڤيون ، ان يقلعه عن طريق الشيطان ، ولكن بغير جدوى . غير ان الحياة في رواق الكنيسة ، كانت باردة بالنسبة الى النيران التي جرت ملتهبة في شرايينه . فخير له ان يسرق ليلا ، حين يكون الرجل العجوز نائما ، ليلهو ويعبث ويشرب في (حانة البغل) او في فندق « باين كون » او حانة « السيف الخشبي » ذلك بان مثل هذه الحياة اشد اثارة لنفسه . وبعد ان يقضي بعض الوقت في هذه الحانات يندفع مع الفجرة اللصوص الى سرقة جديدة ، او الى انتهاك حرمة احدى الفتيات ــ ها ها ، ما هي اذن الحياة ؟ اذا هم مسكوا بك وجزوا احدى يديك ــ يدك التي تكتب بها الشعر ؟ ولكنك كلما خاطرت تمكنت من الكتابة باليد الاخرى . والواقع ان الحياة مخاطرة ــ وكلما كانت التضحية اشد وقعا ، كانت الحياة الذ طعما واكثر نفعا .

ومع هذا ، فقد وعد نصيره ان ينبذ عاداته واعماله من حين الى آخر . وبعد هذا كله ، فما الفائدة العملية من وسائلك الاجرامية ؟ « انت تسرق ، وتقتل وتملأ كيسك نقودا وذهبا » وبعدئذ ؟ « تاتي النساء والخمور لتستنزف ما جمعته بعد طول الكدح وشدة التعب . »

اذن ، حسنا ، عليه ان يصلح شانه . فذلك سيسر الرجل العجوز اكبر السرور . ولكن قبل ان يفعل هذا ، عليه ان يرمي آخر سهم في جعبته ــ قبلة مسروقة اخرى ، شربة متخمة حاسمة ، معركة شديدة نهائية ، وفي الختام هجمة صاعقة على دار جيرانه ، لتكون مسك ذلك الختام .

وقبل ان يعرف شيئا عن ذلك كله ، انحدر مرة اخرى الى عنقه في اعماق المياه الآسنة بباريس . وعلى كل حال ، شعر في النهاية بانه على وشك التكفير عن زهوه وذنبه . كان اليوم هو الخامس من حزيران سنة ١٤٥٥ ــ وذلك في مساء عيد الرب . وكانت نوافذ باريس مضاءة بانوار الشموع والمذابح معطرة بالبخور . مواكب من الرجال والنساء والاطفال ، تحتشد هنا وهنا في الشوارع والازقة ، تحمل اكاليل الازهار ، والمشاعل المنيرة ، وفي وسط هذه المواكب القربان محمولا في محفة من الدمقس والذهب والطنافس المزركشة .

كان فرنسوا ڤيون جالسا بالقرب من المائدة لتناول العشاء ، في دار الاب ڤيون ، وكانت قصيدة مقدسة تساور ذهنه . ذلك بان قلبه حن كثيرا الى الايمان ، مع ضعف جسمه ووهن ارادته . اسلم نفسه بتمامها ، الى تلك اللحظة من التوبة ، لان روحه كانت ظامئة اشد الظمأ الى السلام والطمانينة .

هذه اللحظة من السلام هي التي طالما سعى ڤيون لادراكها امدا طويلا . ترك المائدة بعد ان انهى عشاءه ، ويمم وجهه شطر الشارع . توجهت خطاه ، بتاثير العادة ، الى « حانة البغل » . ولكنه لم يدخل الحانة ، ففي ضروب الدعارة تلك ما يكفي . انه سيجلس على مقعد حجري عرض الشارع ، ليرتاح عدة لحظات ، وبعدها سيعود الى منزله ليبدا حياة جديدة . اشتركت معه على المقعد امراة وقس ، صديقان كان قد تعرف بهما ، في مخاطراته المتنوعة في المدينة . ثم تحدث كل منهم ببعض الكلمات التاعسة عن مختلف الاشياء ــ وبعدها جرت مناقشة حول المراة ، اعقبها عراك انتهيا الى مصادمة دموية ، سقط القس على الارض مصابا بجروح مميتة بتاثير ضربة خنجر ، وتحطمت شفة ڤيون العليا في حومة المعركة . وهذا ما جعله يظل طيلة حياته مشوه الخلقة .

ومن حسن حظ ڤيون ، ان القس الذي اوشك على مغادرة الدنيا « غفر له جريمة القتل » . ومن ذلك الحين لم تعد باريس مكانا مأمونا بالنسبة الى ڤيون . ومن اجل ذلك حمل ما خف من حاجاته الماسة ، وخرج من المدينة متخذا طرقا ملتوية ، متواريا عن الانظار .

* * *

ثم نجده بعدئذ وقد اصبح شريدا طريدا يجوب الارياف ، وغدا عضوا رئيسا من اعضاء عصابة الاشرار (كوكوي) . انه شاعرهم ومشاورهم الدنس . فحين يصيبهم الجوع ، يسعى جاهدا ليسرق الطعام من اجلهم ــ « فالسيد ڤيون هو امنا المربية » . ولما يحضر الموت احدهم ، على المشنقة لينهي سفرته على هذه الارض ، يبعثه ڤيون الى الجحيم ، في مرح ، بعد ان يرسل معه خطابا الى الشيطان ، مرفقا اياه بضحكة ساخرة لتكون رثاء له .

ان في قيادة « عصابة الاشرار » ما فيها من حياة خطرة متنوعة . فمن كسر الاقفال ، الى بيع الجواهر المزيفة ، الى تزييف اوراق اللعب في حانات الريف ؛ ثم الى قنص المارة في طرقات الجبل وسلبهم ما يملكونه ، ومن ثم الاخلاد الى الهدوء ، لينظم بعض الاشعار على اوراق اختطفها من الحوانيت . وبعد كل آثامه هذه ، تراه يغني مختالا بين الاكواخ ، ليؤنس الفلاحين ويغري نساءهم ، وذلك كله ، على

بعد نصف خطوة من الجلاد الذي ينتظر رقبته .

وفي الختام يعود الى باريس ، بفضل جهود ابيه الذي تبناه . ولمدة حاول الشروع في « عمل شريف » فاصبح معلما لعدد من الاطفال الذين ، يبدو ان اقرباءهم لم يعرفوا ماضيه ، ثم يعود الى « السيدات والسادة » الذين كانوا يلائمون ميوله القديمة . اسلم نفسه مختارا الى عيون كاترين دي ڤوزيه ، النفاذة ولسانها اللاذع ، تلك « السيدة ذات الانف الملتوي » . احب ڤيون كاترين بعاطفة ملتهبة ، الا ان كاترين هذه كانت تهوى المال هوى شديدا . ومما قاله بهذا الشأن « فتحت قلبها لي ، من اجل ان تسخر بي» ثم نبذته لكي تتعلق بعشيق آخر اقوى منه شأنا واكثر مالا . ولكي تضيف الاذى الى الخيانة ، صفعته امام عشيقها الثاني . قال ڤيون معترفا بذلك « ضربت كأني عصفور صغير في ساقية ، وهذا ما لن اخفيه . من الذي جعلني ابتلع هذه الاهانة ؟ . انها كاترين دي ڤوزيه . ومن كان حاضرا لمشاهدة ما حل بي ؟ انه عشيقها ، نويل . » .

غدت اهانة ڤيون حديث العالم السفلي في باريس اخذ الناس يتهامسون خلفه . فكنت تسمعهم يقولون : « ليس لك من لوم توجهه الى الكلبة ، في معاملتها له . انظروا الى جسمه المشوه ، ووجهه الكلبي . » فلم يعد امامه شيء غير ترك باريس . ولكن قبل ان يفعل ذلك عليه ان يوجه سهما الى المدينة، سهما من شعره الساخر اللاذع. وهكذا كتب وصيته النارية المتهكمة ، تحت عنوان « العهد الصغير » تاركا شهرته الى غيوم دي ڤيون ، ومرحه الى اصدقائه ، وآلمه الى خصومه ، و « قلبه الشقي ، الناحل ، المسكين » الى سيدته التي افضت به الى هذه المصيبة المحزنة — « لعل الله يضفي عليهما برود رحمته ! » ولما انهى ڤيون « العهد الصغير » اعد أهبته للرحيل ، فودع اصدقاءه وخلانه وداعا حارا — ثم غير خطته فجأة .

***

كانت حفلة الوداع في عشية عيد الميلاد سنة ١٤٥٦، حيث قام ڤيون بدور المضيف بالنسبة الى خلانه في « حانة البغل » ، فما كان من الهام شرير الا ان تسيطر على اذهانهم المخمورة . لم تمض دقائق قلائل ، حتى تلاشى خمس اشخاص صامتة في ظلال عيد الميلاد ميممين وجوههم شطر « كلية ناڤار » . ذلك بان فرانسوا اقنعه اصحابه بفائدة البقاء في باريس من اجل السرقة ، بدلا من المجازفة والمخاطرة في الدروب والطرقات .

اصاب ڤيون من سرقة « كلية ناڤار » مبلغ الف وخمسمائة دولار . كادت تكلفه حياته . غير ان الشرطة لم تتمكن من ربط ڤيون وخلانه بما جرى . احتفل اللصوص « بحظهم السعيد » بسلسلة من المآدب الصاخبة ، غذاؤهم الرئيسي فيها الاوز المحمر ، وتوابلهم الفتيات ذوات الوجوه الوردية .

وفي ذات يوم تيقظ الشاعر ، فلم يجد بنسا في جيبه . ومرة اخرى صمم على ترك باريس — وفي هذه المرة اصر على عزمه . فوضع على كتفه حزمة من القماش ، ليبعد اي شك قد يتطاول عليه . اما عمله الحق فقد دفع به في اتجاه آنجو .

كانت الطريق التي اضطر الى احتذائها طويلة . فلمدة خمس سنين دخل مختلف المدن والقرى من خلال « ابوابها الخلفية » خشية الشرطة وملاحقاتها ، وكان كثيرا ما يقضي لياليه على التبن في المخازن المهجورة . واحيانا كان يقف امام الحانات الريفية ليرتشف شيئا من الشراب ، على عجل ، وليشنف آذان الحمقى من الناس بقصائده العارية ، وحالما ينصتوا اليه متعجبين ينشل ما في جيوبهم ويمضي في سبيله . كانت عيناه المتلصصتان ترمقان من يسير خلفه دائما ، بانتظار يد ثقيلة تهبط على كتفيه بين لحظة واخرى . والواقع ، ان يديه المتينتين المتحركتين ، ومزاجه العاصف ، كانت في اكثر الاحيان تقوده الى زنزانة مظلمة . وكلما القي القبض عليه ، خشي ان تبعث جريمة « كلية ناڤار » من قبر الماضي لتودي به الى المشنقة . ولكن السنين كلما مرت بدأ يأمل في النهاية بان هذه الجريمة على الاقل لا بد ان تبقى حبيسة بين الاسرار التي لم تحظ بحل. فشكرا للشيطان من اجل ذلك ! ومع هذا كاد يهبط الى زنزانة الموت مرتين . ذلك بان كثيرا من الجرائم التافهة في تلك الايام كان عقابها الموت شنقا .

ومن حسن حظه ان تمكن في كلتا الحالتين من الخلاص من حبل المشنقة ، بفضل شفاعة الاب غيوم واصدقائه . وهكذا سحب قدميه المدميتين خلال الغبار والوحل في محاولة يائسة للنجاة من مصيرة — من نفسه الشقية ذاتها. انسان ، متمرد ، بائس ، ساخر — هذا الجني المغني ، الذي يتراوح نشيده بين السماء الصافية والوحول الآسنة — رجل وقح ، شتام حالم ، مخطر ، لطيف ، انيس ، هزيل هزال هيكل عظمي ، قبيح قبح سلحفاة . فمكثه الطويل في السجن وخوفه من الموت احالتا جسمه الضعيف النحيف الى كومة من الاعصاب المعذبة . وكثيرا ما كان يوضع في مصاف الدرجة الثالثة من المجرمين . وكان يسقى الماء بواسطة انبوب ، حتى عيل صبر رئتيه وقلبه فكادا ينفجران. ان رطوبة السجن تغلغلت الى مخ عظامه ، اما جسمه الرديء التغذية فقد انهار انهيارا ، فاصيب بالسل مدى الحياة . ثم اصبح يمثل رمز الوجود الذي غدا كومة وسخة من التربة الانسانية مؤلفة من الفقر والالم والجريمة .

ومع هذا ، فقد بذرت في هذه التربة بذور العبقرية، هذه العبقرية التي لم تحتج لغير هذا المزيج من الفقر والالم والجريمة لتزدهر في قصيدة الحياة الرائعة — « العهد العظيم » .

***

و « العهد العظيم » بالنسبة الى « العهد الصغير » كنسبة الشمس الى القمر . انها اكبر منه حجما واشد دفئا واعظم دهشة ، وآلم وقعا ، ذلك بان ضياءها اوسع مدى وقوتها امضى اثرا . كان شعاره في كتابة « العهد الصغير » هو هذه الكلمات : انا اضحك من خلال دموعي . والظاهر ان الذي حدا به لتأليف « العهد العظيم » هو شعار معاكس لشعاره الاول كل المعاكسة . لانه يبكي هنا في اثناء ضحكه . لقد اصبح ڤيون على تمام المعرفة بسمو الانسان وسخافته . ففي هذه القصيدة — وهي في الواقع مجموعة من القصائد — نجده لا يزال يضحك ويمزح ، الا ان مزاحه ممتزج بحزن نبيل . ذلك بانه انحدر الى اعماق التعاسة فوجد فيها سر الجمال . ثم ان ادراكه الناضج اكتشف مسالك الاحزان المرة في الحياة وصرافة العطف في الممات .

ومع بهاء « العهد الصغير » في بعض الاحيان ، فهي لا تعدو قصيدة من المساخر . اما « العهد العظيم » فمع بعض التوافه فيها ، فهي انشودة رائعة الشان ،شامخة المعنى ، جليلة القدر . ومن المهم ملاحظته ، انه كتب معظم هذه القصيدة في السجن ، بانتظار تنفيذ حكم الموت فيه. فهي اعتراف نهائي لانسان دنيوي ، كان اشد الاشرار مقتا، ومع هذا ، فقد اسبغت عليه موهبة الموسيقى ونعمة الاخلاص لاخوانه من البشر .

تبدأ القصيدة باعتذار لحياته الضائعة . فقد تجرع نصيبه من العار ، وبالرغم من ذلك فانه لم يعتقد بانه كان احمق او حكيما بمعنى الكلمة . فحياته صفدتها قيود الحزن ، اما لجامها فكانت الضرورة . « ان الضرورة هي التي تدفع بالناس الى التيه . والجوع هو الذي يدفع بالذئب ليقفز متجهما من غابته على فريسته . »

ولكن ما جدوى رثاء مآسينا الماضية ؟ وبعد كل شيء فليس من حياة بغير الم . فالغني والفقير والمتسول واللص، كلهم في الهم سواء . وكل مجازفة وسيلة من وسائل الموت .

« حتى اثينا وباريس ستموتان ؛ وليس من موت بغير الم . . . وحين يأخذ الموت بخناقك يتصبب عرق على اطرافك . يا الهي ما هذا العرق ! ليس من انسان في وسعه ان ينجيك من عذابك : ليس من طفل او اخ او اخت يمكنه ان يأخذ مكانك . . . يجعلك الموت في رجفة ، ويحول انفك الى شعس، ويشد شرايينك، ويسبب انتفاخ رقبتك، ويحل عضلات جسدك ، ويمدد اعصابك ومفاصلك. . . اواه يا جسد المراة ، اللطيف الرشيق ، الناعم ، الثمين . انت ايضا ستخضع الى هذه النهاية المرعبة » .

ولا بد ان ذهن ڤيون كان مشغولا بمصيره المميت ، حين كتب هذه الاسطر .

وهذه الفكرة قادته لانشاء اغنية هي احدى اجمل الاغاني التي صدرت من القلب الانساني ، في حلاوتها وكآبتها ؛ وتدعى « اغنية السيدات الميتات » . وقد ترجمت الى الانكليزية ترجمات لا حصر لها ولا عد . غير انه لم يكن في وسع احدها ان يصل ذروة الاصل ، حتى ترجمة دانتي غابريل روسيتي التي اصابت بعض النجاح ، بشطرها المهم « ولكن اين ثلوج السنة الماضية ؟ » ولك ان تقارن هذا الشطر بالاصل ، لتعلم مبلغ الاصالة والجودة والفن الرفيع ، وجمال الاداء وحسن السبك ، حتى خيرة التراجم، لا تعدو كونها ، اوراق اوراد يابسة بين صحف مهترية بالقياس الى اوراق الورد الحية .

يتبع ڤيون الاغنية بغيرها من القصائد التي تماثلها في الميل ، ثم ينتفض ليتحرر من افكاره الكئيبة . لانه شاعر امزجة مختلفة . فبعد الغيوم الداكنة تشرق الشمس الساطعة . ومرة اخرى نجد الجو مفعما بالضحكة غير المبالية التي تبدو على وجه الافاق الشريد . ولما كانت الحياة قصيرة والالم مؤكدا ، فدعنا ننسى الماضي فلا نأسف عليه، ودعنا ننسى المستقبل فلا نخشى منه . ذلك بانه خير لنا ان تكون لنا ساعتنا التي نحن فيها . ثم لِمَ لا نقطف بنت العنب من الكروم ، لنسر بعصيرها ، فخذ المرح من اليمين ومن الشمال ، ولا تترك جانبا منه » لان كل شيء سيغدو جافا يابسا لا حياة فيه . وبعد ذلك ، يصرخ ڤيون بسبب تغيير فجائي في مزاجه ، فيقول بان الشيطان كامن في النساء جميعا وانهن في لحظة من السرور يحملن الانسان حزن دهور . فلا تضع ثقتك ببنات حواء ابدا .

« هن عطرات عطر المسك امام عينيك »
« ولكن ثقتك بهن ، تودي بما تتمتع به من سلام »
« وسواء أكن بيضا ام سمرا ، وضيعات ام رفيعات »
« فسعيد انت ان لم تعاشر أيا منهن . »

لقد انحدرنا الى دركة سفلى في شعره . فوجدناه ذلك الشاعر السوقي المتهكم ، الذي يناجز القدر ، ويحيي مواطني باريس برشاش من الصرخات البذيئة . ثم نأتي الى هيكل « العهد » الذي يطفح بالف من الطعنات واللعنات والنكات منصبة على الجميع من غير تمييز . ثم دعنا نغرق اكثر في شعره — وفي روحه — فماذا نجده ؟ نجده يصور حياته في الماخور تصويرا واقعيا رائعا . وهذه الفكرة اللصيقة بمسلك ڤيون ، في انحطاطها ، تكون اساسا لقصيدة صريحة مريرة لن تسمع لها مثيلا في اي لغة من اللغات .

اشتغل خادما وبوابا وسمسيرا في ماخور (ماركوت) المدينة . ولم يعمل لاجلها لانها كانت تدفع له مبلغا حسنا من المال حسب ، بل هو فعل ذلك لانها كانت تغازله وتبادله مسرات الحياة الجنسية . قال في هذا الشأن « انني على اهبة الاستعداد للنضال من اجلها . ومتى ما يصل الزبائن انهب الارض ركضا لاجلب دنا من الشراب لهم . . . ثم

اقوم بخدمتهم فيما يحتاجون اليه من جبن وخبز وفاكهة ؛ واذا كانوا اسخياء فيما يصرفون من دراهم ، الح عليهم بزيارتنا حين يكون مزاجهم ملائما للرياضة ».

غير ان ڤيون لم يكن سعيدا دائما في « بيت المرح » اسمعه يقول بهذا الصدد « اذا أوت ماركوت الى الفراش بغير دراهمي ، كنت لا اطيق رؤيتها . وكنت انزع ثيابها واقسم باني سابيعها لتوفية دراهمي المستحقة عليها .. ولكنها تصرخ مولولة داعية الشيطان ليشهد باني لن افعل ذلك . وعندئذ اضربها بقبضتي تاركا لها صورتي تذكارا . »

تجارة بشعة . ولكن ماذا للشاعر الشيطان المسكين ان يعمل ، وليس له ما يلوذ به من مسكن او فراش ، بعد ان تحطمت آماله وانهارت مشاريعه ؛ فهنا على الاقل وجد بيتا وقتيا وطعاما وقليلا من حرارة العطف الانساني . وسواء اكان اليوم عاصفا ام مثلجا ام مرعدا ، فخبزي مخبوز وطعامي جاهز . انا عاهر وهي مومس ، فنحن الاثنين من فصيلة واحدة في تفاهتنا . » فكل منا يفهم صاحبه « قط حقير وفارة حقيرة . نحن نحب القذارة والقذارة تحبنا . وكلنا في هوى الدنس في هذا الماخور سواء ، ذلك باننا ندير تجارة لا تشرف احدا . »

حسنا ، ايتها السيدات وايها السادة ، هاكم اياه في بشاعته العارية . فهل تغمضون عيونكم وتسدون انوفكم ؟ وهل تشعرون بتقزز من هذه الصورة التي تبعث على الاشمئزاز ؟ اذن عودوا الى شعرائكم الافاضل القديسين ، ان شئتم ، فهل سترون عندهم قصيدة أبقى على الزمن وارق حسا من قصيدة ڤيون « انشودة الى العذراء » ؟ . هذه القصيدة جوهرة ثمينة ، مدفونة في قذارة ضحكته المتهتكة . وهي صلاة موجهة الى العذراء ، شاء ڤيون ان يضعها على لسان والدته العجوز . دعنا نمعن النظر في هذه الصلاة التي شرحها ج.م. سنج ، في جمالها وعدم دقتهـــا .

« يا ام الاله ، يا سيدة السموات ، خذيني مع الخاطيء المسكين ، وقوديني في طريق الصالحين المختارين . اخبري ابنك بان له حقا في غفران نصيبي من الخطايا . انه فعل ذلك منذ القدم ، فايام الخطاة العظام المشاهير كثيرة . انا امراة عجوز مسكينة ، لم اذهب الى المدرسة قط ، ولم اتعلم شيئا من المعارف ، ولكني رأيت صورا في المعبد ، فيهـــا الفردوس على جهة مزدانا بآلات الطرب ، وفي الجهة الاخرى شاهدت الخطاة وهم في عذاب الغليان ؛ ان الصورة الاولى امدتني بسرور غامر عظيم ، واثارت في الثانية رعبا وهولا فظيعين . يا أم الاله ، دعيني في المحل الصالح ، وبثقتي بك سأحيا ابد الدهر ..

« انت التي حملت يسوع جنينا ، حملت الذي لا نهاية له ولا بداية ، حملت الاله الرب القادر على كل شيء ، ومع هذا هبط من عليين ليتسلم ضعفنا ، وليقدم ذاته المقدسة الى الالام ، يقدمها في شبابه الرفيـــق الرقيق . حقا ، هو ربنا ، وبهذه الثقة سأحيا أبد الدهر . ».

وفي مثل هذه اللحظات يتقرب قلب ڤيون الى قلب الانسانية ، في عطف ورقة ولطف وحرقة . لان « انشودة الى العذراء » ليست صلاة ڤيون حسب ، بل هي صلاة الانسان في ارحب معاني الانسانية واشدها شمولا واتساعا .

« نعبدالله ، هو من ينشد اغانيه الساخرة الحزينة »
« وهو ذلك الذي يحيا في بيت الالم ملازما له »

***

ينهي ڤيون « عهده العظيم » الذي هو مزيج من السمو في الادب والابتذال فيه ، بفقرة لتوضع على قبره ، جاء فيها:

« هنا يعود انسان تافه ، احمق ، منبوذ الى الارض ، امنا جميعا . غير ان الديدان لن تجد كثيرا من اللحم فيه ، ذلك لان الجوع لم يبـــق غير العظم في جسمه .. ولم تكن الراحة من نصيبه حتى جاء المـــوت وانقذه من العالم . يا الهي ارحمه واجعل الراحة الابدية نصيب روحه .»

يا لفرانسوا ! ان عليه ان يناجز مصيره القلق قبـــل ادراك السلام النهائي . ذلك بانه تشاجر ذات يوم ، بسبب الخمر ، فالقي القبض عليه . لم تكن هذه المسالة ذات اهمية . ولكن الشرطة الباريسية كانت متشوقة للتخلص منه « باي عذر كان » . ان معظم خلانه اصبحوا اثرا بعد عين . ففكرت الشرطة بان من صالح المدينة ان يلحقوا ڤيون بصحبه الذين تدلوا من المشانق . وطبقا لهذه الرغبة الملحة نبشت الشرطة عن جرائمه المنسية ، وبضمن تلك الجرائم سرقة « كلية نافار » التي حلت عقدتها فعرف فاعلوها ، وبهذه الوسيلة تمكنت الشرطة من اصدار حكم الموت عليه.

وهكذا واجه المشنقة للمرة الثالثة ــ فشعر بان الامر جد في هذه المرة . يا الهي العظيم ما ابشعها من نهاية ! وبينا كان راقدا على القش الرطب ، في سجنه ، صور جسمه « متعلقا » بحبل .. وبهذا الاسلوب سيلقى حتفه ، بعد عذاب شديد ، لمدة نصف ساعة . » وبعد ذلك سينتن جسمه في الهواء ، وستاكل الطير عينيه . وسيجلب السفلة الصغار مومساتهم ليراقصوهن تحت المشنقة ، ثم سيشيرون الى هيكله العظمي المتأرجح في ضوء القمر . غطى وجهه بيديه ليبعد عنه هذا الكابوس .

غير انه تيقظ من هذا الكابوس ــ ليجد نفسه في فجر داكن . ومرة اخرى شكرا لافضال الاب غيوم ، فقد بدل حكم الموت عليه بنفيه من البلد عشر سنوات .

سمح له بالبقاء ثلاثة ايام ليعد اهبة السفر ، وليودع اصدقاءه . وفي صبـــاح قارس في كانون الثاني سنة (١٤٦٣) جر جسمه النحيف من بوابة القديس جاك ، متوجها الى اكوام الثلج ، وضباب النسيان ، ومن يومئذ لم نعد نسمع به .

يوسف عبد المسيح ثروة — **العراق ــ بعقوبة**

الاهات المخنوقة

✳

عذراء كم آه على شفتيك رفت بالحنين
كصدى رباب حالم مترنح عذب الشجون
متسعر الاشواق مشبوب بآلام الظنون
يغري جوانحنا الشقية بالصبابة بالفتون
وأنا بوهمي مسترق في متاهات السنين
أطوي الضلوع على الهوى فيطل من بين الجفون
وبقلبي الظمآن شوق صارخ لو تعلمين

★

عذراء كم آه على شفتيك باحت بالمنى
من بين أسداف غلاظ مشرعات بيننا
من خلف هاتيك السدود الكافرات بحبنا
فلك القيود ثقيلة ولي الكآبة ، والضنى
يا ليته « السجان » يرحم او يرق لحالنا
ملت أمانينا الكهوف فهومت في أفقنا
لا تجزعي فلسوف يشرق عن قريب فجرنا

★

عذراء كم آه على شفتيك غامت في الفضاء
كالديمة السوداء كالامل الممزق كالشقاء
كالدمعة الخرساء في ليل الحيارى الاشقياء
كاللعنة الحمراء كالبؤس المكفن بالبكاء
وبروحك الولهى عباب زاخر من كبرياء
لا تنثني فالكون نور وانطلاق وارتواء
وغدا شعاعك يعتلي ، ويضيء أرجاء السماء

حتام يختنق الاسى كالليل معتكر الضمير
متبجج في مهدك الوردي مجنون السعير
مقروحة الجفنين لاهثة بأشجان تثور
خفاقة الصدر الجديب من الطلاقة والسرور
مسهومة النظرات عالقة بآفاق الستور
صنعوا خناقك من حرير ويحهم بئس الحرير
وأنا هنا في وحدتي يا رب أرتقب المصير

★

عذراء كم آه على شفتيك تشعل خاطري
تأتي من الغيب البعيد فتستجيب مشاعري
وتفور في نفسي التعيسة كاللهيب الثائر
فمتى انعتاقك وانعتاقي من اسار جائر
لنرى العناق قيودنا ، والوجد صولة آسر
ونطير في مرح الشباب مع الحنان الهادر
وتظلنا هذي الغصون غصون حب ناضر

★

لا تنفثي الآهات يا عذراء أحزانا تروع
لا تنفثيها حشرجات مثقلات بالدموع
مشلولة الانغام بالحرمان بالرعب الشنيع
مخنوقة باليأس بالآلام بالكبت الفظيع
لا تضرمي هذا الاوار بقلب محموم صريع
رفقا بنفسك وانعمي فلسوف تأتلق الشموع
وتفك أغلال القساة ، وتحطم السد المنيع

طرابلس الغرب

محمد احمد سالم
عضو بعثة التعليم المصرية

قصة مصرية قصيرة

الام

بقلم ابراهيم شكرالله

حينما استيقظت حميدة كان هذا على صدى ما كان يصعد الى ذهنها الغارق في غمرات النوم من طعنات في داخل جسدها. ولم تفق حتى احست عنف هذه الطعنات التي كانت تخرج من جنبها فيرتج لها جميع جسدها . طعنات من الالم الجارح الطويل التي كانت تتوالى الآن — وقد افاقت لها حميدة تماما — في انتظام دقيق . طعنة يرتفع معها الامل ان هذه هي الاخيرة بما يعقبها من سكون يغشى كل وجودها . ولكن فترة السكون هذه لا تلبث ان تنتهي لتعقبها طعنة اخرى ثم سكون ثم اخرى ثم سكون وطعنات اخرى متوالية .

وتتقلب حميدة من الالم على فراشها الجامد وتعفر جسدها بالتبن المسوي على الفرن الذي اخمدت ناره رعشة الفجر الباردة . وتنبعث من فمها صرخة حادة فلا يجيب لها احد فتصمت . ولكن الالم يختلج ثانية في جنبها فتصرخ من جديد غاضبة وتتعالى صرخاتها :

— بت يا حفيظة ... الحقيني يا بت ... انتي فين يا مشندلة الحقيني ..

وهي تنصت فيبلغها من الخارج صوت زوجها يدمدم بالغضب وينهر الحمار « فز جوم بابن الكلب » ، وصوت ابن زوجها عمران وهو يقضم في بطء قطعة من الخبز الجاف ، وصوت طفل حفيظة وهو يبكي دون غضب وفي غير اهتمام كما هو دائبه عندما يستيقظ في الصباح ، وحفيظة تنهنهه بصوت مثقل بالنعاس .

وكان الالم الآن يغمر جسدها مرة اخرى وينتشر فيه ، بينما كانت تفكر في غضب في قطعة الخبز التي كان يقضمها عمران وتتخيله وهو يلوكها بين فكيه الخاليتين من الاسنان في بطء وقد شاع في وجهه الرضى والاستغراق فلم يلتفت الى ما يجري حوله ، فتتمتم بغضب « يعني ما حلتوش الا الاكل كده عالصبح » . ولكن الالم يلوي جسدها فتصرخ من جديد صرخة محشرجة :

— يا بت يا سخامة الطين يا حفيظة ..

وتقبل حفيظة في بطء وهي تنفض عنها النعاس وتقول :

— مالك يامه .. جالك العيا تاني ..

ولم تكد حميدة تسمع هذه الالفاظ التي قبلت في حنو ورقة وصوت ملؤه الاسترضاء حتى انفجرت فيها :

— امك ، اني امك ، لو كنت امك كنتي سالتي علي وانا عماله اموت والوجع بيجطعلي جنبي .

فانحنت عليها حميدة بصدرها المرتفع الخصب وابتسمت لها بوجه مستدير مليء وقد انفرجت شفتاها الرطبتان وقالت في نغمتها البطيئة :

— معلهش يامه ، ما هو الولد كان بيعيط وكنت برضعه ... اعملك حاجه يامه ؟

ورق قلب حميدة لصوت ابنتها الحنون العميق وتذكرت كيف تحبها وحدها دون غيرها من افراد اسرتها وكادت ان تبتسم لها حينما اندفع الالم مرة ثانية مستشريا في جسدها المتخاذل فانت والتفتت الى حفيظة بوجه مربد وقالت :

— سيباني انتي وابوك هنا عشان اموت .. وانتي يهمك ايه ما دام حداكي جوزك وعيلك في حضنك ، يهمك ايه لو كانت امك تعيش والا تموت ... اخص عليكي .. طالعه قاسية زي ابوكي .

فيحز الالم في نفس حفيظة لهذا الاتهام الظالم وتنصرف بوجهها عن امها وتقول في صوت خافت :

— بس حانعمل ايه يامه .. ابويا حيسيب الغيط لمين وانا ماني جاعده حداكي اهوه ..

ولا تجيب حميدة وتتربع حفيظة على الفرن ووجهها مطاطأ صامت ولا تسمع غير الانات تنبعث من حين لآخر فتمصمص لها حفيظة مصمصة الالم والشكوى لا تجد الكلمات .

ثم يبلغهما بكاء الطفل ينطلق في نغمة واحدة رتيبة لا تكاد تتغير كانه عبارة محفوظة يرددها تلميذ وهو لا يفقه لها معنى فتتململ حفيظة في مجلسها وتلتفت اليها امها قائلة :

— جومي شوفي العيل يا حفيظة .

ويبلغ حميدة — بينما جسدها ينتظر فيما يشبه

الشوق الطعنة التالية ـ وقع خطوات ابنتها خارجة من الغرفة فيهفو لها قلبها ثم يأتيها صوت عمران واصوات محمد وزينة اللائفة يقضمان الخبز وهو يقول لهما بصوته المتكسر « كلوه بالملح احسن » ثم بعد هنيهة في ضحكة قصيرة هادرة » ايه .. مش احسن بالملح « ثم صراخ طفل حفيظة يتضاعف ويرتجف من النهنهة ثم صوت خليفة زوج حفيظة وهو يحدثها صاخبا « ولما هي عيانة كدة متروحش الاسبتاليه ليه ؟»

وتنصرف حميدة عن كل هذا فجأة ويتيقظ جسدها لتلقي الطعنة الجديدة ولا تكاد هذه تنطلق ممزقة احشاءها حتى تتمدد على ظهرها وقد نما جسمها وانتشرت فيه نشوة خفيفة غامضة . واخذ اللفظ يتجاوب في رأسها دون عاطفة او معنى .. « الاسبتالية .. الاسبتالية .. » وقد ظلت برهة وهي تهز راسها يمينا وشمالا تردد هذه اللفظ ، حتى عادت حفيظة وتربعت الى جانبها على الفرن والطفل في حجرها وفمه على ثديها وعينيه مغلقتين وقد انحنت عليه ولمت أطراف طرحتها السوداء حوله . حينذاك التفتت اليها امها وقالت :

ـ ودوني الاسبتالية يا حفيظة

فضربت حفيظة على صدرها وقالت في جزع :

ـ ليه يامه هو انتي رخيصة لما نرميك في المستشفى

فمضت تلك بصوتها الضعيف الذي كان يفض الآن بما تحسه من الحسرة على نفسها تقول :

ـ يا حفيظة ودوني الاسبتالية .. ودوني الاسبتالية يا حفيظة ..

وكانت تردد هذه الكلمات حينما دخل خليفة فقال بصوته العالي الصلف :

ـ ايوه .. هوا دا الكلام المعقول .. امال ايه ياولاد .. تروحي الاسبتاليه يخففوكي وترجعي سليمة .

بكره يا حفيظة تاخديها مصر وتدخليها القصر .

***

وتذهب نجية تصحبها ابنتها الى القصر العيني . اما السفر في القطار والسعي في الطرقات الواسعة بسياراتها المجنونة وسكانها الصاخبين المتلئين بالمرح والحيل ومبانيها الشامخة المتحدية فلم تحس بكل هذا الا من خلف ثوب الالم الذي كان يلفها في طياته السوداء . كانت الطعنات المتتالية قد اختفت الآن وخلفت ألما انتشر في جسمها جميعا كما تمتلىء اخشاب السفينة بالماء . وكانت ـ وقد استسلمت لهذا الالم واستغرقت فيه ـ لا تحس ان ثمت شيء في الوجود عداه . فقد تضاءل العالم ولم يعد منه الا ما يسع جسدها ويحوي الآلام التي تنبعث عنه . واختفت الهموم جميعا ولم يبق سوى هذا الذي يملؤها بالخوف وصور الموت . وكان ذهن حميدة المكدود يتشقق عن هذه الصور وفي جوانحها قرة غامضة ورضاء خفي . انها ترتد بذهنها الى ما خلفته من ايام ، الى ابعد ما تستطيع ان تسترجعه ، فاذا كله كد وهم ، انتزاع لجسدها في الفجر من وسط سحب النوم البيضاء وسعي طيلة النهار بين البيت والحقل وفي غمة الهموم ، حتى تستلقي من الاعياء في الليل . وحينما ادركها المرض دافعته وناضلته عن حياتها هذه التي ـ رغم شكواها الدائمة ـ لم تستطع ان تتخيل نفسها في اطار حياة مختلفة . اما الآن وقد تمرد جسدها واستسلم فان ذهنها ايضا ليحس لذة الاستسلام ويتمرد منصرفا عن كل شيء الا ذاته .

وكانت حفيظة تسير الى جانب امها وقد تمدد بين يديها ملتفا بطرحتها السوداء طفلها الذي اثاره ضجيج القطار اول الرحلة فبكى ثم ابتسم من بين شهقاته ثم نام على نهنهة امه . وتلفتت حفيظة ـ وكانت قد بلغت الآن بامها بعد طول السؤال ـ الى بوابة القصر العيني وتقول :

ـ حانعمل ايه دلوقتي يامه .. ؟

فلا تجيبها حميدة . فهي لا تريد ان تحمل اليوم هم . عطل ذهنها عن التفكير وتمردت نفسها . لتحمل ابنتها الهم الآن ولتشقى كما شقيت هي طوال حياتها .

وتوقف حفيظة احد المارة وتسأله في استخذاء عما يجب ان تفعل لتدخل امها القصر فيدلها على المكان الذي تسجل فيه الاسماء ويردف قائلا في تشاؤم « لكن دول ما بيخدوش حد دلوقتي » . وتمضي حفيظة وقد بدا الجزع والترقب يطير بصوابها حتى تبلغ المكتب وتأخذ تشرح بالفاظ مفككة وقد غص صوتها بالاستعطاف والاستجداء ولكنها لا تكاد تفرغ من كلامها حتى يصرخ فيها الموظف قائلا :

ـ ما هي واقفه على حيلها اهوه .. ما عندناش سراير ..

وتشرع حفيظة تستجدي عطفه من جديد وتبحث عن الكلمات :

ـ معلهش يافندي .. ربنا يخليك وياخد بخاطرك ويخليلك عيالك .. النبي .. دي ولية مسكينة صاحبة عيال بقالها كتير شايفه المر من العيا ربنا ما يحكمش عليك .. يا بيه

ولكنه ينهرها في عنف ثانية ويلتفت الى غيرها . وتخرج حفيظة يحيطها الخزي والخجل وتقف مستترة الى جانب امها وقد امضها احساس العجز .

ويقفان برهة . امها في نشوة الاستسلام وحفيظة منحنية على طفلها بوجهها المستدير الحزين وقد عطل ذهنها عن التفكير . ثم يلحقهما الرجل الذي كان قد ارشد حفيظة الى المكتب اول الامر فيقول وفي صوته رنة الفوز :

ـ انا مش قلتلكم ما بيخدوش حد دلوقتي .

ثم مضى مثرثرا :

ـ اصلهم ما بيخدوش الا اللي لهم ضهر لكن ما يسألوش فى الناس الغلابة . انا لما عيت مرات خالي ما

دخلهاش الا الدكتور عبد الهادي بك .. اصله راجل طيب ويعزني بصحيح ..

ثم مال على حفيظة يسر اليها :

ـ انتو باين عليكم غلابة .. اسمعي لما اقولك على طريقة كويسة .. خللي امك تتسلبط على الارض وانتي اقعدي صوتي عليها .. يدخلوها على طول ولا تتعبي نفسك وتغلبي روحك ..

فتجيب حفيظة في خزي وهي تتعثر في اطراف الطرحة : ـ كتر خيرك يا سيدي .

وتمر فترة صمت بين المراتين تقول بعدها حفيظة :

ـ حانعمل ايه دلوقتي يامه .. ؟

فتتجه اليها حميدة وقد غشى وجهها تعبير الحسرة والحزن على نفسها : ـ صوتي علي يا حفيظة ..

ولم تفرغ من هذه الكلمات حتى استلقت على الارض وغطت وجهها بطرف طرحتها . ووقفت حفيظة برهة وقد غلب عليها الذهول ولكن الاسى لا يلبث ان يمتلكها حينما يبلغها صوت امها الضعيف قائلا « صوتي علي يا حفيظة » فتشهق بالبكاء ثم تستجمع قوتها وتشرع تصرخ وتولول وقد انتفض جسمها واستيقظ ونادى بالمزيد من هذا النداء الصارخ الشاكي . ويستيقظ الطفل فيفتح عينيه برهة ويختلج وجهه ثم يأخذ في بكاء عنيف وهو يدفع برجليه ويديه في الهواء وقد تقلص وجهه الصغير واغلقت عيناه .

ويجتمع المارة حول المراتين وتتعالى اصوات التساؤل والتبرع والاجابة . وينصرف البعض بعد برهة ويظل قليلون . ثم يقبل الشرطي يستفسر ويتأمل بعينين جامدتين ثم يدعو بعض الواقفين للتعاون على حملها . فتحمل الى داخل القصر وحفيظة وراءها وقد خفت صوتها الآن ولم تبق غير شهقات البكاء وتمتمتها « سلامتك يامه » ترتفع بين حين وآخر .

ويشرح الشرطي للموظف الحادث فينظر هذا بعينين مستريبتين الى حفيظة فتطأطأ راسها . ثم يسألها عن اسم امها ومرضها فتجيب بما تعرف . فيأمر بنقل امها الى الداخل . فاذا ما ارادت حفيظة ان تتبعها منعها ونهرها وامرها بالخروج . وتستعطف حفيظة فلا يجدي استعطافها فتمضي خارجة في خطوات بطيئة ثم تمشي في الطريق وقد انطمس في راسها كل شيء ولم يبق الا احساس العجز ، العجز الهائل والضعف الطاغي .

ويصعد التعب الى جسمها فتجلس على الارض متربعة وتأخذ طفلها الى حضنها الدافىء وتحكم اطراف الطرحة حوله وتستند براسها الى حجارة السور الذي ترقد امها من خلفه في احدى هذه المباني البيضاء الموحشة وتغمض عينيها وتسعى ان تجد بين ثنايا ذهنها ما يرشدها الى ما تستطيع ان تفعله الآن بنفسها واين تمضي فلا تعثر على اجابة ما . فتحس بالغضب ، الغضب على كل شيء وكل انسان وخاصة زوجها الذي كانت تراه الآن بوجهه العريض الطلق وضحكته العالية وقد عاد من دورته في البلدة يحمل امواسه وصابونه ثم يجلس الى العشاء دون ان يفتقدها . ولعله يقوم بعدها ليلعب مع حسنة اختها الصغيرة . كم يحب حسنة ! ليخيل اليها احيانا انه يفضلها عليها وعلى طفلها المسكين هذا . انها تبغضه وتود لو تستطيع ان تنزل به في هذه اللحظة من الالم مثل هذا الذي يطبق عليها ويأخذ بخناقها . وتغصها الحسرة ولكنها لا تلبث حتى ترى نفسها تفكر في غير سبب في حسين ابن العبدة الذي ابتسم لها مرة وهو يركب دراجته على الطريق الزراعي . انه يدرس الآن هنا في القاهرة ويلبس مثل الافندية ويحيا حياتهم المترفة الناعمة التي ترتفع عن هذا القبح وهذا البغض . نعم لماذا لا تذهب اليه الليلة . تذهب اليه وتسأله ماذا تستطيع ان تفعل وربما دعاها الى قضاء الليلة في بيته . ويحمر وجهها متضرجا بالخجل والنشوة . وهي تسترسل في احلامها وترى نفسها وهي تدق على بابه وهو يفتح لها ويستقبلها هاشا باسما وهي تنظر الى الارض مبتسمة خجلى ثم حين يهيأ لها الطعام اللذيذ المتنوع الالوان على المائدة العالية . ثم طعم الفراش اللين الدافىء .. وهي في احلامها السعيدة هذه اذ يتطرق النوم اليها ويصعد من اطراف جسمها المنهكة الباردة بطيئا عذبا فتستسلم له وقد مالت براسها على طفلها واحتوته بجسمها كله .

القاهرة — ابراهيم شكرالله

الشاعر الثائر : كامل أمين

بقلم محمد عبد المنعم خفاجي
استاذ في كلية اللغة العربية بالقاهرة



في يوليو عام ١٩٤٧ ظهر ديوان جديد من الشعر الوجداني المؤثر يحمل اسم « نشيد الخلود » لشاعر من شعراء الشباب اسمه « كامل امين » وقد لقي الديوان الكثير من تقدير الشباب والقراء ، ولكن ادباؤنا ونقادنا صمتوا ولم يستقبلوا الديوان الجديد بكلمة او نقد ، وفي الحق ان ادباء البلاد العربية اولوا الديوان عناية كبيرة وعرفوا صاحبه الشاعر واخذوا يولون أدب كامل امين نصيبا كبيرا من عنايتهم واهتمامهم ، فكتب الي اديب عربي كبير يقول : « .. عثرت في بعض المكتبات على ديوان كامل أمين ، وكنت اطلع على الوان من الشعر في جريدة النداء وقرات الديوان فاعجبت بهذا الشاعر الموهوب ، وحاولت ان التقي به حين زرت القاهرة فلم يتح لي حظي ذلك مما كان مبعث تأثري وهل توجد قطعة او قصيدة اروع من قصيدته « ملحمة ليالي الشتاء » تلك القصيدة الانسانية العظيمة ، التي تعتبر درة في الشعر الحديث ، وفي مصر شعراء كثيرون مبدعون، وقليل منهم من يبدع ابداع «كامل امين».

هذا هو الشاعر كما يراه ادباء العروبة الكبار في خارج مصر ، واذا ما سألنا كبار ادبائنا عن الشاعر او عن « نشيد الخلود » . هل يعرفونه ؟.. وهل قراوه ؟ رجع صدى الجواب بين لا او نعم .

يتميز كامل امين بين شعراء الشباب ، بواقعية مؤثرة ، وموهبة شعرية عميقة . يغذيها الالم والدموع وتصهرها ثورة الشباب وطموحه ، ويؤجج ضرامها عاطفة متقدة الاحزان والاشجان ، وعلى الفاظ الشاعر واساليبه مسحة من القوة والجزالة ، وفي معانيه كثير من الاستقصاء والبحث والتحليل والتفصيل والتسلسل الفكري ، وهو حين ينظم الشعر يذكر حظه العاثر وجده النائم ، فيثور ويملؤ الدنيا ثورة ويسخط على الحياة ، والاحياء ، حتى لكأنه ليس في الحياة ولا من الاحياء ، بل كثيرا ما يذكر نفسه قد مات واصبح ذكرى في افواه الناس ، وعواطف يثيرها شعره وقصيده .

وشاعرية كامل امين تستمد شعلتها من الالم ، الالم المحصن العميق ، الالم من حظه في الحياة ، وبؤسه في العيش ، ثم من الطموح ، هذا الطموح الذي يدفعه الى النضال ، والكفاح من اجل فكرة الحياة نفسها كما يقول الشاعر :

فموت المقامر ان يستقر   وموت الاماني ان لا تنال
ولو شمر المرء عن ساعديه   ونال من شدوق الصلال
أحس بان العلا في الكفاح   وان الحقيقة غير الخيال
فنحن اذاً من كسبنا الحياة   اذا صح ان الحياة النضال

ويقول الشاعر كذلك في صدق وبساطة واخلاص يصور هذا الطموح الذي اضناه ، ورغبة الكفاح التي ارهقته وذلك من قصيدته « ليالي الشتاء » :

وكان أبي تاجرا كالتجار   يحب ازدياد الذي في يديه
فقال : استقر وخذ ما لدي   وتاجر.. فلم يرضني ما لديه
فقدكان يجذب قلبي الطموح   فسافرت للمجد اسعى اليه
فما كان يحزنني أن أعيش   وحيدا غريبا كحزني عليه
ولكنه كان يلجا الجواد   ليعدو الجواد على ركبتيه

ثم يصور كذلك حظه العاثر من الحياة في قصيدته « ليلة العيد » فيقول :

عرفت حظي من الدنيا فلا أمل   ان اصلح اللوح اوامحوالذي كتبا
لسوف أحيا غريبا ما حييت ولن   اموت الا كما قد عشت مغتربا
من يلمس الموت يشعر بالحياة ومن   يرد حياة يخص من أجلها العطبا
وما اضطررت لها حبا ولا أملا   وانما يركب المضطر ما صعبا

ويقول كذلك في قصيدته « من القلب » :

لا تقولي كيف تحيا في حياة من حمام
انا من ابصر جو العيش كالهزل فنام
حالما واطرح الدنيا لتمضي بسلام
خلنا من ضجة الكون ومن هزل الانام
قصة قد مثلتها الناس والموت الختام
فسواء عشت عاما بينها ام الف عام
حسب نفسي ان أرى نفسي حيا في المنام
خلنا من ذكر أيام كاحلام السبات
عمرها ولى وعاشت في جحيم الذكريات
انا فيها مت كالتاريخ حيا في الرواة
خلنا منها وهات لي الكؤوس المترعات
ان يوما يسعد النفس بايام الحياة ...

وفي ديوان الشاعر ملحمتان طويلتان : اولاهما ملحمته او قصيدته الرائعة « جحيم الشاعر » يتصور فيها الشاعر نفسه قد مات ويحدث الذين يرونه ذكرى وطيفا وشاعرا يقراون ادبه ، حديثا يوضح فيه فلسفته وآراءه في الحياة وشقاءه بها وتنتهي بالشاعر فلسفته في هذه القصيدة الى تصديق الحس والايمان بالحقيقة الكبرى ، فيقول :

الحياة . الحياة يا نظرة الشـك   املي في كل حسي اراهـا
فعلى العين من دموعي وجـودي   وعلى الاذن من انيني صداهـا
وعلى مـا ارى سواء أحاسيس   وسيان ذكرياتي دجـاه

ثم يقول في نفس اللهجة :

أبهذا الصديق يا قارئي الان ويا زائري عـلى ذكرياتي
أنت ضيفي نزلت معناي في الشعـر فروحي تراك في ابياتي
لا تقل أنني بهـا مت فالموت بمعناه نفي معنى الحيـاة
لو تقيس الحياة بالجسم والحجم لما قستها بغير الرفـات
انهـا فكرة السماء على الارض ومعنى الاله في كـل ذات
سمها الروح . سمها الجوهر الفرد وصف كنهها بشتى الصفات
ولتكن ذرة فمـا الشمس والارض سوى عالـم مـن الذرات

الى ان يقول في فلسفة الخير والشر في نفس الملحمة على لسان الشيطان وهو يقهقه :

اي خير من الشقاء يرجى ؟ اي شر مـن السعـادة يخشى ؟
اي حب يعيش في الفقر والـذل ويبغي على الخوافق عرشا ؟
ما هو الخير ؟ ما هو الشر ؟ ما الحب وما البغض مستنيرا واعشى ؟
ولماذا أديل في العالم الخـير ؟ لماذا ؟ وكل شر تفشى......؟
ألان القـوي يبغي ويلقى ؟ أم لان الضعيف يرجو ويخشى ؟
ليس في العيش لا من الخير والشر سوى غاية لتكفل عيشـا
أتعس الناس تبذر الشر في الارض وتجني بـه خداعـا وغشـا
واسعد الناس تبذر الخير في الارض وتجني به الزمـان موشى

ثم تنتهي به فلسفته الى الايمان المطلق وتقديس رب القوى والحياة فيقول :

انت كل القوى فليس على الكون سوى كـل ما بنورك اشرق

وهو يؤمن بالحياة وباستمرارها الا اذا تحطمت ذراتها بعضها ببعض :

سوف تبقى مع الحطام وان قيـل تلاشى من الثرى وتعـدم
لن يموت الوجود الا اذا قيـل تحطم بذرة ... تتحطـم
أين كان الظلام في مسرب الغيب وكان الضياء والكـون مغلـق
كان كالحلم سابحـا في رؤى العين ترى ما تراه والجفن مطبق
فاذا صح انني اليـوم حيٌ في حياتي فـذاك حلم تحقـق
واذا صح ان في الموت بعثي مثلمـا كنت طائر الروح مطلـق
فأنا اليوم لم ازل في دجى الغيب الى ان اموت يوما فاخـلـق
رب ماذا أقول ؟ استغفرالله . انـا كاذب . وانـك اصـدق
أنت كل القوى فليس على الكـون سوى كـل ما بنورك اشرق

ثم ينتهي به تفكيره الى الايمان المطلق والاعتقاد بان الانسان يجب ان يدفن آلامه ويعيش سعيدا ، بالحب والحب وحده هو الذي يمكنه ان يخلق لصاحبه هـذه السعادة :

أنت يا آدمي قـد جئت للارض لتحيا عـلى الحيـاة سعيدا
فاغتنم العيش في الجمـال وبدل كل يوم عليـه ثوبـا جديـدا

ويصور ذلك ايضا في قصيدته « فلسفة » :

رؤيا تنام بها حياتي ان صحوت وان غفوت صحت بهـا احلامي
واعيش في غير الزمـان بخاطري في غير أرضي . في سوى أيامي
ذهبت بحكمتنا العيون فبرهنت ان العلوم حظائـر الاوهـام
فطويت اوراقي وقلت . هنا الهوى في الحب . لا في الكتب والاقلام

اما الملحمة الثانية فهي كملحمة « ذكريات ليـالي الشتاء» يصف فيها الشاعر ذكريات حب مات على كفيه ، وقصة روح ودعه الى الابد في موكب من مواكب الحياة او كما يقول الشاعر نفسه في نهايتها :

وماتت على قبلتي في العناق   فمات على شفتينا الامـل
وسجيتها آه .. بين الدموع   ووسدتها آه .. بـين المقل
وفي عصر يوم كئيب السمـاء   سخي البكاء بدمـع المطـر
مشى موكب في رذاذ الشتـاء   تحاشى الورى واتقى من سخر
انا والرفـات وحمالهـا   وحفار مرقدها والذكـر
انا والرفـات وحمالهـا   فكنا الهوى والردى والقدر
قطعنا الطريق وكان الطريق   نهايـة كل سبـاق البشر

والملحمة الشعرية فكرة قديمة في الشعر العربـي ولكن الملاحم الوجدانية خاصة لم يكن لاحد الفضل فيهـا كله الا للشاعر الكبير الدكتور « ابراهيم ناجي » وكذلـك الشاعر الشاب « كامل امين » وهو من تلاميذ ناجي في بعض شعره وصوره ولكامل امين ملحمة ثالثة نظمهـا بعد ظهور ديوانه وسماها « ملحمة السموات السبع » وهي ملحمة جديدة ليست وجدانية ولكنها تطوف في ذكريات الماضي البعيد وواقع الحاضر الاليم .

واذا تركنا هذا كله ، وعدنا الى قصائد الشاعر في ديوانه ، وجدنا مسحة الالم تغلب عليها بل تظهر حتى في العناوين التي اختارها الشاعر اسماء لقصائده ، مثل : « جحيم الشاعر » « على طلولي » « وداع الشاعر » « انة جريح » « كانوا هنا » « مأتم العبقرية » « مذبحة المجد » « ارواح مشردة » « وذكريات ليالي الشتاء » .

وقد نشأ الشاعر في « طنطا » وفقد عطف امه ولم يجد من زوج ابيه نصيبا من الرعاية ، وكان والده يملك محلا لبيع اللوحات الزيتية ، فورث الشاعر حب الفـن وتذوقه ، والاعجاب بالصور ومحاولة الرسم ، وتلقـى ثقافته في مدرسة « الفرير » ثم في مدرسة ثانوية ، التحق بها ، ثم في مدارس الجيش التي التحق بها متطوعا ومن بينها « مدرسة المدفعية » .

ثم التحق بعد ذلك في « كلية الحقوق » بجامعـة « عين شمس » التي أخذ يدرس فيها القانون اخـيرا ، ونضجت تجاربه في الحياة التي يحياها ، وخاصة فـي الحياة العسكرية التي عاشها في الميدان خلال الحـرب

العالمية الثانية ، وخلال حرب فلسطين التي تطوع فيها ، وشاهد معاركها الدامية وانتهت حرب فلسطين عام ١٩٤٧ وعاد الشاعر من الميدان جريحا مريضا عاطلا لا يملك شيئا من حطام الحياة وذهب الشاعر الى « ابراهيم ناجي » وطرق باب منزله في مصر الجديدة ودخل يجر رجليه جرا ، فدهش ناجي ، وكان يظن ان الشاعر استشهد في الميدان وهاله نحوله وجراحه وراسه التي اشتعلت شيبا على حين فجأة ثم ادخله ناجي المستشفى الذي كان مديرا له للعلاج واستمر شهورا تحت رحمة الاطباء ، ثم خرج ليبحث عن عمل ، حتى وجد عملا صغيرا في احد دواوين الحكومة فالتحق به ، ولا يزال فيه ، هذه قصة حياة الشاعر من بدئها لختامها ، وهي قصة لذكرياتها واشجانها اثر كبير في شعره وشاعريته ، ونكاد نجد في ديوانه صورة كاملة لهذه الحياة الشقية المعذبة ، التي يتعرض لمثلها اليوم كثير من الشباب عامة ، وادباء الشباب خاصة .

اما قصة حياة الشاعر الفنية فتبدأ من بدء ايامه التي قضاها في التعليم الثانوي حيث يلازم قراءة المجلات الادبية وكتب الادب العربي ويدرس آثار الشعراء العرب ، ويتتلمذ على شعر ابن الرومي وابي تمام والمتنبي وشوقي وقد اعجب كل الاعجاب بشعر المتنبي واستمد منه قوة الاسلوب ، ومتانته ، وتصور شعوره بالعبقرية والموهبة ، واعتزازه بنفسه وادبه واقرأ « لكامل امين » هذه الابيات التي صدر بها ديوانه :

الى الذين سمائي فوق عالمهم ... وفوق كل عظيم فوقهم قدمي
العائشين مع الموتى مناصفة ... كالحلم في العين بل كالدود في الرمم
لئن حييت ومد الله في أجلي ... لاسفكن دم الكتاب في قلمي
واصرعن انوفا لو صنعت لها ... انفا من العاج بعد اليوم لم تقم
ممن أخاف وسيف الله في قلمي ... ومن أهاب وصوت الحق ملؤ فمي

ويكرر ذلك في قصيدته « فاتحه » التي يقول فيها متحدثا عن شعره :

واذا سمعت الان صوتي فارتقب ... فجر القريض فان ذاك اذاني
دع كل ما غنى البيان به فما ... سحر سيبقى بعد سحر بياني

وفي هذا كله روح التأثر بالمتنبي واضحة ويبدو اثر المتنبي في شعره كذلك في قصيدة كاملة من قصائد ديوانه عنوانها « ليلة العيد » يقول فيها :

ادر طلاك . ادرها من معتقة ... ذكرت في لونها من بؤسي الذهب
ان الزمان يهودي فما منحت ... يداه شيئا لانسان بغير ربا

والقصيدة في جملتها تأثر جميل بقصيدة المتنبي :

عيد بأية حال عدت يا عيد ... بما مضى ام لامر فيك تجديد

كما يبدو أثر شوقي واضحا في قصيدته « امجاد » التي يقول في مطلعها :

اقتلت خدك واستبحت جراحي ... ماذا بخدك هل دمي ام راحي
يا للرجال لقلة سفكت دمي ... سفكا بغير جريرة وجناح

ويقول منها :

فانا ربيب المدفعية والهوى ... وفتى القتال وطائر الادواح
وانا الذي لم تثنني كأسي الطلي ... مجدي ولا خود الظباء كفاحي

ويقول منها :

يامصريا وطني الحبيب وفي دمي ... لك ضنىء كل كريمة نضاح
لولاك ما غربت اقلامي على ... خط القتال ولا حملت سلاحي
غربت فيك وانت اول موطن ... يقري الغريب فكيف ضقت بساحي

ويطول بنا الحديث لو حاولنا الحديث عن شعر كامل امين وخصائصه الفنية وذكر نماذج من شعره من ديوانه، وشعره بعد ظهور الديوان ، ولا اترك القلم دون ان اسجل اعجابي بموهبة الشاعر الفنية وبصوره الشعرية الكثيرة التي تنطق عن ملكة شاعره ، وذهن خصب يتوهج فيه نور الفن وذكاؤه وعبقريته وهاتان صورتان من الصور الكثيرة التي اشتمل عليها الديوان . يقول الشاعر من ملحمته « ذكريات ليالي الشتاء » يخاطب حبيبته :

خذي هذه الكاس ، لا ، كيف ، لا ... وقد كان دابك ان تشربي
الا تضحكين ، الا تلعبين ؟ ... اغضبي ؟ بربك لا تغضبي
فمرت بكفي على صدرها ... وقالت . تذكرت . أمي . أبي
فمددتها وهي مصغرة ... كما تخفق الشمس في المغرب

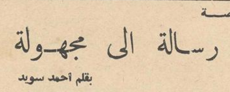
واختم هذه الكلمة بهذه الابيات للشاعر من ديوانه في قصيدته « اصنام » :

شردت عمري واحتسيت شقائي ... وظمئت للدنيا وجدت بمائي
وملأت شعري بالبكاء فلا بكى ... احد علي ولا سلوت بكائي
ما أرحب الدنيا بما يرجو الفتى ... فيها واضيقها بغير رجاء
والناس في وادي الحياة مواهب ... جمعت على السراء والضراء
الفرد يعمل في الجماعة والجماعة ... في التضافر أس كل بناء
ولكل انسان يعيش خطيئة ... ومن الذي يحيا بلا اخطاء
نفسي اخذت من الخلود لحونه ... ومواهبي صدرت عن العلياء

القاهرة

محمد عبد المنعم خفاجي





قصة

رسالة الى مجهولة

بقلم أحمد سويد
من رابطة الكتاب العرب

وقلتِ « نذل » وانت (١) تدفعينني باشمئزاز وقهقه الذئب المنتصر الذي كان يعوي فيَّ حين انكببت على مكتبي تغسلين زجاجه بالدموع .

ولمت ليراتي العشر باطراف اصابعك كأنما تجمعت قذاراتي كلها في هذه الوريقات ، وحدجتني بحقد اللبوءة المغلوبة على امرها ، وصحت باصقة في وجهي : « نذل » .

لقد جئتني تطلبين عملا في معملي الواسع للنسيج وكانت الف مأساة ومأساة تطل من عينيك الفاحمتين اللتين رطبتهما دموع الابتهال . وكنت نذلا حقا فافهمتك باسلوبي الخاص وبعد مقدمات طويلة ، ان ذلك ممكن فيما اذا دفعت الثمن ، وحاولت بلؤم ان ادخل في روعك ان الاخريات اللاتي حظين – من قبل – بالقبول ، دفعن هذا الثمن صاغرات .

وانتفض جسدك الرخامي تحت اسماله ، وعركت يداك المضيئتان منديلك الاصفر بحنق مزلزل ، وهم حذاؤك الاسود بتأدية مهمته التي تقتضيها الكرامة ، ولكن مآسيك عادت تطل من عينيك الفاحمتين طاغية ساحقة ، فنشجت بمرارة لم تلن قلبي ثم استسلمت يائسة للذئب القابع فيَّ .

وكنت نذلا مرة ثانية ، فتصنعت الاسف وانا القي اليك بليراتي العشر الدنسات وافهمك بكبرياء اللئيم ان ليس لك من مكان في معملي .

ومسحت بمنديلي المعطر كتلة البصاق التي تناثرت على وجهي ، واستقر بعضها على شاربي الانيقين ، ووقفت في نافذتي بزهو القائد الذي ربح المعركة ، وقفت اراقبك وانت تتساحبين كالطعين في الشارع الطويل المظلم ، حتى اذا غيبك المنعطف هرعت الى « مذكرتي » لاسجل كعادتي ذكرى انتصاري الجديد ، ولاضيف الى مآثري الغراء مأثرة جديدة . تلك هواية من هواياتي الغريبة ، هواياتي انا الشاب الفاسق الذي ورث مع الثروة ، الشذوذ وحب الاثم وهوى الرذيلة .

وطاب لي ان امعن في اذلالك... لن اقول لماذا لان اولاد الذوات مثلي لا يسألون تعليلا لتصرفاتهم ، فامتطيت سيارتي وانطلقت في اثرك ، فادركتك امام صيدلية في حي « الفرنج »... دخلتها ، ثم خرجت بعد دقائق وقد تشبثت يداك ، كلتاهما ، بزجاجة دواء لاحظت ان حرصك عليها يفوق حرص البخيل على كنزه ، والجبان على حياته .

وصفرت لك ، وتنحنحت كما يفعل السفلة وكدت الامس بسيارتي اطراف ثوبك ، فرفعت الي عينيك وقد تجمعت في بريقهما كل معاني الازدراء ، وهمست جوابا على ابتسامتي الذئبية اللئيمة : « نذل » .

ولم تري النذل بعد ذلك وهو يتسلل بين الاكواخ الحقيرة القائمة في طرف المدينة... لم تشعري به وهو يتتبع خطاك ويراك ، وانت تركعين امام سرير منخفض ، في غرفة كل ما فيها يشير الى ان البؤس والمرض هما بعض ضيوفها الثقلاء الدائمين .

وتحرك في السرير هيكل عظمي منخور ، ولاح في ظل السراج اللاهث وجه اخيك يبتسم لكِ بامتنان ، وانت تجرعينه الدواء وتزرعين في حقل نفسه الجديب ، التفاؤل والامل ، وتستنبتين على شفتيه اليابستين ظل بسمة مخضرة ، وتجهدين في اقناعه ان الحياة تنتظره وراء باب الكوخ لتهبه النشاط والقدر والقدرة ، والكثير الكثير من نعمها ومباهجها .

وكنت ما تزالين راكعة حين اقتلعني من مكاني شعور صخاب ، هو مزيج من الغليان والقرف وساقني هذا الشعور نحو سيارتي النعس الملول التي كانت تنتظرني في احدى زوايا الطريق .

لِمَ اكذب ؟ لم لا اقول ان الوحش الكامن فيَّ كان يرى نفسه فوق كل ضعف بشري ، وانه كان من اجل ذلك لا يعرف الرحمة .

لقد اشتهيت ان يختطف الموت اخاك في تلك الليلة ، وان تقتلع عاصفة سكيرة كوخكما الحقير ، وكل ما في الارض من اكواخ . بل اشتهيت ان يقسو الموت فلا يمن على مريضك بنعمة الراحة وان تقسو الحياة فلا تخلع عليه برد العافية ، وان يظل كوخك موطن البؤس وكهف الحقارة ، ليظل لي شعوري المتكبر باني فوق الضعف ، واننا نحن الاثرياء من طينة غير طينتكم ، واننا اقداركم التي تتحكم بحاضركم وآتيكم بجماع مصائركم ... ولاستمتع فوق ذلك بلذة هي من اشهى لذائذي فاراك وامثالك راكعات عند قدمي كما لو كنت الاها معبودا او ظل آله .

ومرت ايام فنسيت ملامحك ، نسيتها كلها ، وظلت في ذهني عيناك الغاضبتان تشتعلان حقدا وظل في سمعي صدى صوتك الهامس الهادر : «نذل» .

ولم لا اعترف ان جرس هذه اللفظة كان يدخل النشوة الى قلبي ؟ فهي ادعى لفخري من وسام رفيع يزين صدري ، او ملحمة اطراء اخلد من معلقة يصوغها في تمجيدي شاعر عبقري .

انها ايماءة التعبير الى فوقيتي ، الى سلطاني المذل

(١) من مجموعة « المعذرة من الشمس » التي ستصدر قريبا .

القاهر ، الى انسحاق الاخرين في ارادتي وتلاشيهم فيّ .

***

ومر عامان... وابت النار واختها الرذيلة الا ان تذلا هذا الطاغوث.. الذي هو انا فشبت الاولى في معاملي واتت على كل شيء ، حتى على كبريائي . والتهمت الثانية كل ما في خزائني وفتحت عيني ذات صباح فاذا انا واحد كسائر الناس .. كأحد هؤلاء الذين يدبون حوالي كالنمل .

لم اعد ذلك العجل الذهبي الذي اذا نطق كان نطقه خوار شهوة ، ولم يعد راسي مصدر قلق لنجوم السماء الامنة في ابراجها ، وخيل الي ان كينونتي قد تعرضت لتبدل شامل فانا لم اعد فوق الضعف البشري ، بل اضحيت مخلوقا ضعيفا اشعر بحاجتي الى اخواني .

واكتسبت يميني عادة جديدة .. فلقد صارت ترتفع بالتحية للناس ، وعرفت البسمة الرقيقة طريقها الى شفتي وادركت لاول مرة ان النذل الذي كنته بالامس كان شيئا رهيبا حقا ، واني نضوته كما تنضو البزاقة صدفتها .

نذل... ما اسمج هذه اللفظة في سمعي الان . انها لم تعد ايماءة التعبير الى فوقيتي .. الى سلطاني المذل القاهر ، الى انسحاق الاخرين في ارادتي وتلاشيهم فيّ . بل اضحت صفعة الفضيلة لوجهي .

اجل ... الفضيلة ؟ هذه الكلمة التي اكتشفها حديثا ولم اك اعلم من قبل انها من محتويات القاموس ، وانها جزء من كرامة الانسان ؟

لقد حاولت ان انسى ماضي بكل تفاصيله ... لانسجم مع الانسان الجديد الذي صرته ... وكدت انجح في ذلك ... لولا ان عينيك الغاضبتين ما فتأة تحرجانني من خلال الركام ... ولفظة نذل يتهدج بها صوتك الهامس الهادر .. ما فتئت تسحق رجولتي بلا شفقة . وبصاقك ما فتيء رطبا يبلل وجهي وشاربي .

لقد حججت مساء امس الى كوخك ... فاذا به مظلم كعيني الضرير ، مقفر كالقبر المهجور ، وتمثلت لي راكعة امام السرير ... وفي ظل السراج اللاهث اعياء ، يلوح وجه اخيك ، يبسم لك بامتنان وانت تجرعينه الدواء ، وتزرعين في حقل نفسه الجديب التفاؤل والامل ، وتذكرت شعور القرف والملل والغثيان الذي انتابني عفو الحق ، بل انتاب النذل الذي كنته يومذاك ، وتذكرت كيف اشتهى ذلك النذل الذي كنته ، الموت لاخيك ، والعاصفة لكوخك ولكل ما تحمل الارض من اكواخ .

تذكرت كل ذلك فهويت الى الارض راكعا ، وتمنيت لو كنت امامي لابذل الكفارة : لاغسل قدميك بدموع التوبة ، ثم انثني فاطرح برد شبابي على عظام اخيك المقرورة الراقدة في السرير المقرور ... ولكن رائحة النأي كانت تفح من كوخك ، وحس الفراغ كان ينسرب الي من صمت الجدران .

من يدري ... قد يكون اخوك الآن ترابا ... او لا يكون ، وانت ، من يدري اين انت ؟ ومن يحمل اليك اني كنت ان عينيك ما برحتا تلاحقانني كعين قايين . وان كلمة نذل التي لفظتها شفتاك يوما ستظل السوط الذي يلسع ظهري ، وبصاقك سيظل رطبا يبلل وجهي وشاربي ...

الى ان تنفرج شفتاك ... عن كلمة الغفران .

احمد سويد

الطفل الوحيد

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي نفساني

*

يفضل اغلب الازواج في عصرنا الحديث الاقتصار على طفل واحد . وهذه الطريقة مريحة للازواج وقد تكون مفيدة للطفل ان راعينا بعض الظروف الخاصة بتربية الطفل الوحيد وفي مثل هذه الحالات تظهر فائدة علم النفس وخدماته الواسعة النطاق . يمكن لعلم النفس ان يتنبأ عن الجو العاطفي الذي يحيط بكل طفل وحيد : يندفع الابوان في تقديس طفلهما الوحيد ويوجهان كل حبهما له لدرجة اهمال حبهما الزوجي المتبادل كما ان عناية الام تزيد عن الحد لدرجة تشل حركة الطفل وتعرضه للضعف بكثرة المحافظة عليه . يستغل الطفل الوحيد عطف والديه استغلالا زائدا عن الحد ويتعود اخضاعهما لكل رغباته ويكون عنده هذا الخضوع فكرة خاطئة عن معاملة الناس ، ويميل الى ان يعامل في خارج المنزل بمثل المعاملة التي يعامل بها في الداخل . ومن هنا يبدأ صراع عنيف بينه وبين المجتمع : يريد السيطرة المطلقة في كل الاوساط وفشله يعرضه الى الم نفسي يدفعه الى التنفيس في المنزل ، ويقف في بعض الاحيان مواقف انفعالية شديدة قريبة من الانتقام .

هذا ما يحدث عادة في كل الاسر على اختلاف اجناسها ومواطنها عندما ينفرد الطفل بمكانته محتكرا عطف والديه . وكثيرا ما يلجأ الاهل الى العالم النفسي سائلين عن حل مشكلة تفاقمت آثارها . واعترف ان الحل يكون

صعبا بعدما يصير الطفل بالغا وتنمو شخصيته منحرفة انحرافا ثابتا . وقبل ان اشير الى ما يجب اتخاذه في الطفولة من احتياطات يراها البعض مستحيلة اقدم صورة لما يصل اليه الطفل الوحيد من انحراف خطير وما يطلبه الاهل من العالم النفسي ان يقوم به لينقذهم وينقذ الطفل .

جاء اب يشكو من سلوك ابنه في المنزل والمدرسة والشارع ، لقد بدأت المشكلة بالحاح زائد من الطفل في طلب المال وكان الوالد مدفوعا تحت تأثير عاطفي الى تلبية كل مطالبه فكان يقدم لابنه كل ما يطلبه ، واستطاع الطفل ان ينتصر بسهولة على والده في الحصول على المال أولا وفي طرق استعماله ثانيا فاسرف الطفل في التدخين وجمع حوله جماعة من الطفيليين علموه في وقت مبكر الاتصال بالنساء واستطاع الطفل ان يضع يده على عجلة القيادة واحتكر سيارة والده . وكان كل انتصار يدفعه الى تقديم مطالب اخرى اصعب في التنفيذ . وعندما كانت طلباته ترفض بدأ يستعمل القوة تارة والمكر تارة ثانية ليصل الى تحقيق رغبات لا فائدة منها ، وانما كانت رغبته الحقيقية هي الانتصار .

وهنا نلاحظ كيف ينتقل الانسان من شذوذ بسيط في السلوك ناتج عن رغبة التمتع بالعطف والتشبث بمعاملة الطفولة الى سلوك خطير يعرض الشخصية كلها للتدهور . فعندما كان الطفل يشعر بضرورة الخضوع للمدرس في الفصل كان يتعرض الى ضيق زائد ويفر من المدرسة ويكثر من الغياب ، وعندما كان يحضر الدرس فانه يأتي مزودا بمبالغ كبيرة من النقود ليعرضها على مكتبة المدرس . وفي المنزل يقوم بسلوك غريب قلما تجده في اي مجتمع من المجتمعات مهما كانت حضارته بدائية : تراه احيانا يخرج عاريا من الحمام ولا يبالي ان كان هناك ضيوف من الجنسين ، بل يقف أحيانا ويريد الاسترسال في الحديث ، وعندما يلام يرد قائلا : الم اكن افعل هذا وانا صغير فلم لا افعله وانا كبير . وكأنه لا يعترف بكبره ويريد التشبث بطور الطفولة . وعندما تعارض رغباته ولا تنفذ يصل به الامر الى كسر الاشياء النفيسة .

ومما يثبت أنه يريد الانتصار متصورا نفسه في معركة نراه يضع السيارة تحت حراسة شخص ثم يأتي هو نفسه فينتزع بعض الادوات ليطالب بها الحارس . وادت به هذه الاعمال الشاذة والمواقف الغريبة الى مستشفى للامراض العقلية حيث كان يقوم ايضا ببعض اعمال المكر القوية ، ورفضه المستشفى ولم يستطع اي معالج مباشرة شؤونه لانه كان يؤذي المعالجين بالضرب والشتم . واحتار اهله امام هذا الموقف وادركوا ان ابنهم مهدد بالوصول الى عذاب اكيد .

هذه حالة خطيرة من حالات الطفل الوحيد وغيرها كثير ، فان كان الطفل الوحيد لا يصل دائما الى مثل هذه الحالة من الخطورة فانه يتعرض الى اضطرابات اخرى لا تقل عنها في التعقيد لاننا نشاهد اغلب الاشخاص الذين عاشوا في طفولتهم منفردين دون ان يكون هناك من يشاركهم في عطف أهليهم يفشلون في حياتهم الزوجية . فالشخص الذي يكون طفلا وحيدا يتعود خضوع اهله له ، ولا يكون قادرا على بذل مجهود للحصول على عطف الآخرين وبهذه الطريقة فانه في حياته الزوجية لا يقوم بما يطلب منه عادة من مواقف تبادل العطف ويكون دائما في حالة طلب بصورة تكشف عن انانية منفرة . ويؤدي هذا السلوك الى نفور من الطرف الثاني .

هذا ما يمكنه ان يحدث عن تدليل الطفل الوحيد وكما انه يكون من الصعب على المحلل ان يجد حلا لكل مشكلات السلوك بعد البلوغ فانه يكون هناك بعض من الصعوبة في ضبط عواطف الاهل ليكفوا عن التدليل الزائد عن الحد . واعتقد ان الذين يفسدون الطفل الوحيد هم الاهل الذين حاباهم الحظ بيسر في المادة يساعدهم على الخضوع لكل نزوات الطفل . ويا حبذا لو استعمل هؤلاء مالهم لادخال طفلهم الوحيد – بعد سن السادسة – في مدرسة داخلية ليعيش في جو يسوده التساوي في المعاملة ، لانه يكاد يكون من العبث ان نطلب من الاهل الذين توفرت اموالهم ان يكفوا عن تلبية كل مطالب الطفل . وأما حالة الطفل الوحيد في البيئات الفقيرة فهي نادرة ، ان نلاحظ كثرة الاطفال في الاسر الفقيرة ، وفي حالة وجود طفل وحيد في اسرة فقيرة فان الفقر كاف ليحد من الطغيان العاطفي عند الاهل ومن الاسراف والتكبر عند الطفل بعد بلوغه . فالفساد النفسي الناتج عن موضوع بحثنا هذا لا تتوفر شروطه الا في الطبقات الغنية . ويمكن لهؤلاء بشيء من التضحية العاطفية ان ينقذوا حياة طفلهم وان يتجنبوا اعوص المشكلات الاجتماعية فيما بعد .

وهناك توجيهات عامة تشمل كل الاطفال ، ويجب الاهتمام بها بصورة خاصة فيما يرجع للطفل الوحيد . ان الطفل يكون في حالة بحث عن العطف بصورة دائمة ، فلا يجوز مسايرته لان ذلك يعوق نمو الشخصية . فلا بد ان يكون العطف مقتصرا على الضروري فان تعذر ضبط العواطف لاي سبب من الاسباب فيستحسن ابعاد الطفل .

واغلب الاتجاهات المنزلية في التربية يسيطر عليها الاسراف في التدليل خصوصا من الاهل الذين تقدمت بهم السن ، وكذلك الجد والجدة . ويجب على الاهل ان يفهموا صعوبة هذا الاتجاه التربوي الذي ننادي به ، ويمكنهم بشيء من المثابرة ترويض النفس عليه ليصلوا الى تحقيقه ، وتعبهم في الكبت للتقليل من الاندفاع العاطفي اخف من كل انواع التعب الذي يمكنهم التعرض لها باهمالهم وانطلاقهم في مسايرة عواطفهم الشديدة .

القاهرة — ابو مدين الشافعي

نيســـــان

✳

لنقولا قربان

سراج الليل ...

سراج الليل ، أيها الشريد الـــذي عاش على الدرب مثلي . بوركت . فكأنك تحمل شفة نيسان المدعوكـة بالنور .

*

كم عمرك ؟ شهر ؟ هذا أجمل عمر . أجمل عمر .

*

قل ، أتعرف شيئا عن الذي لطخ فم شجيراتنا بالعطر ، وضمخ سيقان الورود ، وألبسها اللون الاخضر .

*

ما أروع بيتك : السياج العتيق فرش القمر بأرضه ألف لؤلؤة .

*

عندما تمر ايها الشريد بباب نيسان ، أطفىء قنديلك ، وامشي حافيا ، واترك الليل على السياج .

*

بوركت يا سراج الليل ، فكأنك تحمل شفة مدعوكـة بالنور .

السهام المذهبة ...

سألت نيسان شجرة تفاح غلت حتى نزل الثمر مـن عينيها : من الصائغ الذي صاغ لك أساورا وعقدانا وقروطا كأنها الدر والياقوت ، وجـلاك كالعروس التي تسحر القلوب ، وجعل على عينيك ألف برقع أخضر .

*

فقالت التفاحة : كانت أمي بياعة عطور ، فأغوت رجـلا وأجبرته ان يصوغ لي حلاي . وكان كلما داعبني مرة ، يضع عقدا في عنقي ، مرددا هذه الكلمات : جسدك أثمن من خزينة الملك ، وانني أعبدك .

*

فقالت نيسان : سألتك بعينيك يا اختي الشجرة ، هل كان حب هذا الرجل يورد خدودك ، ويشعل شفاهك . أخبريني ، فانني احترق ، وأحس بان سلالات النحل تجمعت في نهدي ، وبأن نهدي مثل شمعة عارية .

*

فأجابت الشجرة : اثمي في عنقي ، وفروعي مجـامر تشتعل على صدري . عندما أحببت يا أختي امتلأ قلبي بالاوراق والازهار والاثمار ، وأخذ البستاني يروي قصصا ملونة عني ، قائلا بان عيوني كجعبة السهام المذهبة .

في كلمات ...

وفي ٢٧ يونيو ، افتتحت في روسية السوفيتية اول محطة استخدمت فيها الطاقة الذرية لتوليد القوى الكهربائية وتوريدها الى المناجم والمزارع في المناطق القريبة وقوة هذه المحطة ٥٠٠٠ كيلووات، وستفتتح قريبا محطات اخرى تتراوح قوتها بين ٥٠ و١٠٠ كيلووات.

وتستهلك المحطة التيقوتها مائة الفكيلووات وتستطيع تغذية احدى المدن الصناعية الكبرى بالتيار الكهربائي ٥٠٠ غرام من الاورانيوم بدلا من حمولة ثلاث مركبات من الفحم الحجري .

قاطرة تسير بالغاز

واخرجت مصانع رينو بفرنسا اول قاطرة تسير بالغاز ، وقد جربت هذه القاطرة في اول يوليو الماضي فبلغت سرعتها ١٢٠ كيلو مترا في الساعة .

نفير لصيد الحيتان

وابتكر النرويجيون طريقة مستحدثة لصيد الحيتان ، وذلك بتجهيز سفن الصيد بنفير يحدث صوتا قويا ، ما ان تسمعه الحيتان في دائرة قطرها سبعة كيلومترات حتىتلوذ بالفرار في اتجاه معين فيسهل صيدها .

مادة الجير في الشمس

ولعل من اهم الاكتشافات الفلكية في هذا العام ، ما توصل اليه مرصد (كليماكس) بالولايات المتحدة الاميركية اذ تحقق القائمون بالعمل في هذا المرصد من وجود مادة الجير في الشمس .

الحياة على سطح الارض

واستطاع عالمان احدهما اسكوتلندي والاخر فنلندي القيام بدراسة واسعة على اثار الاشعاع فيبعض المواد المتحجرة وقدخلصا مندراستهما الى ان اول عهد الارض بالحياة البشرية يرجع الى ٢٦٠٠ مليون سنة .

مجاهر من نوع جديد

صنع الروس نوعا من المجاهر يمكن به رؤية ما في جوف الاجسام غير الشفافة وصنع الفرنسيون مجهرا يضاعف حجم المرئيات ٢٥٠ الف مرة .

الغوص الى اعماق البحار

في ١٥ فبراير الماضي سجل فرنسيان من رجال البحرية الفرنسية رقما قياسيا جديدا اذ غاصا في البحر بالقرب من (داكار) الى عمق ٤٠٥٠ مترا ؛ وهما يرجوان الوصول الى عمق ١١ الف متر في الشهر القادم .

وفي ٢٤ سبتمر الماضي سجل بعض الفرنسيين رقما قياسيا من نوع اخر اذ استطاعوا الهبوط في احدى المغائر بالقرب من جرينوبل الى عمق ٩٠٣ امتار .

مخدر جديد

لعل اعظم كشف فسيولوجي سجلهالباحثون منذ اكتشاف ((الاثير)) هو ذلك المخدر الجديد الذي اهتدت اليه عيادة ((مايو)) فيروسشستر بالولايات المتحدة الاميركية وهو مخدر يؤخذ عن طريق الفم فيقتل الالم دون ان يفقد المريض وعيه . وقد اصبح في استطاعةالجراح بفضل هذا المخدر ان يجري جراحه لنفسه .

علاج جديد للملاريا

واكتشف علاج جديد للملاريا وهو مزيج من ((البريماكين)) و ((الفلوروكين)) وقدجرب بنجاح في احد المستشفيات الاميركية ، وبذلك لم تعد الملاريا من الاوبئة القاتلة ، وقد شرع الجيش الاميركي في استخدام هذا العقار الجديد .

● في العام الماضي نشر بعض الاطباء والخطباء مقالات اعلنوا فيها ان ورق السكاير هو في مقدمة الاسباب التي تولد السرطان .

وقد كان لهذه الملومات اثر سريع في النفوس ، فخف الاقبال يومئذ على التدخين بنسبة ١٥ بالمئة في الولايات المتحدة ، وبذلت شركات السكاير جهودا جبارة لكي تهدىء روع المدخنين ، وتؤكد لهم ان تلك الروايات ليست صحيحة او انها لم تثبت بعد .

غير ان ((جمعية الصحة العامة)) اصدرت اخيرا قرارا اكدت فيه خطر ورق السكاير ، ووقع قرارها وقع القنبلة في الولايات المتحدة.

والمعروف عن هذه الجمعية انها مؤلفة من اشهر علماء اميركا ، وان الحكومة تشرف عليها رسميا ، فقراراتها جدية الى ابعد الحدود .

وقد وافقت الجمعية على القرار المذكور في جلسة عقدتها برئاسة الدكتور ((مورتون ليفين)) ، مدير الخدمات الطبية بوزارة الصحة العامة في نيويورك . فاقرت باكثرية ثلاثة عشر عضوا ضد ثلاثة ما يلي : ((ان اعضاء مجلس مقاومة السرطان قد انتهوا ، بعد بحوث وتحريات ، الى ان الدلائل متوافرة على قيام صلات عديدة بين تدخين السكاير الملفوفة بالورق وبروز السرطان الرئوي . اما دخان الغليون والسيكار فلا صلة له . وهذه الدلائل تحدو بالجمعية الى تنبيه الجمهور الى الاقلاع بتاتا عن تدخين السكاير ، توسلا الى تقليل انتشار حالات السرطان . وهي تسدي النصح الى الشبان الاميركيين كي يمعنوا في التامل في ما يترتب على تدخين السكاير من اثار وبيلة على صحتهم مقابل متعة تافهة .))

ولم يعرف بعد موقف اصحاب مصانع السكاير الكبرى من هذا القرار ، ولكن احد خبرائهم الدكتور ((ليفيميني)) نصح بادخال تركيب كيماوي من مادة ((البنزوبيريني)) على ورق السكاير ، قائلا ان هذه المادة تقضي على اخطار الورق ومحاذير التدخين به .

● ذكر المركز التذكاري لمكافحة السرطان والامراض الشبيهة به الذي يحتفل بذكرى تاسيسه السبعين بنيويورك ٣٦ خطوة اتخذها خلال السنوات القليلة الاخيرة لقهر السرطان.

وقد ورد في تقريره ، الذي يصدر مرة كل سنتين ، والذي اصدره رئيسه لورنس روكفلر قائمة ذكرت فيها الاستنتاجات التالية التي توصل اليها المركز .

— ان السرطان في الانسان بالامكان كبح جماحه بالمواد الكيماوي .

— انه يمكن ايجاد الوسائل التي تمكن من تعيين التغيير في كيمياء الجسم .

— خلال فترة ٢٠ سنة ارتفعت نسبة الشفاء من سرطانات الانسجة اللينة من النوع الذي يطلق عليه علميا اسم ((ساركوماس)) من ٦ في المائة الى ٣٩٫٥ في المائة .

— انه قد توصل الى الاحتفاظ بنمو السرطان الانساني في الحيوانات المخبرية لاول مرة وبذلك تمكن البحاثون من العمل على مقياس كان يستحيل القيام به من قبل .

— ان افضل العناصر الناجعة لايقاف سرطان الدم الحاد ((اللوكيميا)) هو مادة كيماوية تدعي ((ميركابتورين-٦)) .

— ان التكنيكات المحسنة قد جعلت جراحة الكبد المصاب بالسرطان امرا ممكنا .

— لقد استنبطت انواع الفيروس التي تتلف اتلافا سريعا تاما خلايا نوع من السرطان الذي يعتري الانسان في انابيب الاختبار .

— لقد وجدت طريقة عملية للحيلولة دون حدوث بعض حالات سرطان العنق في النساء .

— لقد ارتفع عدد المصابين بسرطان المعدة الذين تمكن معالجتهم بالجراحة من ١٠ في المائة الى ٧٥ في المائة خلال هذه السنوات .

● قالت وكالة انباء تاس السوفياتية ان كاتبا سوفياتيا زعم بان العلماء الروس اكتشفوا اصل داء السرطان . وقد جاء في عدد شهر ديسمبر من نشرة الاتحاد السوفياتي ان العلماء السوفيات جمعوا معلومات كثيرة تتعلق باصل داء السرطان وتطوره . وقد تمت خلال السنوات الاخيرة اكتشافات مهمة وتمكن العلماء السوفيات من معرفة اصل الاورام الخبيثة وطرق معالجتها .

● قالت الصحف الايطالية ان علاجا جديدا

ضد السرطان سوف يجرب في مؤسسات مكافحة هذا الداء بناء على توصيات مفوضية الصحة ويقال ان العلاج هو من اكتشاف احد العلماء في طبقات الارض الذي لاحظ ان الاشجار المثمرة والماشية التي ترعى ارض سمدت بنوع معين من السماد اكتسبت مناعة ضد السرطان وهذا السماد مستخرج من خليط من النيترات والكولوليات والمولدين وسلفات البوتاس .

● يقول الطبيبان اوتو لوبشتاين و ت.دلكن وهما كيمائيان في مختبرات كيم - تك بكاليفورنيا ان مادة ليسوزيم الموجودة في دموع الانسان قد نجحت في شفاء بعض انواع السرطان واوضح الطبيبان ان التجارب التي اجريت على الفئران قد نجحت ٥٠ بالماية وانهما يحاولان الان مزج مادة ليسوزيم بمادة اخرى على امل التوصل الى ايجاد علاج فعال لشفاء السرطان تماما .

● اعلن الدكتور كلارنس سلاسبري مفوض الصحة العامة في اريزونا ان فرقة طبية خاصة قد بدأت بالدرس لكشف « سر قبيلة نفاهو الهندية » التي لا يصاب افرادها بداء السرطان. وقال ان هذه القبيلة التي يزيد عددها على ٧٥ الف شخص تملك حصانة قوية ضد مرض السرطان وان اللجنة الطبية تأمل من دراستها ان تكتشف سر هذه القبيلة وقد يؤدي ذلك الى معرفة الكثير عن وسائل الوقاية ضد السرطان .

● اصيب عامل ياباني في هيروشيمابالاشعاع الذري اثناء الغارة عليها خلال الحرب ، ولكن اصابته لم تكن شديدة . وكان يشكو تضخما ونشاطا خطرا في غدته الدرقية ويشكو اعراضا اخرى . ثم زالت هذه الاعراض رغم ان الاشعاع احدث به اضرارا اخرى . وقد فحصه الاطباء وقرروا ان الاشعاع هو الذي قضى على مرض خبيث كان قد اصابه كبعض عوارض السرطان .

● اعلن اطباء مستشفى بيتربنت بريتفام بامريكا انه تم اقتطاع كلية من جسم رونالد هويك وزرعها في جسم شقيقه التوأم ريتشارد البالغ من العمر ٢٣ عاما . وذكروا ان هذه الكلية تعمل بصورة مرضية بحيث تنقي دمه . وقد اصبح لكل من الاخوان كلية واحدة عاملة.

وجاء في نشرة اصدرها المستشفى ان الاطباء لا يستطيعون التأكد من ان الكلية المزروعة قد تعمل بصورة دائمة قبل انقضاء سنتين .
وقد تمت العملية الجراحية التي وصفت بانها الاولى من نوعها بين توامين متشابهين كل الشبه في اواخر شهر ديسمبر .

● صرحت جماعة من الجراحين في مؤتمر كلية الجراحية الاميركية بانهم استعملوا انابيب البلاستيك عوضا عن الشرايين المصابة في اكثر من ١٠٠ مريض .

ومن المتوقع ان يقود التطوير الى معرفة هدم استمرار جريان الدم في اطراف الاوعية الدموية ، والفائدة الرئيسية لهذا الاستنباط هي سهولة الحصول على اوعية دموية نقية ومعقمة تنمو بين فراغات خيوط النسيج الانساني فتشكل جزءا كاملا لشريان جديد ، وان انابيب القماش يمكن استعمالها عوضا عن الكلى التالفة والمرارة وغيرها .

● يقوم الدكتور بيرنز في معهد - كارينجي - بواشنطن بتجارب لتغيير الاعضاء التناسلية لبعض الحيوانات ، وقد نجح في تغيير اعضاء بعضها قبل الولادة بواسطة الهرمونات وهي فرازات غددية تسيطر على التطور الجنسي في الجسم ، فجعل الذكر انثى والانثى ذكرا ! .. وقد تناولت تجاربه الاخيرة الحيوانات ذات الثدي .

ولما كان الانسان من هذا النوع فان هذه التجارب تهمه لانها - كما قال بيرنز - تدل على ان اسس التطور في الحيوانات الدنيا هي بعينها في الحيوانات العليا .

بيد ان الدكتور بيرنز رفض مناقشة موضوع التحول الجنسي فيما يتصل بالانسان ، وقنع بان قال انه يمكن للانسان من حيث المبدأ - ولكنه اشار الى ما يثيره ذلك من مسائل خلقية ويقترن به من ريب واخطار .

وقد كشف الدكتور بيرنز عن حقيقة غريبة فقال ان الحيوان - من الناحية التشريحية - يمكن ان يتحول تحولا تاما الى الجنس لاخر ولكنه من الناحية السيكولوجية يظل محتفظا بخصائص جنسه .

ويقول الدكتور بيرنز ان عملية التحول قلما تكتمل ، وكثيرا ما يصاب الحيوان الذي يتحول بالعقم .

● يقول بعض علماء جامعة بوته انه من الممكن التأثير في المستقبل على الناس ، وذلك بالتأثير على خلايا الدماغ ، ويقول العلماء انهم اجبروا بعض القطط على القيام بحركات ارادوها هم وذلك بالضغط على زر متصل بسلك وضع على رؤوس تلك القطط .

● ان البوتاس المشهور عنه بانه سماد كيماوي اكثر من اشتهاره بشفائه للامراض ، قد يتيح الامل للمصابين بذلك المرض المعطل الغريب المعروف بمرض سوء التغذية العضلي. وقد فاجأ العالم بهذا النبأ جماعة من اطباء كلية الطب بجامعة كاليفورنيا ومركز ادارة المحاربين القدماء في لوس انجلوس بكاليفورنيا فقد اثبتت ابحاثهم ان فقدان البوتاس يقوم بدور رئيسي في سوء التغذية العضلي غيره من الامراض المصبية العضلية التي لم تعرف اسبابها .

ويعتقد هؤلاء الاطباء انه خلال الاطوار الاولى لهذه الامراض قد يحدث خلل في الخلايا يحتمل ان يكون وراثيا ينشأ عن تسرب البوتاس من الخلايا العضلية . وبناء على ذلك فانهم يرون ان الخلايا في النهاية قد تفقد كمية البوتاس التي تحتاج اليها العضلات للقيام بعملها . وقد استنتجوا ان من المعقول معاطاة البوتاس لسد العجز الناشىء عن هذه المادة الكيماوية من احتفاظ الخلايا بالبوتاس الاضافي . فاذا ما حلت هذه المشكلة اصبح بالامكان التفريج عن كربة المصابين بالامراض العصبية العضلية .

● اكتشف عقار جديد في لندن لاعادة الشباب اسمه رونيكال وقد عولج به ٨ رجال و٥ نساء فقالوا ان هذا العقار يساعد على نمو الشعر ويجدد الشباب .

● اعلن الدكتور تشارس بايلي جراح مستشفى هاهنمن انه تم اكتشاف الة جديدة للجراحة بواسطة التبريد تمكن الجراح من اجراء اية عملية في أي جزء من جسم الانسان.

● ان الكروم وهو المعدن المتلالىء الذي تصقل به السيارات ويجعل لونها لامعا ، اصبح الان يستعمل بشكله الاشعاعي في معالجة الاشخاص المصابين اصابات خطيرة في مشفى بيتربرنت في مدينة بوسطن من ولاية

ماساشوستس ويوجد الكروم في انسجة البشر وان قياس محتويات الدم من الكروم تدل على كمية الدم التي فقدها المرء حين اصابته باذى.

وقد استنبط المشفى طريقة جديدة يستعمل فيها الكروم الاشعاعي ـ وهو احد المنتوجات الذرية السلمية ـ لجعل خلايا الدم الحمراء وبلازما الدم اشعاعية للدلالة ما اذا كانت ثمة حاجة الى بروتينات البلازما لاعادة دم المريض الى توازنه الطبيعي وتستعمل هذه الطريقة في معالجة ضحايا الكوارث .

● يحدث الاسراف في الاوكسيجين حالة مرضية جديدة تؤدي الى كفاف الاطفال المولودين حديثا . فقد تيسر لثلاثة اطباء في روما بعد دراسات دامت سبع سنوات الى ان تقليل كمية الاوكسيجين للطفل الحديث المهد بالولادة عن طريق عملية التنفس الصناعي يؤدي الى اندثار ظاهرة « العمى » .

● تقول جريدة « امباير نيوز » ان جنس ثلاثة توائم قد تبدل مؤخرا في لندن قبل بلوغهم العام الاول من عمرهم . وتقول الجمعية الطبية البريطانية ان هؤلاء الاطفال ولدوا مزدوجي الجنس وان معالم احد الجنسين اختفت وبرز الجنس الاخر على اثر علاج خاص وهكذا اصبح اثنين من التوائم الثلاثة مسجلا في الاحوال الشخصية كذكرين ، اثنين ، بينما تحول التوام الثالث الى ذكر ، بعد ان كان انثى .

وتقول الجمعية الطبية ان حالة التوامين هي الوحيدة في نوعها في العالم .

● وضعت منظمة الصحة العالمية برنامجا لمساعدة السودان على مكافحة مرض النوم . وسيشرع خبراء المكتب الاقليمي للمنظمة بتلقيح نحو ٣٠ الف شخص في منطقة موبوءة بهذا المرض بوقت قريب جدا .

● اقام اطباء مستشفى جامعة بايلور بامريكا ١٧٠ عملية نقل دم الى احد المرضى وهو رقم قياس جديد ولكن جميع هذه الجهود لم تنقذ المريض وقضى النزيف الداخلي الذي اصيب به على حياته .

● تقول وكالة تاس ان في منطقة كراسنودار افغناسيتين هما كاترين بروفوزينا وسيليسا كوزل ليكوفا ، وعمر كل واحدة ١٤٥ عاما . ويبلغ محمود كيفازوف من ازربيجان ١٤٣ عاما اما زوجته مسرة فانها في المئة والعشرين . وقد احتفلت ابنتهما مؤخرا بعيد ميلادها المئوي . وفحص الاطباء مؤخرا في جيورجيا سيبرون غاديد اشفيلي البالغ من العمر ١٣٩ عاما وقالوا انه ما زال نشيطا رغم ضعف سمعه وبصره . وتقول وكالة تاس ان في الاتحاد السوفياتي اكثر من اربعين الف شخص ممن تزيد سنهم عن التسعين ، ثلاثة ارباعهم من النساء وبينهم من تتراوح اعمارهم بين المئة ومئة وعشر سنوات . وبينهم كذلك ممن تجاوزوا هذه السن .

● قال الدكتور لورانس جولد الحجة في الجغرافية القطبية ان القمم الثلجية في المنطقتين الشمالية والجنوبية اخذ تذوب منذ بداية هذا القرن ، وان هذه الظاهرة ستكون لها نتائجها الهامة من الناحية العلمية واذا استمرت عملية الذوبان حتى تتلاشى الثلوج ، فان كثيرا من المدن الساحلية سيكون مصيرها الغرق .

واستطرد قائلا ان ذوبان المناطق المتجمدة اذا استمر بهذه النسبة خمسين سنة اخرى فان المحيط المتجمد يصبح صالحا للملاحة ، واذا ذابت ثلوج جرينلند والمنطقة المتجمدة الجنوبية فان مستوى سطح البحار يرتفع مائة قدم .

والدكتور جولد هو مدير جامعة كارلتون وقد ادلى بهذه الحقائق في منتدى (ستانفورد) بواشنطن لتباين اهمية الملاحظات التي ينبغي للجمعية الدولية للجغرافية الطبيعية تسجيلها في سنة ١٩٥٧ .

وقد قال الدكتور « جولد » في خطابه ان القارة القطبية اكثر ارتفاعا من اية قارة اخرى وان متوسط هذا الارتفاع هو ميل فوق سطح البحر ، وان مساحة هذه القارة تربو على مجموع مساحة الولايات المتحدة الاميركية والمكسيك . ثم قال ان الاجتماع الذي عقد اخيرا في روما للتمهيد للمؤتمر الدولي للجغرافية الطبيعية قد كشف عن اهتمام بالغ بمشكلات المناطق المتجمدة .

● اكتشفت في شرق النمسا جمجمة « ماستودون » وهو حيوان منقرض من فصيلة الفيل يرجع تاريخها الى ما يزيد عن ٦٠٠ الف عام .

« والماستودون » هو الحيوان الذي تطور عنه الفيل وقد وجدت الجمجمة بحالة جيدة .

● يقول الدكتور بيرسي ويلكنز من لندن الذي داب على دراسة القمر منذ مدة تربو على اربعة واربعين عاما ان الشقوق في القمر قد اصبح عددها متزايدا . ويقول العالم الفلكي ان هذه الصدوع التي ترى بواسطة تلسكوب جبار هي صدوع سطحية يتراوح عمقها ما بين ٥٠ قدما وميل واحد . ولكنها واسعة جدا لان اكبر تلسكوب لا يستطيع ان يرى من الشقوق ما يقل عن ٢٠٠ متر من تلك المسافة النائية .

● قال البرفسور سيزار أملياني ، في اجتماع الجمعية الامريكية للارصاد الجوية في شيكاغو ان جو الكرة الارضية يزداد برودة ، وان درجة حرارة المحيطات قد انخفضت بمقدار ١٤ درجة في الثلاثين مليون سنة الاخيرة ، وان الكرة الارضية مقبلة على عصر جليدي بعد عشرة الاف من السنين ! وان مدنا مثل موسكو وبرلين ونيويورك وشيكاغو ستدفن كلية تحت جبال من الجليد ترتفع الى الف قدم ...

● كشف علماء الفلك بجامعة هارفارد النقاب في تقرير قدموه الى مؤتمر الجمعية الامريكية لتقدم العلوم عن اكتشاف « بذور » في الاجزاء النائية من السموات العلى قد ينشا عنها نجوم لم تولد بعد . وقد تكلم باسم فريق من الفلكيين الدكتور بارت لوك فقال ان كتلا سوداء ضخمة في السماء وجد انها تتالف من اجزاء دقيقة متجمدة من الماء لا تحصى تكتنفها غيوم عديدة من الهيدروجين البارد .

وبما ان الهيدروجين هو المادة الرئيسية التي تصنع منها جميع المواد التي هي في دور التكوين فقد استنتج ان هذه الاجزاء هي نواة لتكوين نجوم جديدة .

● اعلنت جمعية الجغرافيا الوطنية بوشنطن ان عالما فلكيا قد اكتشف نجما جديدا صغير الحجم في القسم الجنوبي من الفضاء . ويعتقد هذا الفلكي الذي يعمل في مرصد بالومر في كاليفورنيا ان هذا النجم هو جزء من نجم كبير آخر يقع بين المريخ والمشتري وقد انفصل عنه بطريقة الانفجار .

● يقول العلماء السوفياتيون ان المواطنين السوفياتيين سيعيشون قبيل العام ٢٠٠٠ حتى المئة والخمسين سنة دون ان يبيض شعرهم وفي مدن ليس فيها اي اثر للدخان او الغبار ، وحيث تدار الصناعة بواسطة رجال آليين .

ويقول الاكاديمي برابيزنيكوف ان الصناعة ستدار كليا بشكل اجماعي ، اذ يقف رجل واحد امام لوحة كهربائية مليئة بالازرار فيراقب صناعة منطقة باكملها . فالفحم مثلا يستخرج ويسحب الى سطح الارض بواسطة الات او رافعات مائية مضغوطة ، ثم ينقل الى المصانع الكيماوية ويحول الى بنزين والى كاوتشوك والى مواد البلاستيك دون ان يلمس الانسان هذه الاشياء بيده ، اما استخراج الغاز من الفحم الحجري فيتم تحت الارض بشكل اوتوماتيكي وان العامل لا يضع يده في هذه الصناعة الا في حال تخريب احدى الالات ، وما عليه الا ان يذهب بطائرة الهليكوبتر التي تخصه لاصلاح هذه الالات .

ويعتقد السيد برابيرانيكوف بامكان اختراع انسان آلي مفكر يدير الالات الصناعية بشكل اوتوماتيكي .

● صدر بلاغ رسمي عن جامعة سيؤول يقول

بان الثلج الذي تساقط اخيرا في انحاء كوريا الجنوبية كان يحمل اشعاعا ذريا ، وهذه هي المرة الاولى التي يسقط فيها الثلج في هذه السنة كما ان كشف الاشعاع يحصل للمرة الاولى في كوريا . وبالرغم من ان نسبة هذا الاشعاع ضئيلة اذ تمثل .٣٨ وحدة فان بلاغ جامعة سيؤول قد اعلن بان هذا الثلج يشكل خطرا اذا ما تناوله احد .

● وافقت اليابان على قبول مبلغ مليوني دولار قدمته الولايات المتحدة كتعويض عن الاضرار والخسائر التي لحقت بصائدي الاسماك وبصناعة صيد الاسماك اليابانية نتيجة للقنبلة الهيدروجينية التي فجرتها اميركا في جزيرة بكيني في العام الماضي وقد ابتدات المفاوضات عندما عاد قارب الصيد الياباني لاكي دراغون في شهر مارس الماضي الى اليابان وهو مغطى بالغبار الاشعاعي نتيجة لاجراء تجربة تفجير القنبلة الهيدروجينية وعندما نقل بحارته الى المستشفى وهم مصابون بالحروق وقد توفي واحد من هؤلاء البحارة .

● استنبط احد مخابر الابحاث العلمية التابع لوزارة الزراعة الاميركية في بيوريا نوعا جديدا من ورق الصحف مؤلفا جزئيا من بقايا قش القمح وقصب السكر وقدطبعت طبعة حديثة من « جورنال بيوريا » جزئيا بهذا النوع الجديد من الورق وهو اول استعمال تجاري له . وقد استعمل في ورق الصحف الجديد كل من بقايا قش القمح وقصب السكر ويعتقد العلماء المخبريون ان الورق الجديد سيخفض تكاليف الانتاج ويزيد في كمية لب الخشب وينتج ورقا وكرتونا افضل ويؤدي الى استعمال بقايا نفايات الالياف الزراعية كمواد اولية قياسية في صناعة الورق .

● شرعت جامعة هارفرد ببناء راديو تلسكوب سيكون اكبر جهاز تلسكوبي من نوعه في الولايات المتحدة . وسيستخدم هذا الجهاز لجمع الاشعاعات من الشمس والكواكب الاخرى .

● اعلن الراديو السوفياتي نقلا عن مقال لوزير الصناعة الراديوتكنيكية في جريدة البرافدا ، ان التجارب الاولية للتلفزيون بالالوان ، قد جرت بنجاح في موسكو .

● ستشرع نظارة الداخلية الاميركية باقامة التجارب لاختبار نوع جديد من الالات لتقطير المياه المالحة واستخدامها في مشاريع الري . ويجري فصل مادة الملح عن المياه بالطريقة الجديدة بواسطة التيارات الكهربائية .

● اعلنت جامعة ميتشغن ان السيد دونلد غلاستر استاذ الفيزياء في الجامعة قد ابتكر آلة جديدة لتصوير الاصطدامات الذرية .

واوضحت الجامعة ان الآلة الجديدة قد جرت تجربتها في مختبرات بروكهافن الوطنية في نيويورك ونجحت في تصوير الوحدات الذرية التي كانت تدور بقوة مليار الكترون فولت .

● اكتشف طبيبان من جامعة ايلينوي ان ميزات وخاصيات اصواف الماشية يمكن تحسينها بتغيير علف الخراف .

فاضافة الكبريت الاصفر الى العلف مثلا يحول دون عودة الشعرة المطوطة الى حجمها الاصلي .

وقد استعمل الطبيبان في العلف الكبريت الاصفر المشمع وهو احد المنتوجات السلمية للطاقة الذرية كمنقب للاثر ، فوجدوا انه يسبب ردود فعل كيماوية في الصوف خلال اسبوعين .

وقاموا بعدها بتجارب اخرى فوجدوا ان اضافة الكبريت الى علف الخراف يجعل الصوف اميل الى الامتداد وتبقى على امتداده وتجعله يقاوم العودة الى اصله بعد توقف الامتداد .

● ابتكرت شركات المطاط الاميركية خزانا جديدا لوقود الطائرات لا ينفجر ولا تلتهمه النيران عندما تصطدم الطائرة او تتحطم بحوادث مختلفة .

● صدرت رسالة للدكتور رينسي احد كبار علماء الحشرات في مركز مراقبة الجراد الصحراوي في نيروبي اشار فيها الى امكانية التحري عن ارجال الجراد الطائرة بواسطة الرادار واكتشافها في الاجواء المطرة الفائمة. ولقد اعطت النسافة البريطانية « وايلدغور » البرهان على هذه الحقيقة في الخليج الفارسي عندما استطاعت بواسطة الرادار ان تكشف عن وجود ارجال من الجراد الطائر وليست هذه المرة الاولى التي يستخدم فيها الرادار لهذا الامر فقد استخدمت البحرية البريطانية هذا الجهاز عدة مرات فنجحت المحاولة .

● غادرت لندن اخيرا الى القطب الجنوبي بعثة بريطانية برئاسة الدكتور فيفيان فوكس ، مهمتها قياس عمق القشرة الجليدية التي تغطي القطب ، وهي مؤلفة من عشرة اشخاص .

وستنزل البعثة على الجليد وتبني حجرات دائمة تعيش فيها حتى صيف ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ، ثم تباشر اعمالها .

اما طريقة عملها فهي اطلاق قذائف متفجرة من الطائرات على سطح الجليد ، وقياس صدى الارتجاج الذي يحدثه الانفجار ، فيتضح العمق .

ولما كان طول القشرة الجليدية يبلغ ١٧٥٠ ميلا ، فان اعمال البعثة تقتضي سبر هذا الجليد بالوف الانفجارات ، بواسطة طائرات خاصة .

وصرح الدكتور فوكس ان عمق القشرة يبلغ في بعض الاماكن ٣٠٠٠ متر ، وهي آخذة في الاتساع ، بعكس قشرة القطب الشمالي التي تنحسر رويدا رويدا . وهو يقدر عمرها بنصف مليون سنة .

وسيكون للمعلومات التي تحملها البعثة اثر كبير في معرفة اسرار الطقس في العالم خلال القرن القادم ، خاصة في النصف الجنوبي من الدنيا .

● يقوم الآن ١٩ طبيبا اميركيا بدراسة واسعة لمعرفة مدى مفعول علاج « ايزونيازيد » الجديد في شفاء داء السحايا الرئوية في الاطفال . وتقوم المنظمات الاميركية الخاصة بتمويل هذا البرنامج .

● اذيع اليوم ان البعثة الاميركية للتنقيب عن الآثار في العراق قد اكتشفت قرب معلفات ، ٢٥ ميلا شرق الموصل ، على مقربة من الحدود الايرانية ، آثار اقدم مدينة عثر عليها الانسان في العالم ، يعود عهدها الى ٦٠٠٠ سنة .

وكان مظنونا حتى الآن ان مدينة « جرمو » التي اكتشفتها البعثة نفسها في العام الماضي هي اقدم مدن العالم ، وعهدها قبل خمسة آلاف سنة .



لجهله بقوانينها.. وعنده ان الاحساس بالالوهية احساس فطري شبه غريزي، «.. من حيث اننا ذرات كهربية في كون مكهرب من اوله الى آخره، فالتجاوب مستمر بصور شتى، ولكن يشملها جميعا شعور التوحد».. وهذا الشعور الصوفي هو اساس عقيدة الالوهية، ثم يستطرد الى قانون «الاحتمال والالحاد» فيعرض آراء «الدكتور اسماعيل ادهم» ويناقشها، وهو موضوع عسير الهضم.. كنا نود من الاستاذ رضوان، ان يمهد له بكلمة تبين ارتباطه بموضوعات الكتاب، وتفسر الظروف التي دفعت اليه.

وبعد ذلك يكشف المؤلف عن منابع العظمة في الاسلام، فنراها في الاخوة الاسلامية.. هذه الاخوة الانسانية، التي لا تعرف تمييزا بين الاجناس والالوان، والتي لا تمانع في انشاء عصبة اديان لخير الانسانية.. ونرى الروح الاسلامية تستلهم هذا الدين الذي يقوم على الاقتناع لا على الاتباع.. والذي يابى الاكراه في الدين ـ هذه الروح يتسع مجالها للسير مع العلم، بحيث يمكن تفسير الدين في ضوء العلم تفسيرا مقبولا.. فعقيدة الالوهية ـ وهي مسالة المسائل ـ نراها في ضوء الاسلام لا تتصادم مع العلم السليم، ولا الاحساس النفساني النقي وهي بعيدة كل البعد عن الخوف او الخرافة والجهل؛ لانها تقوم على الاحساس الصوفي الفطري.. وعلى وحدة الوجود.

ان رسالة محمد انسانية تتسامى بالديمقراطية الى منزلة الاخوة الانسانية.. وروح هذه الرحمة تقضي ـ الى جانب الحرص على الديمقراطية ـ بالحرص على المحبة الانسانية كذلك ـ ووجود المبشرين في الامم الاسلامية شاهد على التسامح الاسلامي.. ثم يشيد بتحرير الاسلام للمراة، ومنحها حقوقا لم تكن تحلم بها، ويرى ان الاسلام يحرم تعدد الزوجات لانتفاء العدل في قوله تعالى «ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم»..

ويتحدث عن تقرير الاسلام لحقوق الانسان، واقرارها.. فلقد قدس حرية العمل والراي والعقيدة، وعمل على توزيع المسؤوليات بين الحاكم والمحكومين، ويفصل هذه الحقوق في الديمقراطيات الحديثة، فيربطها بأصولها المقررة في الاسلام.. ويأسف لان انسان القرن العشرين لم يستكمل حقوقه بعد، بل انه في الواقع يعاني عبودية اقتصادية..

وينتقل الى سياسة المال في الاسلام في بحث مقارن يتناول النظام المالي في العالم الحديث بكثير من الايضاح والتطبيق، ثم يشرح نظام الضرائب الاسلامية التي تحارب تركيز المال، وتحث على استثماره، وتعمل على توزيع

١ ـ عظمة الاسلام

لرضوان ابراهيم ـ ١٧٢ صفحة ـ منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة

يقدم الاستاذ رضوان ابراهيم، هذا الكتاب ليعرض آراء الدكتور احمد زكي ابو شادي، ونظراته التقدمية في الاسلام، فليس هذا الكتاب ـ كما يقول ـ كتاب دين بقدر ما هو كتاب فكرة، ويفسر لنا الاستاذ «رضوان» في المقدمة هذه الآراء تفسيرا مجملا، يوضح به اتجاه «ابي شادي» العقيدي... ويحمل على المتزمتين الذين نقموا منه تفكيره الحر، وآراءه العلمية، ونظراته الماهدة التي طلع بها على الناس؛ فأثار المتزمتين في الدين، والمتحللين منه على السواء..

ثم يشرح عمله في هذا الكتاب، فيبين انه قام بعرضه، بعد ان تصرف في مقالاته تخفيفا وحذفا، ووفق بين الفصول، وزاوج بين الآراء.. وتزيد هنا.. وتخيف هناك..

والكتاب ـ كما يقول الاستاذ رضوان ـ محاضرات في الاندية الخاصة، وفصول كان يرتجلها «الدكتور أبوشادي» وكان حواريوه يقيدون شواردها.. ولعل هذا هو الذي يوضح لنا بعد فراغنا من مطالعة الكتاب، ان العلاقة بين فصوله وعنوانه علاقة عامة، بمعنى ان هذه الفصول آراء متفرقة يجمعها العنوان ـ وليست تاليفا منهجيا، يعرض الافكار مرتبة، لتصل بتشكيلها الى نتائج مرسومة ـ عمد الكاتب اليها عند التاليف.

ونستطيع ان نلم بآراء «ابي شادي» المبثوثة في هذه الفصول.. فلقد تحدث عن مزايا الاسلام، واشاد بديمقراطيته التي اقترنت بالتقشف لخير المجموع. والتي تسوي بين الناس جميعا امام خالقهم، ثم يشرح مظاهر الروح الاسلامية ـ روح الاختيار المطلق، والحرية التامة في العقيدة والفكر، والتسامح مع المخالفين.

وينتقل من ذلك داعيا الى توسيع مفهوم الاسلام وتعميقه؛ ليشمل الانسانية وآدابها وفنونها، ويحث على تطبيق هذه الحرية الفكرية على الادب لاغناء الثقافة العربية.. ومن رأيه، ان الايمان بالآلهة او بالله ـ مرجعه في كثير من الاحوال الى الوراثة الانسانية في قرون عديدة ـ من الانسان البدائي الذي كان يرهب الطبيعة

الثروة ، والتي ترمي في النهاية الى اسعاد جميع الطبقات ، وتعالج البطالة والفقر .. ثم يندد بالفوضى الحاضرة في نظام المال العالمي الذي يجعل الارجنتين تحرق نصف مليون راس من الغنم ، وامريكا تقضي على ستة ملايين بقرة — كل هذا واكثر منه حدث في عام واحد — بينما عشرات الالوف من الناس يموتون جوعا .. والسر في هذا الاضطراب الاقتصادي ، محصور اساسيا في عجز القوة الشرائية ..

وفي النهاية يقرر الدكتور ، بأن هذه الآراء مسوقة للخاصة وانه ما كان يود ذيوعها لان الناس عبيد ما الفوا .. ثم يدعو الى تفسير القرآن تفسيرا علميا .. اما المسائل السمعية كآدم والطوفان .. فتفسر تفسيرا مجازيا .. فآدم مثلا ليس فردا بالذات ، وانما هو رمز الى النوع الانساني عند بلوغه مرتبة التفكير وفقا للنشوء والارتقاء .

ونلتقي بالاستاذ رضوان مرة اخرى في نهاية الكتاب ، ليلخص لنا هذه الآراء التي عرضنا كثيرا منها . ويبين الدافع الذي حدا به الى عرضها ، ولا شيء غير الوفاء لاثر من آثار ابي شادي .. ونحن نقدر للاستاذ رضوان هذا الشعور الطيب .. ولكنا نحب ان نناقشه قليلا ما دام قد تحمل مسئولية هذه الفصول . فقد رأينا ان الدكتور « ابو شادي » اثناء عرضه لجوانب الاسلام ، يناقش معانديه ، وينقدهم وتسيل من قلمه مرارة الاحساس بظلمهم لآرائه ، وافتئاتهم عليه .. ولقد كان من الاوفق — وقد بعد العهد بهذه الخصومات — لو ان الاستاذ رضوان عرضها مصفاة ، ليتم للكتاب مظهره العلمي ، ويسير الى غايته دون استطراد ..

والشيء الثاني الذي نأخذه عليه ، انه تنصل من تبعة هذه الآراء في المقدمة حيث يقول « ولسنا بذلك متفقين مع الدكتور في كل ما يقول ... » فالقى بذلك ظلا من الوهم في نفس القارىء من حيث لم يقصد ذلك . وكنا نود ان يعقب على ما لا يقره من هذه الآراء .. بل انه اوشك ان يتناقض مع نفسه ، حين قال في نهاية الكتاب .. « كل هذه الآراء طلع بها على الناس يومئذ ؛ فرموه بنظرة ذاهلة مبهوتة .. واليوم تصطرع حولها الآراء .. وكأنها شيء طبيعي لاشية فيه .. » ..

والكتاب من بعد ذلك .. عمل جدير بالتقدير ، شرح فيه « ابو شادي » آراء الباحثين في الاسلام ، في الشرق والغرب في شمول ووعي وغزارة في المادة ، ونضج في النقاش العلمي .. وكشف عن متناقضات المدنية الحديثة .. وبين للمجتمعات المتوثبة الى الكفاح من أجل حقوقها وحريتها ، معالم طريقها الحقيقي .. واشاع فيه نفحات هذه الروح الانسانية الشاملة التي نادى بها — وما زال — في شعره وكتبه ، والتي تظاهرها صوفيته الواهبة العميقة .

٢ — قصص من التاريخ

لمحمد عبد المنعم خفاجي — ٣٢٦ صفحة من القطع الكبير — رابطة الادب الحديث بالقاهرة

الاستاذ عبد المنعم خفاجي ، من ادبائنا المعروفين بغزارة الانتاج وتنوعه ، وهو من الذين وهبوا انفسهم لخدمة اللغة وآدابها ، والتعريف باعلامها والمغمورين منها على السواء . كما انه احد الادباء القلائل الذين يرضى الناس جميعا عنهم ؛ لصفاء نفسه واشراقها ، وشمول عواطفه لاقطار العربية ، والعمل على التقاء ادبائها في ضفاف مؤلفاته حيث يشيد بوحدتها وائتلافها وتضامنها .

وكتابه « قصص من التاريخ » احد هذه الحدائق الرحبة التي تتعانق فيها ثمرات الادب العربي ، القديم منه والمعاصر .. وهو سبعة كتب في كتاب !

ويعلل المؤلف لتسميته « قصصا من التاريخ » بأن خصائص القصة توجد في بعض فصوله ، وهو لا يقصد بالقصة مدلولها الفني الخاص .. بل انه يعني « .. ما يشابهها او يقاربها ، مما هو تسجيل لتاريخ أو تصوير لحادث ، أو وصف لحياة ، او حديث عن مدرسة ادبية ، او درس لخصائص الادب في بيئة من البيئات .. او عصر من العصور ... »

ولقد تخير المؤلف كثيرا من الموضوعات التي لم يعن

بها الكتاب الا قليلا .. مثل « ليلى الاخيلية » .. ومثل المجاهد الوطني « عبد العزيز جاويش » الذي دون قصة جهاده ، بالاعتماد على وثائق سياسية مخطوطة بقلمه ، اخذها من أسرته .. وكذلك حديثه عن ميلاد مدرسة ابولو الشعرية واثرها في حركات التجديد في الشعر المعاصر .. والشعر السوداني الحديث وغير ذلك .

وقد ضمن كتابه الاول فصولا ممتعة من حياة الشاعرة العربية « ليلى الاخيلية » فسر فيها مظاهر البيئة التي نمت الشاعرة في ظلال تقاليدها الاجتماعية والسياسية .. ثم تحدث عن هواها « بتوبة الحميري » وما كان من شانهما .. باحثا ومحققا وشارحا .. كما فسر مكانة الشاعرة وشخصيتها ، وصفاتها النفسية ، وخصائص شعرها .. فاضاء بجهوده جوانب حياتها الفنية، وحياة قومها .. واثرها في عصرها .

اما حديثه عن «عبد العزيز جاويش» الذي تضمنه الكتاب الثاني .. فهو حديث فياض .. صور فيه حقبة سياسية هامة ، عاش في معتركها الشعب المصري ، وتجسدت في كفاح الابطال والمجاهدين من امثال « جاويش » الذي مسته نيران الثورة الفكرية ، التي هزت الشرق الاسلامي بتأثير « جمال الدين الافغاني » وتلاميذه.. فثار الاحرار في كل مكان يزأرون في وجه الظلم والاستعباد مطالبين بحقوق بلادهم .. وما اروع صيحة « جاويش » في ذكرى « دنشواي » حيث يقول . من مقال له بجريدة اللواء : « سلام على اولئك الذين وقف الهلباوي ، فثار فيهم ثوران الجبارين ، ثم انثنى على رقابهم فقضمها ، وعلى اجسادهم فمزقها ، وعلى دمائهم فأرسلها تجري في الارض تلعن الظالمين .. » !

لقد توفر « الاستاذ خفاجي » في هذا الكتاب ، على ان يجمع عديدا من مشاهد الادب العربي القديم والمعاصر.. وان يثير غبار التاريخ عن حياة الشخصيات المتفوقة التي اعجب بها .. فقد افرد للمتنبي ، ولابن هانىء الاندلس متنبي الغرب كتابين .. درس فيهما حياة الشاعرين وعصرهما ، وفنونهما الشعرية ، واتجاهات كليهما في الفن والحياة ، ووازن بينهما ، ووضح مكانتهما في النقد الادبي ، وعرض نماذج وافية من شعرها الرائع ، كما انه قد طوف باقطار الامة العربية في الحديث ، فعرف بشعرائها وادبائها في مختلف اجزاء الوطن العربي من سوريا والكويت وفلسطين والاردن ومصر وتونس .. وكتب فصولا ممتعة عن الشعر السوداني المعاصر ، تحدث فيه عن شعرائه ومذاهبهم الادبية واتجاهاتهم .. وجاءت النماذج المتنوعة التي قدمها من شعرهم وثيقة فنية لهذا الانتاج الجديد المتدفق ، وخاصة من شعر الشباب منهم .

ومع تقديرنا لهذا المجهود المضني الذي قام به المؤلف في هذا الكتاب .. نحب ان نبدي ملاحظات يسيرة لا تغض من شان هذا العمل الكبير .. ففي الكتاب الرابع ، وهو مزيج من النقد والمقال والقصة ، بداه المؤلف بتفسير قصة اجتماعية .. واتبعه بحديث قصير عن العيد ، ثم بحديث عن ابراهيم الخليل ، وآخر عن « جوته » الشاعر الالماني.. ولا يستطيع القارىء ان يفهم مراد المؤلف .. أهذه الاحاديث من عمله ، ام أنها نماذج لكتاب لم يعرف بهم ..

اما الملاحظة العامة .. فالمؤلف لا يقف من نماذجه موقفا نقديا .. ولا يعرض الا الجوانب الطيبة من شخصياتهم ، ويشيد دائما بصفاتهم العقلية والنفسية وليس هذا شان الدراسات الادبية ، فقد راى مثلا ، ان حياة ابن هانىء الشخصية « كانت مثالا للسمو الخلقي ، والطهر النفسي.. والبعد عن شهوات الحياة واطماعها . » ثم يقول عن تاريخه لحياة الشاعر « .. انه رأى الحياة العامة في الاندلس تسمح له ان يطمح الى اعلى مناصب الدولة .. فبدا يتصل برجالات الدولة ، وخاصة أمير اشبيلية .. » ثم يتعذر عنه بقوله « .. ولعل الشاعر قد اضطر الى هذا الاتصال الادبي اضطرارا ... » ثم يعلل مبالغات ابن هانىء المسرفة بانها كانت تحت تأثير عقيدته الفاطمية .. فابن هانىء ــ الزاهد في شهوات الدنيا وأطماعها ــ يصف ممدوحه بهذه الصفات الكاذبة الموغلة في النفاق . من مثل قوله :

هو علة الدنيا .. ومن خلقت له	ولعلة ما كانت الاشياء
من شعلة القبس التي عرضت على	موسى.. وقد حارت به الظلماء..!

لا شك ان المؤلف يجامل كثيرا .. فنراه يتحدث عن بعض الشعراء الشبان ، الذين ما زالوا يتلمسون طريقهم ؛ فينسج لهم من الاعجاب صفات فضفاضة ، تعوقهم عن السير .. وتظلم الفن الذي لا يعبر طريقه الشاقة الا المتجردون من أردية الخيلاء ..

ولقد تحدث المؤلف عن كتاب لاديبة عربية .. فايقظ العالم لينظر اليها .. واستطرد فعرف بكل اديبات العربية .. اما الكتاب موضوع الحديث ، فلم يظفر الا بعدة سطور في نهاية المقال ..

وما أردت بهذه الوقفة القصيرة ان انتقص شيئا من قيمة هذا الكتاب الزاخر ، او اهز صورة المؤلف المشرقة في نفوس اصدقائه وتلاميذه ..

واخيرا .. وليس آخرا .. فان هذه القصص من تاريخ الادب .. عمل ادبي جليل طرزه المؤلف باسلوبه المتدفق السيال ، وعواطفه الزاخرة ، ولسوف يجد مكانه السامي في قلوب الادباء .. ومنزلته الرفيعة في مكتبة الفن الباقي على العصور .

القاهرة
محمد فوزي العنتيل
من رابطة النهر الخالد

المصابيح الزرق

رواية سورية طويلة للاستاذ حنا مينة — ٣٠٠ صفحة — مطبوعات دار الفكر الجديد — بيروت

هذه رواية من الروايات العربية القليلة ، التي تحس معها انك امام عمل ادبي ضخم ، وانك تدخل في حرم الادب المهيب .. مستطلعا مندهشا فمسحورا .. ولا اظن ان رواية ما ، اثارت من النقاش والضجة ما اثارته هذه الرواية اللهم الا الارض للشرقاوي وزقاق المدق لنجيب محفوظ ، ورغم ما فيها من نواقص سأتحدث عنها بعد قليل .. فهي فاتحة موفقة لموهبة روائية اصيلة وراسخة .

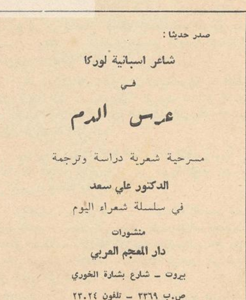
يلاحظ الاستاذ شوقي بغدادي كاتب المقدمة ملاحظة جد صحيحة عن ابطالها فيقول: «ان ابطال المصابيح الزرق احياء الى درجة مذهلة » . والواقع انك حينما تطبق دفتي الكتاب تكتسب اصدقاء جددا الى معارفك .. وتحب هؤلاء الذين يجرون بين سطور الرواية بحرية وطبعية وصدق ، تحبهم بسذاجتهم التي يخفونها وراء ستار من المكر المبتذل ، وتفضلهم هكذا بنقائصهم وشهوانيتهم وتعلقهم بالحياة وتذبذبهم بين طيبهم الاصيل الذي يظهر خلال الازمات الجماعية ، وشراستهم وميلهم الى العراك والايذاء حينما تدفعهم الى ذلك دفعا ، الحياة القذرة التافهة التي يحيونها .. وانك لواجد امثالهم في الطريق العام يطلون عليك بفتوة الحلبي الاخاذة ، ورزانة ابي فارس المجربة ، وكلبية ابي رزوق الصفتلي السطحية ، وحنين فارس ونجوم ابني الشعب البسيط الى المجهول واكتشاف عوالم جديدة ليلقيا بالحجر في بحيرة حياتهما الراكدة التي تقتل العاطفة والجسم والخيال معا .

يلاحظ في محيط كتابة الرواية العربية ظاهرة جديدة جديرة بالتسجيل ، وهي ان هناك ابطالا متعددين في الرواية لا بطلا واحدا تدور حوله العقدة ، فكأن الكاتب ينقل اليك قطعة كبيرة من الحياة ، يصطخب ابطالها ضمن اللوحة على حد شبه متساو ، وان كانت يد الكاتب الذكية تدفع الى الامام شخصا تسلط عليه بعض الاضواء غير المرئية . ففي « زقاق المدق » مثلا لا تستطيع ابدا ان تعين البطل .. فكل شخصية فيها جديرة بان تحتل وحدها رواية ضخمة ، فزيطة صانع العاهات لا يقل اهمية ابدا عن المعلم كرشة وحسنية الفرانة ، والدكتور بوشي وحسين كرشة يفتنانك حتى الاعماق بالقدر الذي يفتنك فيه عباس الحلو العذب ، وحميدة الثائرة المعقدة . بطل الرواية الاساسي في الواقع هو الزقاق المعتم المليء بالحياة العريضة الذي ينزوي في ناحية من المدينة الكبيرة الحافلة ... القاهرة .

وهنا في « المصابيح الزرق » تجد نفس الشيء وان حاول المؤلف ان يسلط الاضواء على فارس ، ولكنك تخرج من الرواية وفارس هذا اقل اهمية وتعقيدا من المختار وابي رزوق وحتى ابي فارس نفسه ، ان حنا يحب ابطال قصته بشكل عميق حتى لتحتار في الحكم الذي تطلقه على اي منهم عندما تنتهي من قراءة الكتاب .

وما دمنا في معرض التحدث عن ابطال الرواية فيجب الاشارة الى ما المع اليه شوقي بغدادي بحق.. الى ان بعض ابطال الرواية ياكل الغموض الناتج عن نقص التحليل بعض جوانب شخصيتهم . فهناك حوادث غير مهمة ولا تضيف شيئا الى وضوح الابطال قد ذكرت في الرواية ، كحادثة الجابي وصاحب المقهى ، تلك الحادثة التي ادخلها المؤلف في الرواية لا لشيء سوى رغبته في اطلاعنا على بعض جوانب الحياة الطريفة التي يعيشها البسطاء في اللاذقية اثناء الحرب ، واهمل الى جانب ذلك بعض الشخصيات اهمالا لا يغتفر . كشخصية عبد القادر مثلا ، فهو الى جانب محمد الحلبي ، المناضل الاكثر وعيا وفهما بين كل ابطال الرواية ولكن المؤلف لا يذكره الا بلمحة عابرة ، ومن زاوية خاصة ليظهر تاثيره على فارس ، وهي ناحية غريبة من شخص كالاستاذ حنا ، كان المفروض فيه جلاء هذه الشخصية جلاء تاما لاهميتها الاساسية في رواية كهذه .

ومن ناحية اخرى ساق هذا الاهمال لشخصية عبد القادر الى افتعال بعض المناظر ، التي ظهرت فيها محاولة الكاتب التأثير والتهويل على اعصاب القارىء فلم يؤد ذلك



الا الى نتائج عكسية ، كمنظر السجن بعد مشاجرة حسن حلاوة الفران ، وطريقة الفرنسيين في المعاملة ، وموقف عبد القادر المتوتر الغريب الغير المترفع . اضف الى ذلك ان الفصل كله الذي يسجن فيه فارس ، وعواطف فارس الذي يسجن لاول مرة ، ثم نقله الى حلب ، ووصف السجن هناك . كل هذا الفصل كان ينقصه الوضوح والدقة والاصالة لقد كان يظهر فيه الاصطناع رغم ان حنا من المجربين في هذا المضمار ... ولا فخر .

ومن الملاحظ ايضا ان الاستاذ حنا قد اختار ابطاله فاذا هم كلهم متشابهون في طريقة حياتهم ، وان كان كل منهم ذا نفسية خاصة .. فهم بورجوازيون صغار او بالاحرى حرفيون صغار ، لم يرتفعوا ابدا من حيث نضالهم الى وعي خاص . وانما كانت اكثر امانيهم تنحصر في نطاق تحطيم قيد البورجوازية الصغيرة هذا ليرتفعوا ويغادروا الى الابد مهنهم الحقيرة التي لا تبض بالحلب المعسول ، وانا لا اناقش حنا في ذلك فمن حقه ان يصور حياة من شاء ، وخاصة اذا كان هذا التصوير اخاذا ساحرا وانما اناقشه في تلك الطبقة التي لا بد انها كانت موجودة في اللاذقية وهي طبقة العمال .. واذا كان قد صور معملا نسائيا لجرد الريجي ، وصور الاستغلال على ابشع صوره ، فقد كان هذا التصوير لهذه الطبقة وحيد الجانب ، اضف الى ذلك انه لم يصف رد الفعل في العاملات اللواتي يمتن في الجو الخانق ولو كان رد الفعل هذا في ابسط صوره على الاقل من تشاجر وسموم ومناقشات وحقد بين جو العاملات انفسهن حتى يتكون عندهن الوعي الكافي لادراك مصالح طبقتهن ، وحتى رنده — التي فجر فيها الحب التعلق بالحياة والتي اماتها حنا مسلولة بدون مبرر وبدون ممهد كاف كما كاد يصنع ذلك ايضا بامراة الصفتلي المجهولة تماما عند القارىء — حتى رنده هذه كانت حياتها في المعمل غامضة وغير ذات تأثير على تصرفاتها وافعالها .

ولكن الشيء الخطير في نظري الذي خلخل الانسجام في هذا العمل الروائي الاصيل ، هو تصوير حنا لجو الحرب ، فعنوان الرواية المصابيح الزرق ، رمزا الى الاضواء المعتمة التي دهنها باللون الازرق تفاديا لاخطار الغارات في ذلك الزمن المرهق الذي يحتل من ذكرياتنا مكانا بارزا . ومعنى ذلك ان الاستاذ حنا اراد ان يصور اللاذقية في زمن خاص هو زمن الحرب .. ولكن الى اي حد وفق في ابراز آثر الحرب وتضاعيفها في نفوس هؤلاء الابطال الذين يحيون في روايته ؟

اسارع الى القول ان اللاذقية ليست المانيا ولا فرنسا ولذلك لا نطالب الروائي ان يصور لنا هذا الجيل القلق المضطرب الذي شوهته الحرب في كل من البلدين ، ذلك لان سوريا كلها لم تشهد حربا فعلية ولعل الغارات اليهودية على دمشق اثرت في دمشق اكثر من كل الحرب العالمية الثانية لانها اكثر التصاقا بمفاهيم الشعب .. ولكني مع ذلك اعتقد ان الحرب ، وهي الشيء الاساسي في رواية حنا ، لم تضف جديدا الى كل هذه الشخصيات في روايته ، وفي اعتقادي ان حنا الذي عاش في اللاذقية ، قد تكون فكرته عن ابطاله تدريجيا منذ طفولته لانه عاصرهم وتاثر بهم تاثيرا مباشرا ، ولو كتب عنهم في فترة ما قبل الحرب لما اضاف الى شخصياتهم شيئا مهما ، اللهم الا بعض الحوادث التي خلقتها الحرب والتي كان منتظرا منهم ان يقفوا ازاءها نفس الموقف الذي تمليه عليهم سمات شخصياتهم المرسومة ، وما الحرب الا اطار خارجي لحوادث القصة ، وكان من الممكن اختيار اي اطار خارجي من الزمن دون ان يتاثر الابطال به تاثيرا جوهريا .

هذه دعوى عريضة ، ولكني احسستها لدن قراءة الرواية المتعة ، فالمظاهرات التي قامت ضمن القصة كانت تحمل طابعا تحرريا وطنيا ، اي انه من الممكن ان يحدث مثلها في وقت الحرب وبعدها في كل بلد مستعمر ، وحتى مظاهرة الخبز التي كان للحرب في اختفائه من الاسواق اثر كبير ، قد حدث مثلها كثير قبل الحرب في كل المدن السورية . اضرب مثالا على ذلك الاضراب الذي امتد شهرا والذي اشتركت فيه جميع فئات الشعب في زمن الشيخ تاج لان سعر الخبز قد زيد زيادة بسيطة ، واذن فاي طابع خاص بقي للحرب في محيط الرواية ؟ وبالطبع لن انس بعض الحوادث التي تملأ القصة والتي تكون بناءها عن جو الحرب .. ولكنه جو ظاهري على السطح ، لم ينفذ الى الاعماق ، وحتى عائلة فارس التي تضم طفلين كان من الممكن استخدامهما بدون اصطناع ، لبيان جوع الحرب وتخيلاتها المرعبة في هؤلاء الاطفال ، الذين اهملوا في الرواية اهمالا غير طبيعي .

اضف الى ذلك اهمال التناقض الطبقي في المظاهرات ، واهمال ذكر استخدام السلطات للطائفية التي لعبت وتلعب دورا هاما في اللاذقية على الاخص .

قد يقول قائل انك تطلب من الرواية ان تكون تاريخا !! . ولكن المصابيح الزرق جديرة كل الجدارة لان تصور هذه الفترة اجمل التصوير واروعه ، فالجانب التي صورته بلغ من الاتقان حدا مدهشا ولذلك تراني اؤوب على النواقص .. فظهور هذا الاثر في القصة السورية خاصة والرواية العربية عامة يعد شيئا ذا خطر واهمية ، وينبىء عن حياة مجيدة للرواية الحديثة .

بقي لي ان اتحدث عن هذه النظرة العطوف الناقدة الشديدة الحساسية التي يلاحظ بها حنا الناس والاشياء فهو مليء بالشاعرية الشفافة يفتنه الانسان والطبيعة معا ، وحتى الامور التي لا تستوقف احدا تجد حنا يجلوها ويقدمها لك بدلالاتها النفسية وجمالياتها ، ويظهر ذلك واضحا في وصف الصيد ، وحفلة السكر في دكان الحلبي ،



● غادة القرية وقصص اخرى ـ بقلم عثمان علي نور ـ ٩٨ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات الندوة الادبية بالسودان ـ مطبعة الرياضة البدنية بالقاهرة .

● محاضرات عن جميل الزهاوي ، حياته وشعره ـ القاها ناصر الحاني « على طلبة قسم الدراسات الادبية » ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار المعرفة ببغداد ـ مطبعة دار المعرفة .

● اليهودية العالمية من زمن ابراهيم الى وقتنا الحاضر ـ دراسة وجمع الدكتور رياض بارودي ـ ٩٦ صفحة ـ منشورات دار الثقافة ببيروت

● الثورات والانقلابات « في ذاكرة العالم العربي » ـ لتيسير جيفي ـ ١٨٦ صفحة ـ منشورات دار الحداد بسوريا .

● في قلب الفوطة ، اقاصيص وشخصيات ـ لوصفي البني ـ ١٣٢ صفحة ـ منشورات دار القلم ببيروت ـ مطابع الاستقلال بيروت .

● ارخص ليالي ـ ليوسف ادريس ـ ١٨٠ صفحة ـ العدد السابع والعشرون من « الكتاب الذهبي » لنادي القصة بالقاهرة وتصدره دار روز اليوسف بمصر .

● تحت قناطر ارسطو ـ لامين نخلة ـ ١٤٢ صفحة ـ منشورات المكتبة العلمية ببيروت ـ مطبعة الجريدة بيروت .

وعلى نحو اروع في وصف حفلات البيت (الجامع) التي تجلي فيها مريم السودا ببساطتها الاخاذة .

ومن النواحي التي تستوقف النظر في الرواية الحوار الحي المتدفق الذي يتناثر من افواه ابطالها مليئا بالحرارة والحيوية والطبيعية ، واذا كان نجيب محفوظ قد اغرق في جعل ابطاله فصيحين ، والشرقاوي عاميين ، فحنا قد حسم المشكلة في هذا الحوار الخليط الذي لا تصدمك منه كلمة واحدة .

اخي حنا . . يا مالنا ، لن اقول لك كما قال بيلينسكي لديستويفسكي وقد راعه اول آثاره « المساكين » فهزه في منتصف الليل هاتفا :

ـ ايها الشاب هل تدري قيمة ما صنعت وما ستصنع في المستقبل فانا اعرف تماما انك مقدر تماما قيمة ما صنعت وما ستصنع في المستقبل وانما اقول ان غوركي جديدا يحبو بيننا ، وان روايتك هذه كانت لا تحتاج الا « للنقرة الاخيرة » من ازميلك الخالق لتتحدى الكمال .

دمشق **سعيد حورانية**

من رابطة الكتاب العرب

● مواقف حاسمة في تاريخ العلم ـ تاليف جيمس ب. كونانت ـ ترجمة الدكتور احمد زكي ـ ٥٠٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ دار المعارف بمصر .

● مسرحية الشياطين الخرس ـ لعبدالله عبد الجبار ـ ١٢٧ صفحة ـ منشورات رابطة الادب الحديث بالقاهرة .

● المبدأ الاول او الله ـ بقلم محمد علي ناصر ـ ٢٩١ صفحة ـ مطبعة العرفان بصيدا لبنان .

● في النشاط العملي ـ لماوتسي تونغ ـ مع مقدمة للفيلسوف الصيني فان يولانج ـ ترجمة محمد عيتاني ـ ٦٠ صفحة ـ منشورات دار المعجم العربي ببيروت ـ مطابع الاستقلال بيروت .

● القطن في خمسين عاما ـ للدكتور يوسف نحاس ـ ٥٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ دار النيل للطباعة بالقاهرة .

● لبنان الشاعر ـ لصلاح لبكي ـ ٣٢٢ صفحة حجم كبير ـ منشورات الحكمة ببيروت ـ مطابع المرسلين اللبنانيين بجونيه لبنان .

● محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره ـ للدكتور عبد الوهاب عزام سفير مصر في باكستان ـ ١٩٢ صفحة ـ مطبوعات باكستان ـ مطبعة الصباح بالقاهرة .

● بطل السند ـ لمحمد عبد الغني حسن ـ ١٢٨ صفحة ـ سلسلة اقرأ رقم ١٤٢ ـ منشورات دار المعارف بمصر .

● اقاصيص ـ لجورج حسون معلوف ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات العصبة الاندلسية بالبرازيل ـ دار الطباعة والنشر العربية بسان باولو بالبرازيل .

● دن الدموع ـ ملحمة ـ للدكتور علي الناصر ـ ٢٨ صفحة ـ مطبعة الضاد بحلب .

● في الادب العماري ـ الجزء الاول ـ لغازي عبد الحميد الكنين ـ ٦٢ صفحة ـ مطبعة الجامعة ببغداد .

● طبقات الفكهاء لمولانا طاش كبري زاده ـ عن نسخة مخطوطة وجدت في مكتبة الامير غازي العامة في الموصل ـ نشره بعد تنقيحه وتعليق حواشيه وتصديره الحاج احمد نيلة مدير مكتبة غازي العامة في الموصل ـ ١٣٦ صفحة ـ مطبعة نينوى بالموصل العراق .

● The Oxford English Course For Western Asia — by S. Hakim, A. S. Hornbly and D. C. Miller — Oxford Progressive English — This course consist of five Pupil's Books, each with an accompanying volume of Teacher's Notes — Oxford University Press — Geoffrey Cumberlege, London.
Sford MDL CSMDA8 DLSE CSBMDGF

اصدرت مطابع جامعة اكسفورد بانجلترا كتابا مؤلفا من خمسة اجزاء لتعليم اللغة الانجليزية على احدث القواعد والاساليب الحديثة تاليف الاساتذة حكيم وهورنبي وميللر ، ولكل جزء من اجزاء هذا الكتاب جزء خاص بالمعلم مما يؤلف بجموعه خمسة اجزاء للطالب وخمسة اجزاء للمعلم . واننا بعد اطلاعنا على هذا الكتاب ننصح باستعماله لجميع الذين يودون تعلم اللغة الانجليزية وحتى لهؤلاء الذين يودون دراسة هذه اللغة بدون معلم ففي الكتاب طريقة اللفظ الصوتية وجميع التسهيلات الممكنة التي تساعد على تعلم اللغة بموجب قواعد واضحة وثابتة واكيدة .



حصاد الفكر العراقي في عام ١٩٥٤

بقلم مهدي القزاز

*

كثرة في الانتاج ... وسطحية في التفكير ...

هذا هو ما يمتاز به حصاد الفكر العراقي لعام ١٩٥٤ ، ولا نكاد نكون مغالين في هذا الحكم اذا ما نظرنا نظرة منصفة وصريحة وشاملة الى ما اخرجته المطابع العراقية في العام الماضي من كتب في مختلف البحوث والدراسات الادبية والعلمية والفنية ودواوين الشعر وما ترجم بلغات مختلفة في شتى المواضيع والشئون الفكرية .

لقد بلغ عدد الكتب التي صدرت في العراق في سنة ١٩٥٤ (٤٢٧) كتابا موضوعا ومترجما كما دونته سجلات مديرية الترجمة والنشر في وزارة المعارف اي بمعدل (٤٠) كتابا في الشهر وذلك عدا المجلات الشهرية والاسبوعية الرسمية وغير الرسمية التي تصدر خالصة لشئون الثقافة والادب والتربية والعلوم .

ولا ريب ان هذا الانتاج الادبي الغزير بالنسبة الى العراق كان يجب ان يحدث اثره في العالم العربي ويتردد صداه في دنيا المفكرين ولكني اتحدى أي قارىء عربي في خارج العراق اذا كان قد قرأ (٤٠) كتابا من هذه الكتب العراقية واقتناها او سمع بها اللهم الا اذا كانت قد وصلته هدية من مؤلفيها واحتفظ بها وهذا نادر جدا ، في حين ان ابسط قارىء عراقي وحتى طلبة المدارس عندنا يعرفون جميع اسماء الكتب الصادرة عن مصر ولبنان وسوريا وغيرهم من البلاد العربية واسماء مؤلفيها والمواضيع التي عالجتها .. فلماذا ؟ ..

لقد كان العراق في غابر ايامه منارة من منارات الفكر وقمة شامخة من قمم الادب والثقافة والعلم ، كما كان اسمه يدوي في طليعة ممالك الدنيا العربية موئلا لطلاب المعرفة للاقتباس من اعلامه البارزين في مختلف الوان التفكير ومعضلات المشاكل العقلية ، كما كانت حركة التاليف والترجمة والنشر على اشدها مع عمق في التفكير وروعة في الانتاج الفكري لضروب الوان المعرفة والثقافة ... فلماذا تأخر الآن هذا التاخر المكشوف الفاضح عن ركب الثقافة والحضارة ، وعن المفكرين في مصر ولبنان وسوريا وحتى عن شمال افريقيا العربية في انتاجه الفكري ، لولا بعض الومضات التي تلمع حينا وتخبو احيانا ثم تضمحل وتتلاشى ازاء هذا الانتاج الغزير العميق في الدنيا العربية .

بعضهم يعلل اسباب هذا التاخير الى تقلقل الوضع السياسي في العراق وكثرة الانتقاضات الداخلية التي عرقلت انتاج ادبائه ومفكريه الذين اسهموا في الحياة السياسية وخاضوا ميادينها ، وهذا العامل وان كان لا ينكر اثره في الحياة العقلية لامة من الامم الا انه ليس بحائل كبير دون تقدم تلك الامة في ميادين الادب والثقافة والتفكير ، بدليل ان اكثر البلاد العربية عانت ولا تزال تعاني الشيء الكثير من الاضطراب السياسي والقلاقل الداخلية فلم تتأثر حياتها الادبية او يتاخر كبار مفكريها عن التاليف والترجمة والنشر وتحقيق امهات الكتب الادبية القديمة الى جانب اشتغالهم في المضطرب السياسي لبلادهم ، لذا فليس للسياسة دخل في عرقلة الانتاج الادبي الجيد في العراق وانصراف قادة مفكريه عن المساهمة في تزويد المكتبة العربية بثمرات عقولهم . ولست بحاجة الى ذكر اسماء الكثيرين من ادباء العرب او الاشارة الى آثارهم الادبية الرائعة الى جانب اشتغالهم في السياسة لانهم معروفون واحياء يرزقون .

وبعضهم يرى في طبيعة العراق وجوه المتقلب وحياته الاجتماعية الضيقة وقيود العادات والتقاليد عوامل لا تساعد المفكرين على الانتاج او الخلق والابتكار ومجاراة ادباء الامم العربية البارزين ممن تهيأت لهم الاجواء الطليقة والحياة الاجتماعية الراقية والتحرر من قيود التقاليد البالية فانتجوا هذا الانتاج الرائع في شتى الوان المعرفة والثقافة وهذه حجة تكاد تكون الى الهزل اقرب منها الى الجد لان اروع النتاج الفكري وضعه بعضهم في السجون والمعتقلات . ثم تكاد تكون جميع البلاد العربية متشابهة في طبيعتها واجوائها وعاداتها وتقاليدها فلم تمنع المفكرين فيها او تحول دون انتاجهم الادبي الرفيع .

كما ان بعضهم يرى في الحياة المعاشية الضيقة والانصراف الى تدبير موارد ثابتة وضمان مستقبل رافه لنفسه وعائلته ، كل هذه تجعل المفكر العراقي في شغل دائم بالتفكير في هذه الامور المادية والعيش في دوامة من السعي وراء المغانم او نوال منصب يكون بارزا فيه ظاهرا امام الاعين

والناس قريبا من الصدارة والوجاهة، هذا بالاضافة الى ما يراه من عدم وجود ما يشجعه على الانتاج في حقل الثقافة والادب . ولا ريب ان مثل هذه الحجج التي يتعكز عليها المفكر العراقي ويضعها عائقا في سبيل تمثيل ثقافته وانتاجه لهي حجج واهية لا تكاد تقوم على قدميها وذلك لان اكثر المفكرين المنتجين في البلاد العربية كانوا ولا يزال بعضهم في غير بسطة من العيش يتكسبون من انتاج قرائحهم التي اوصلت بعضهم الى منازل ادبية رفيعة في بلادهم وصيتا مدويا في العالمين العربي والغربي ، فطه حسين وهيكل والعقاد والحكيم وعشرات غيرهم من الاحياء والاموات لم يشتهروا بوظائفهم المادية او اشغلتهم هذه الوظائف عن انتاجهم الادبي الرفيع ثم ان شهرتهم الادبية هي التي فرضتهم على السياسة فرضا للافادة منهم ومن افكارهم ، ولو خير بعضهم لما اختار الا شهرته الادبية وانتاجه العقلي الحبيب الى قلبه والقريب الى قلوب الطبقة المثقفة في جميع اقطار العالم العربي .

هذه بعض العوامل التي يدعي البعض انها وقفت في وجه الانتاج العراقي الجيد والمفكرين العراقيين البارزين ، وهناك آخرون يغلب عليهم التشاؤم فيقولون ان طالب الثقافة في العراق يضع كل ما في قدرته من ذكاء وعبقرية ليجعل هدفه الوحيد من دراسته الحصول على الشهادة التي تؤهله لتسنم المناصب ومن ثم التمتع بحياة مادية مترفة ، لذا تكون دراسته دراسة آلية محضة بعيدة عن الهضم والتمثيل وتربية الذوق والوجدان الادبي فيتخرج حاملا ارقى الشهادات من ارقى الجامعات ولكنه ضحل في التفكير والثقافة ، سقيم في الذوق والمعرفة ليس في مقدوره التفنن والابداع والاجادة وطرق المواضيع التي تعلي من شان الفكر وتساهم في بناء الثقافة العربية .

ونحن وان كنا لا ننكر ان اغلب حملة الشهادات العالية في العراق هم من هذا النوع الآلي الا ان هناك ايضا جماعة كبيرة من حملة الشهادات العالية ومن المفكرين والادباء والباحثين في مختلف الوان الثقافة والمعرفة الذين هضموا ثقافتهم جيدا وعلى اتم استعداد وفي كل وقت لتمثيلها روائع ادبية لها مكانتها في دنيا الفكر ، وهؤلاء معترف بهم وبمكانتهم الادبية والثقافية والعلمية في جميع البلاد العربية نذكر منهم الدكاترة : مصطفى جواد ، نوري جعفر ، عبد العزيز الدوري، عبد الستار الجواري ، جواد علي ، خالد الهاشمي ، مهدي المخزومي ، مهدي البصير ، مجيد خدوري ، نسيم سوسه ، صالح العلي ، بديع شريف ، محمد حسين آل ياسين ، علي الوردي ، جليل طاهر وعشرات غيرهم من الدكاترة الناضجين في الدراسة والثقافة ومختلف ضروب التفكير ومن الشعراء الاساتذة محمد رضا الشبيبي ، باقر الشبيبي ، محمد مهدي الجواهري ، الشيخ علي الشرقي الازري وغيرهم من الشعراء وجميعهم لا تزال اصداء اغاريدهم يرددها العراقيون والدنيا العربية . ومن الكتاب الادباء والباحثين الاعلام والمفكرين نذكر الاساتذة : رفائيل بطي ، احمد حامد الصراف ، جعفر الخياط ، عبد الرزاق الحسني، حسن الدجيلي ، عبد الرزاق محيي الدين ، كوركيس عواد، كمال ابراهيم عباس العزاوي ، احمد عبد الباقي ، فاروق الدملوجي ، بشير فرنسيس، علي الخاقاني ، عبد الكريم الدجيلي ، يعقوب مسكوني وعشرات غيرهم من الاساتذة الفضلاء .

فهؤلاء الدكاترة والشعراء والباحثين والمثقفين جميعهم او القسم الكبير منهم ممن يتسنمون الان ارفع المناصب في الدولة العراقية ، كما ان

اكثرهم تحتضنهم وزارة المعارف الان لتربية الجيل الطالع وهم ممن ساهموا في النشاط الثقافي في العراق على ضآلة انتاجهم وكانوا في وقت من الاوقات زينة هذه الحياة الادبية ولآلئها كما لا يزال القليل منهم يقدمون للمكتبة العربية ثمرات قرائحهم بين حين وآخر ، وهذه الصفوة المختارة من المثقفين والادباء وان تفاوتت درجاتهم في الثقافة والمعرفة والبحث والتألق الذهني والابتكار الا انهم يكونون اضمامة عطرة في ادبنا المعاصر .

لذا فان القول بان المثقف العراقي ضحل في ثقافته سقيم في تفكيره وليس في قدرته الانتاج ومجاراة ادباء الامم العربية في التأليف والترجمة والنشر ، هذا القول يفند نفسه بنفسه لان العراق اثبت في ادوار حرجة قدرة مثقفية وادبائه على ممارسة ضروب التفكير العقلي وعلى عبقريات فذة في الشعر والكتابة والبحث . .

اذن نعود فنكرر القول لماذا تاخر الادب العراقي عن مجاراة آداب الشعوب العربية الاخرى في الانتاج الرفيع .

وآخر ما يقال في سبب هذا التاخر ان الطبقة المفكرة في العراق لا تتمتع بحرية فكرية مطلقة يفسح لها فيها المجال لمعالجة الشئون الفكرية بحرية وصراحة وجراة . وان انعدام مثل هذا الجو الحر سبب هذا الانكماش الذي نراه فيهم وعزوفهم عن التأليف والترجمة ثم الانصراف الى شئون اخرى اكثر امنا وراحة وسلاما . وان القلق النفسي الذي يعانونه في هذا المضطرب من الحياة لم يدع لهم فرصة التفكير والاستجمام للانصراف الى معالجة شئون الفكر في ضوء من الهدوء والراحة والاطمئنان .

ولا ريب ان التعلق بمثل هذا السبب يدعو الى المزيد من التامل والتفكير ودراسة شاملة لنفسية هؤلاء الادباء في ضوء علم النفس الحديث ، لانهم بهذه التعلة الواهية يحكمون على انفسهم وعلى ادبهم بالموت والفناء لان الحياة الادبية تنمو وتترعرع وتزدهر في الاجواء الحرة وكذلك في الاجواء الحبيسة ويكون الادباء عادة هم الذين يمهدون لهذه الحرية ويخلقونها خلقا اذا كان صحيحا ما يدعون لاننا لم نر مثقفا او اديبا حجز على افكاره الادبية اللهم الا في احوال شاذة كانت تستدعي ذلك ووفق القوانين السائدة في البلاد ومثل هذه الحوادث تكررت في جميع البلاد العربية .

اذن فلم يبق من سبب يحول دون نهضة الادب العراقي ومجاراته لآداب الشعوب العربية الا كسل الادباء والمثقفين في العراق وايثارهم العافية والراحة والترف على تشغيل افكارهم وشحذها في اوقات فراغهم وانصرافهم الى اللهو والتسلية والمطالعة الخفيفة التي لا تثير فيهم حب البحث والتامل والتفكير . . . ولهذا السبب فسح المجال لهذا الادب السخيف والشعر الغث والانتاج الهزيل ان يتكوم في الاسواق وعلى صفحات الصحف ويفرض على الناس فرضا ولهذا السبب ايضا اصبحنا ولا مصادر لدينا لتاريخنا او لصحافتنا او لتفكيرنا وثقافتنا ، وبمرور الزمن سيكون من اصعب المشاكل التي يواجهها الباحث في العراق مشكلة ايجاد مصادر تعينه على البحث والتاليف اذا وجد مثل هذا الباحث واراد ان يؤلف كتابا عن ناحية من نواحي بلاده ! . . .

من العار علينا ان نرضى ونطمئن لحالتنا الفكرية هذه وندع ركب الثقافة العربية يسير ونحن نتطلع اليه كان الامر لا يعنينا ، ثم نغمض اعيننا ونروح في سبات عميق لنلتحف الذكريات التي تركها لنا الرشيد والمأمون .

*

ونعود الان الى حصاد الفكر العراقي لعام ١٩٥٤ ، وقد ذكرنا ان عدد الكتب التي صدرت في العراق هذا العام بلغت (٤٢٧) كتابا موضوعا ومترجما ، ومن العسير على القارىء العربي ان نذكر له قائمة باسماء هذه الكتب فتسعة اعشارها هزيل لا يستحق الذكر والتنويه ولاشخاص مغمورين باسمائهم وانتاجهم ، لذلك فاننا سنستعرض اهم الكتب التي صدرت في هذا العام والتي نالت استحسان القراء والاندية الثقافية في العراق .

لقد صدر في شهر كانون الثاني (٣٥) كتابا بمواضيع مختلفة ولكن اهمها كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) الجزء الثالث للدكتور جواد علي وهو مجلد ضخم بخمسمئة صفحة من القطع الكبير والمؤلف من اعضاء المجمع العلمي العراقي وكتابه هذا من المصادر القيمة لهذه الفترة من التاريخ المجهول .

وفي شهري شباط وآذار صدر (٨٥) كتابا اهمها (نقائض جرير والفرزدق) للدكتور محمود غناوي الزهير وقد ساهمت وزارة المعارف في طبعه وكتاب (انطون تشيخوف) للاستاذ شاكر خصباك و (ثورة الزنج) للدكتور فيصل جرىء السامر والجزء السادس من كتاب (تاريخ العراق من احتلالين) للاستاذ عباس العزاوي و (دليل العراق الحديث) للدكتور نسيم سوسه والطبعة الثانية من كتاب (الادب العربي) للمرحوم الشاعر معروف الرصافي .

وفي شهري نيسان ومايس صدر (٩٠) كتابا اهمها ثلاثة كتب قانونية للدكتور علي حسن ذا النون والدكتور صلاح الناهي وكتاب (وعاظ السلاطين) للدكتور علي الوردي وكتاب (المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون) للعلامة كاشف الغطاء وقد راج الكتابان رواجا منقطع النظير واحدثا ضجة في الصحافة اثارت مختلف الردود والكتب والتعليقات .

وفي شهر حزيران صدر (٣٠) كتابا اهمها (القضاء التجاري العراقي) للاستاذ سلمان بيات و(تاريخ الالهة) للاستاذ فاروق الدملوجي .

وفي شهر تموز صدر (٣٩) كتابا ابرزها كتاب (جون ديوي حياته وفلسفته) للدكتور نوري جعفر وهو دراسة شاملة مستفيضة لهذا الفيلسوف تصدر لاول مرة باللغة العربية عني فيها المؤلف عناية دالت على عبقرية وذكاء نادرين في التحليل والاستنتاج . وكتاب (الشبك) للاستاذ احمد حامد الصراف عضو المجمع العلمي بدمشق وهو دراسة قيمة لهذه الطائفة التي لها اثرها في التاريخ الاسلامي و (بغداد كما وضعها السواح الاجانب) ترجمة سعاد هادي العمري و (شعراء الغري) للشيخ علي الخاقاني .

وفي شهر آب صدر من الكتب (٤٦) كتابا اهمها (ديوان ابي الاسود الدولي) تحقيق وشرح الاستاذ عبد الكريم الدجيلي وهي اول دراسة في اللغة العربية عن هذا الشاعر عني فيها عناية فائقة وحازت على تقدير الطبقة المثقفة في العراق والعالم العربي وقد طبعت بمساعدة وزارة المعارف وكتاب (تراث الاسلام) في جزئين كبيرين ترجمة المحامي جرجس فتح‌الله ومن المعلوم ان هذا الكتاب ترجم بعضه في القاهرة قبل عدة سنوات ولم يكمل لحد الان وكتاب (الدستور وحقوق الانسان) بجزئين للاستاذ عطا بكري نال استحسان القراء لاهمية الموضوع ودقة البحث وكتاب (صور شتى) مجموعة قصص للاستاذ ذا النون ايوب .

وفي شهر ايلول صدر (٣٥) كتابا اهمها بالذكر كتاب (التفسير الاجتماعي للجريمة) للدكتور عبد الجليل الطاهر وقد نال هذا الكتاب تقدير القراء واستحسان وزارة المعارف بشراء كمية منه وتوزيعها على مؤسساتها الثقافية .

وفي شهري تشرين الاول والثاني صدر (٩٥) كتابا اهمها كتاب (محاضرات عن الزهاوي) للدكتور ناصر الحاني وكتاب (محاضرات عن الرصافي) للاستاذ مصطفى علي القياعي معهد الدراسات العربية بمصر .

وفي شهر كانون الاول الذي هو نهاية هذا العام صدر لحد الان (٢٥) كتابا اهمها كتاب (التاريخ مجاله وفلسفته) للدكتور نوري جعفر وهو يكاد اول دراسة علمية مركزة لهذا الموضوع المهم اظهر فيه الدكتور قدرته على معالجة المواضيع الصعبة التي تحتاج الى دراسة وارهاق شديدين حتى جاء كتابه فريدا في نوعه .

هذا هو حصاد الفكر العراقي في عام ١٩٥٤ ويدخل في ضمن الارقام التي ذكرناها المطبوعات والتقارير الرسمية وهي كثيرة جدا تشمل ما يقارب اكثر من ثلث هذا الانتاج ، كما اننا لم نذكر المجلات الرسمية التي تصدر عن بعض الوزارات وهي مجلات مهمة جدا فريدة في موضوعاتها وبحوثها منها : (١) مجلة سومر التي تصدرها مديرية الآثار القديمة وهي مجلة تكاد تكون عالمية (٢) مجلة المعلم الجديد وتصدرها مديرية الترجمة والنشر في وزارة المعارف وهي مجلة تربوية راقية تكاد تكون في طليعة المجلات الثقافية التي تصدر في العالم العربي وهي مجلة موجهة تصدر اعدادا خاصة على شكل كتب تثير اهتمام المثقفين في العراق (٣) مجلة الزراعة تصدرها وزارة الزراعة وهي من ارقى المجلات الزراعية وادقها بحوثا (٤) مجلة المهن الطبية تصدرها نقابة ذوي المهن الطبية وتبحث في الشئون الصحية والامراض (٥) مجلة التجارة وتصدرها غرفة تجارة بغداد وهي مجلة راقية تبحث في شئون التجارة والاقتصاد والاسواق العالمية والتيارات المالية .

وقد ضربنا صفحا عن ذكر الكتب الموضوعة والمترجمة والتي تتناول مواضيع ذات اتجاه معين وتدخل ايضا ضمن عدد الكتب الصادرة التي ذكرناها لذا فاذا طرحنا التقارير الرسمية وعدد المجلات التي تصدرها الدوائر وهذه الكتب ذات الطابع المعين لم يبق ما يهم ذكره في هذا الاستعراض الا الكتب التي نوهنا بها وباسماء مؤلفيها وهو انتاج ضئيل جدا يستدعي علاجا سريعا من المسئولين عن الثقافة في العراق لكي يمهدوا الطرق لانتاج ادبي رفيع .

بغداد **مهدي القزاز**

ارواد : الجزيرة التي تذوب

✳

بمناسبة تردد ذكر ارواد في الصحف في الاسبوع الماضي ، كتب الاستاذ زهدي يكن رئيس محكمة الاستئناف في بيروت هذا البحث التاريخي لقراء جريدة الحياة قال :

اشارت الصحف منذ ايام الى ان هذه الجزيرة الوادعة اليوم قد طغت عليها مياه البحر فمحتها نقلا عن الجرائد المصرية، وقد كذبت «الحياة» هذا النبأ الذي اتاح لنا بهذه المناسبة ان ناتي على ماضي هذه الجزيرة الزاهرة الذي كان لاهلها الفضل الاكبر في الاشتراك ببناء مدينة طرابلس الحالية العاصمة الثانية للجمهورية فقد قال هارفي بورتر بكتابه التاريخ القديم : ان طرابلس بناها جماعة من ارواد وصيدا وصور ، فكانت المدينة ثلاثة احياء ولذلك سميت تربوليس اي ذات المدن الثلاث ، ثم اطلق عليها العرب لفظة « اطرابلس » واكد هذا القول الاستاذ ابي حلقة بكتابه الجغرافية فقد اورد هذا المؤلف ان تاويل كلمة « طرابلس » اي ثلاث مدن لان اهلها من ارواد وصيدا وصور .

واشار المطران يوسف الدبس بكتابه تاريخ سورية ان نزالة من ارواد

وصيداً وصور بنوا مدينة طرابلس .

تقوم جزيرة ارواد امام مصب النهر الكبير « على صخرة عالية » . ويذكر مؤرخو الالمان ان هذه الجزيرة كانت اكثر سعة مما هي عليه الان وقد زال بعضها بفعل الزلازل كما زالت عدة جزر كانت على الساحل . ويحتمل ان يكون اندثر بعض من ارواد بالزلزال الذي ذكره المقريزي في تاريخ المماليك حيث قال : ان سبع جزائر في الساحل خسفت وتوارت في غمر البحار .

ويؤيد هذا القول « بيشمان » بكتابه تاريخ فينيقية «شيامد» بكتابه التاريخ العمومي بأن هذه الجزيرة كانت واسعة جدا وكان تابعا لها مدن «قارنا» و «عمريت» وردد هذا القول «ماسبارو» في تاريخه عن الاقوام الشرقية القديمة «وسه نيوبوس» .

اما الآن فيبلغ طولها على التحقيق ٨٠٠ متر وعرضها ٥٠٠ متر ، وعدد بيوتها يناهز الالف ونفوسها السبعة آلاف واسمها ارواد منذ القديم ، فدعاها اليونان ارادوس .

هذا وان البيوت التي شيدت في الجهة الجنوبية من الجزيرة كانت مسورة بجدار عريض ليس فيه الا ثغرة واحدة من الناحية الشرقية اريد منها ان تكون ميناء المدينة . ولا يزال قسم من هذا السد باقيا في الناحية الشرقية على ارتفاع ٩ حتى ١٢ مترا .

وهناك مخازن منحوتة في الصخور وانقاض قلعة شيدها العرب في اعلى نقطة من الجزيرة ويظن ان ذلك كان عام ٥٨٣ هـ الموافق ١١٨٧ ميلادية عقب محاصرة صلاح الدين الايوبي بمراكبه التي استحضرها من مصر للجزيرة وتسليمها اليه من قبل صاحب طرابلس على اثر مشاهدته عظمة الاسطول القادم للحصار .

وتوجد في الجهة الجنوبية من الجزيرة ابنية تحت الارض نقشت على جدرانها كتابات قديمة مصرية ، ويرى ملاحو الجزيرة ان هنالك آثار سور يمتد من طرطوس الى الجزيرة وهذا امر لا يستبعد حصوله لان الجزيرة كانت على قرب من الساحل قديما .

ومن عجائب الطبيعة ان هنالك ينبوعا بين طرطوس وجزيرة ارواد على عمق ثمانية امتار من سطح البحر ، كان الارواديون يستقون منه المياه ابان حروبهم بواسطة انابيب من جلد يمدونها الى جزيرتهم وكانت تصل المياه الى الجزيرة لان المياه تاتي من هضبة مرتفعة على الساحل يبلغ علوها عن سطح البحر ٢٥ مترا .

ويقول الدبس في تاريخه : ان الارواديين هم من ولد ارواد من بني كنعان وان ارواد كانت عاصمة الارواديين من بني كنعان وكان موقعها في الجزيرة المدونة باسمها شمالي طرابلس وهؤلاء نزحوا من خليج العجم على رواية هارفي بورتر .

ويروي ماسبارو المؤرخ الفرنسي في تاريخه القديم للشعوب الشرقية (ص ١٨٢) ان اهل ارواد كانوا يوالون الثورات ضد حكامهم الاجانب من المصريين والاشوريين والفرس ونزعتهم استقلالية وان جبيل وصيدا اشتهرتا بطاعة فراعنة مصر على خلاف الارواديين (سكان الجزيرة) فانهم حاولوا اكثر من مرة خلع النير المصري مما حمل الفراعنة على منح جبيل وصيدا امتيازات مهدت لها الثروة والرقي دون ارواد .

واستمر يومئذ سكان هذه الجزيرة يظهرون على صيدا ويرقبون اعمالهم بسلطتهم التي كانت على السواحل المجاورة وقد خضعت لهم « حماة » مدة من الزمن واسسوا بين طرطوس وعمريت القديمة مستعمرات بالتوس وبالاتة وقارنا وآنداروحاربوا طوطيس الثالث ورعمسيس الثاني والثالث من فراعنة الاسرة الثامنة عشرة .

الا انه في عهد الاشوريين مدة ولاية الملك اشور نزربال الذي قدم لمحاربة الحثيين في شمالي سوريا وبلغ السواحل ، اضطرت ارواد لاداء الجزية لهذا الملك كبقية المدن الساحلية ، واستمر الحال حتى ولاية «آسردحون» عام ٦٨٠ ق.م. فاظهر الارواديون الرغبة مع بقية الاقطار التملص من نير الاشوريين ، الا انه سار عليهم فغزاهم واخضع بالجملة « ماتان » ملك ارواد ، وبقي الارواديون في طاعة الاشوريين حتى نهاية ملك اشور بانيبال كما رواه المؤرخ « لانرمان » .

ويروي المؤرخون ان خفرع جهز اسطولا لغزو السواحل اللبنانية لاثارتها على الكلدان الذين قامت مملكتهم على انقاض مملكة اشور ، وقد تقابل الاسطول الفينيقي والمصري في مياه قبرص ، الا ان الدائرة دارت على الاسطول الفينيقي وفتح الاسطول المصري صيدا عنوة لان ملكها كان رئيس الاسطول وغنم ما فيها ، وانضمت ارواد الى الملك خفرع وساطة مع بقية البلاد الفينيقية .

وقد وجدت اطلال في جبيل وارواد كتب عليها اسم هذا الملك الذي تقلصت سلطته بعد سنوات اربع ، حيث عاد بختنصر واخضع البلاد الشامية والسواحل وبلاد مصر وثل عرش خفرع ، واقام مقامه « اهمس » وبقي الحال كذلك الى ان انقرضت مملكة بابل وخلفتها مملكة الفرس عام ٥٣٧ ق.م. على يد كورش .

وقد خضعت ارواد مع بقية المدن الفينيقية الى « كورش » دون مقاومة بعد فتحه بابل وادت الجزية التي كانت تؤدي الى الكلدان الى ان استطال اسكندر فيلبوس المكدوني على مملكة الفرس فاستولى اليونانيون على المدن الساحلية وذلت صور لهم عام ٣٣٢ في عهد الاسكندر الكبير .

وقد كان الارواديون في عهد الفرس والاسكندر الكبير يتمتعون بادارة شبه مستقلة بما منحوه من الامتيازات . وقد ظلت التجارة البحرية في القسم الشمالي من

سورية مدة وافرة في ايديهم وما اخرهم استيلاء الرومانيين على جزيرتهم اذ بقوا بعد ان اسسوا انتي ارادوس او طرطوس الحالية يزاحمون الرومانيين في اوطانهم بالتجارة .

هذه لمحة يسيرة عن تاريخ هذه الجزيرة التي كان لها شأن يذكر في الاحقاب الماضية والتي اشارت اليها الآثار القديمة وكان يفتخر القدماء بالتعامل معها ، والتي تطاولت على الفاتحين والتي نعاها القائمون اليوم مع انها لا تزال بحلتها البيضاء تزهو في البحر الابيض المتوسط وتطل على الساحل السوري واللبناني .

واما اليوم فان اهالي الجزيرة وادعون يشتغلون في صيد الاسماك وفي صنع السفن ولهم مهارة كبرى في شؤون البحر . وفي عهد الانتداب كانت الجزيرة معقلا للاحرار المنفيين في قلعتها والسلام .

زهدي يكن

غزة... البقعة النائية المنسية!

✳

يحتاج العالم العربي الى التذكير بانه لا يزال هنالك جزء عربي من فلسطين اسمه قطاع غزه ، وان هناك يعيش ثلث مليون عربي ، آلوا على انفسهم الاحتفاظ بهذا الجزء من ارض الآباء ، ليكون نقطة ارتكاز تعتمد عليه الامة العربية متى حان الوقت لاستعادة الوطن المغتصب .

يبلغ طول قطاع غزة من الشمال الى الجنوب حوالي اربعين كيلو مترا تبدا من قرية « بيت لاهية » التي تبعد تسعة كيلو مترات شمال غزة ، وتنتهي في قرية « رفح» المتاخمة لحدود مصر .

ويبلغ معدل عرض القطاع من البحر الى اقصى حدوده شرقا اربعة كيلو مترات ، ويتالف من مئة الف دونم من الاراضي الزراعية ومثلها من كثبان الرمل ممتدة على ساحل البحر .

ويقطن هذا الشريط الضيق من ارض فلسطين حوالي ثلث مليون عربي بينهم مئتا الف نزحوا عن قراهم الواقعة اصلا ضمن منطقة غزة ، والبقية هم سكان مدينتي غزة وخان يونس وبعض المدن والقرى الجنوبية .

ولكي يستطيع القارىء تبيان مدى قسوة الاوضاع التي يعيش فيها هؤلاء الاخوان يجدر به ان يعلم ان منطقة غزة قبل كارثة فلسطين كانت تبلغ مساحتها ثلاثة عشر مليون دونم ، تمتد من رفح جنوبا الى قرية الفالوجة شرقا ثم الى « اسدود » شمالا والى قرية بئر السبع فالعقبة على البحر الاحمر جنوبا بشرق .

وكان السكان يزرعون منها حوالي ثلاثة ملايين دونم هي الارض الصالحة للزراعة المنتظمة ، والباقي كان يستعمله السكان مراتع ومراعي للماشية . وكانت هذه المنطقة التي تبلغ خمسي مساحة فلسطين ، تمون البلاد بحاجاتها من الحبوب اي الحنطة والشعير والذرة وخلافها ، وكذلك اللحوم .

وكانت هذه الاراضي هي المجال الحيوي لسكان المنطقة الذين بلغ عددهم ٢٦٠٠٠٠ نسمة بموجب احصاء ١٩٤٦ . فاذا قارنا بين مساحة منطقة غزة وعدد سكانها قبل الكارثة وبين مساحتها وعدد سكانها اليوم تجلت لنا فداحة الكارثة وادرك القارىء مدى سوء الحالة التي يعيش فيها ثلث المليون عربي .

وتقوم وكالة غوث اللاجئين بمساعدة ٢٠٦٠٠٠ لاجىء من اصل الثلث مليون . وتقدم لهم المساعدات الغذائية والخدمات الصحية والاجتماعية والتعليمية ، وهي مساعدات لا تتعدى قول القائل : « قوت كي لا يموت ».

وتقدم الحكومة المصرية اعاشة لحوالي ستين الف من السكان ، كما تهيىء الاسباب لتعليم ابناء القطاع من غير اللاجئين . وهي تساعد عددا من الطلبة الجامعيين في مصر وتعفيهم من الاقساط الجامعية ، وتدفع اعانة لكل واحد منهم مبلغ ستة جنيهات مصرية شهريا . وعدد الطلبة الجامعيين من قطاع غزة ينوف عن خمسماية طالب .

اما عدد التلاميذ والتلميذات في مدارس الاقطاع الابتدائية والثانوية فيزيد اليوم عن ستين الف . وقد اقيمت في غزة مدرسة صناعية تعاون على اقامتها الحكومة المحلية ووكالة غوث اللاجئين وتعتبر من ارقى المدارس الصناعية في الشرق العربي ومما لا شك فيه انه سيكون لهذا العدد الضخم من التلاميذ والتلميذات كلمة لها وزنها وخطورتها في تقرير مصير فلسطين وتحريرها .

وتشرف الادارة المصرية في قطاع غزة على الشؤون الصحية ، وتبذل جهودا مشكورة للمحافظة على الصحة العامة وتبذل حكومة الثورة عن طريق الادارة المصرية في غزة ، مجهودات كبيرة للتخفيف من حدة سوء الحالة في القطاع غير ان هذه الجهود لا تكفي لتغيير الوضع تغييرا اساسيا لضيق الرقعة وفقرها وانعدام مواردها بفقدان اراضيها ومجالها الحيوي .

هذه لمحة خاطفة عن قطاع غزة ، البلد المنسي وانني اذ اختم كلمتي هذه اغتنم المناسبة لاوجه دعوة اخوية الى جميع اخواننا الصحافيين في لبنان وفي جميع الاقطار العربية الشقيقة ، ليزوروا قطاع غزة ويقدموا صورا واضحة عنه الى الشعوب العربية ، ويبرزوا اهمية دعم هذا الجزء من ارض الوطن العربي ، ومساندته معنويا وماديا ، ليستطيع الصمود حيث هو اذ ان في صموده خدمة لا تقدر بثمن للخطط الاستراتيجية العربية .

رشاد الشوا «الحياة»



٢٤ ديسمبر ١٩٥٤ – رفض المجلس الوطني الفرنسي اتفاق دخول المانيا في حلف بروكسل وهو الاتفاق الذي يقر تسليح المانيا . وصدق المجلس الاتفاق الخاص باعادة السيادة الالمانية والاتفاق الخاص بالسار .

٢٧ – طرح الرئيس منديس فرنس الثقة على المجلس الوطني الفرنسي في اثناء مناقشة اتفاقيات باريس لاعادة تسليح المانيا . مطالبا بنقض قرار الجمعية الوطنية الذي رفضت فيه تسليح المانيا .

٣٠ – منحت الجمعية الوطنية الفرنسية الثقة لحكومة منديس فرانس على اساس ابرام اتفاقيات باريس المتعلقة بتسليح المانياوبانضمام المانيا الى الحلف الاطلسي .

٣١ – اكدت وزارة الخارجية البريطانية نبا تعيين السير نوكس هيلم احد سفراء بريطانيا السابقين في تركيا حاكما عاما للسودان مكان السير روبرت هاو الذي اعتزل الخدمة

٢ يناير ١٩٥٥ – اطلقت جماعة من المعارضين النار على الدكتور خوسيه انتونيو ريمون رئيس جمهورية بناما فقتل .

٣ – عين البرلمان في بناما النائب الاول لرئيس الجمهورية السنيور خوسيه رامون غيزادو رئيسا للجمهورية .

٤ – صدق مجلس الوزراء السوريمعاهدة الصداقة بين سوريا وايران .

٥ – اعلنت اندونيسيا حالة الحرب في احدى مجموعات جزر الملقا وهي المنطقة التي تطالب بها والتي اعلنت ذاتها جمهورية مستقلة عن اندونيسيا .

٦ – وصل الى بغداد السيد عدنانمندريس رئيس وزراء تركيا ومرافقوه في زيارة رسمية للعراق .

– صدر بلاغ من وزارة الخارجية الفرنسية يعلن توقف المباحثات بين فرنسا وليبيا على ان تستانف فيما بعد . وتدور المفاوضات حول جلاء القوات الفرنسية عن منطقة فزان في ليبيا .

– وصل الى ايطاليا المسيو منديس فرانس رئيس وزراء فرنسا لاجراء مباحثات هامة مع المسؤولين الايطاليين .

– وصل الى بكين المستر داغ هامر شولد السكرتير العام للامم المتحدة وقد عقد محادثات مع شوان لي رئيس وزارة الصين الشعبية حول الافراج عن الطيارين الامريكيين المحكومين بتهمة التجسس .

٨ – اصدر الدكتور ارهارت بيانا في بون عن اقتراحات فرنسا الجديدة الخاصة بمراقبة التسلح فقال ان المانيا لن تقبل اية تقييدات على انتاجها السلاح باستثناء التقييدات التي تفرضها اتفاقات باريس .

١٠ – التجا الجنرال مانفرد فونبراوختش القائد العام السابق للقوات الالمانية النازية علىعهد هتلر الى المانيا الشرقية هاربا من غربي المانيا .

– توترت الحالة على الحدود بين جمهورية كوستاريكا وبين جمهورية نيكارجوا وهما من جمهوريات امريكا الوسطى واخذت كل من الدولتين تحشد القوى العسكرية .

١١ – غادر السكرتير العام للامم المتحدة بكين عائدا الى نيويورك .

– توفي في روما الماريشال جرازياني القائد الايطالي العام في عهد موسوليني وهو في الثانية والسبعين .

١٢ – تستمر «الحرب الصغيرة» الناشئة بين الثوار القادمين من نيكارجوا وحكومة كوستاريكا ويرى المراقبون ان القتال يدور لقلب نظام الحكم .

١٣ – صدر في بغداد بلاغ عن زيارة السيد عدنان مندريس رئيس الحكومة التركية جاء فيه انه قد تقرر اثر المحادثات التي جرت بين الحكومتين العراقية والتركية عقد معاهدة ترمي الى التعاونلاقرار السلاموالامنفي الشرق الاوسط ووجوب تعاون الموقعين عليها على وقف كل عدوان سواء أكان هذا الاعتداء من داخل او خارج منطقة الشرق الاوسط . وستعمل الحكومتان العراقية والتركية قبل وضع صيغة هذه المعاهدة النهائية الى الاتصال بجميع الدول التي تنشد اقرار السلام في منطقة الشرق الاوسط للانضمام الى هذه المعاهدة والاشتراك فيها .

١٤ – وصل السيد عدنان مندريس رئيس الحكومة التركية يرافقه وزير الخارجية السيد فؤاد كوبرولو الى لبنان في زيارة رسمية قادما من دمشق .

١٥ – اعفي رئيس جمهورية بناما خوسيه رامون غيزادو من منصبه وذلك لتوفر التهم ضده بانه حرض على اغتيال الرئيس السابق وقد اوقف رهن التحقيق وعين ريكاردوارياس اسبينوزا خلفا له .

١٧ – وعد السير انتوني ايدن وزير الخارجية البريطانية بانه سيسعى لاجراء محادثات رفيعة مع روسيا بعد تصديق اتفاقات باريس القاضية باعادة تسليح المانيا .

١٨ – اعلنت وزارة الدفاع في الصين الوطنية ان قوات الصين الشعبية البرية والجوية والبحرية بدات غزو جزيرة كيانغ شان الوطنية الواقعة الى الشمال من فرموزا .

– صدر بلاغ لبناني تركي مشترك عن زيارة رئيس الحكومة التركية عدنان مندريس وقد جاء فيه ان لبنان قد اخذعلما بما تم الاتفاقعليه بين تركيا والعراق كما اخذ الجانب التركي علما بالايضاحات التي ابداها لبنان فيما يتعلق بجميع القضايا التي يثيرها تنظيم الامن في الشرق الادنى . كما اتفق الجانبان على ان تتابع هذه المباحثات الرامية الى تعزيز العلاقات بين تركيا وسائر البلاد العربية .

١٩ – ما تزال المعارك مستمرة بين القوات الحكومية والثوار في كوستاريكا .

– صرح الجنرال ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة بانه يرغب في ان يرى الامم المتحدة تقوم بدور الوسيط لوقف اطلاق النار في منطقة فرموزا .

٢٠ – بدأ في لندن اهم مؤتمر عسكري عرف منذ نهاية الحرب للبحث في تنظيمالدفاع عن تركيا والدول المجاورة لها . ويمثل الولايات المتحدة في المؤتمر الاميرال جتون كاسادي وبريطانيا الماريشال السير رونالد ايفلاو تشابمان وتركيا الجنرال رشدي اردلهوم .

٢١ – سقطت جزيرة كيانغ شان الصينية الوطنية في ايدي قوات الصين الشعبية .

٢٢ – انعقد في القاهرة مؤتمر رؤساء الحكومات العربية لدرس الحلف التركي العراقي ، هذا وقد اعتذر رئيس الحكومة العراقية السيد نوري السعيد عن حضور المؤتمر بسبب مرضه .

٢٤ – اذاع راديو الصين الشعبية عن لسان مسؤول تصريحا قال فيه ان فرموزا ستعود عاجلا او آجلا الى الوطن الام شاءت الولايات المتحدة ومن يؤيدها ام أبت .

٢٥ – قرر الكونجرس الامريكي منح الرئيس ايزنهاور السلطة لاستخدام قوات الولايات المتحدة المسلحة بما يراه مناسبا وضروريا لحماية فورموزا والبسكادور ضد العدوان المسلح .

٢٦ – وصل الى القاهرة وفد عراقيبرئاسة الدكتور فاضل الجمالي لحضور مؤتمر رؤساء الحكومات العربية .

مطبعة العمال اللبنانيين – الحازمية
تلفون ٣١٦٧٤